الفصل الثانى

صيغة المقسم به وعلاقتها بالسياق فى القرآن الكريم

المبحث الأول: القسم بجموع الإناث فى افتتاح السور القرآنية.

المبحث الثانى: القسم بصيغة المفرد وعلاقته بالسياق.

المبحث الثالث: القسم بصيغة المفرد بعد الحروف المقطعة وعلاقته بالسياق.

المبحث الرابع: القسم باسم الرب مضافا إلى (ضمير أو اسم ظاهر).

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

يتناول هذا الفصل صيغة المقسم به من حيث التركيب؛ حيث جاءت صيغة المقسم به فى القرآن الكريم فى **صيغتين فقط** هما صيغة جمع المؤنث السالم، وصيغة المفرد، وتقوم **فكرة هذا الفصل** على سبب اختيار إحدى الصيغتين دون الأخرى، ولم يأت المقسم به بصيغة جمع المذكر السالم أو جمع التكسير أو المثنى مما يعنى أن لهاتين الصيغتين دلالة معينة ترتبط بالغرض من القسم وبالسياق الذى ورد فيه، حيث جاء الغرض من القسم فى القرآن الكريم لتوكيد الخبر، أو لتعظيم المقسم به، أو لتقديسه، أو للاستدلال عليه، فاختيار مقسم به معين وصيغة معينة يستحق الدراسة، وهو ما يحاول الباحث التوصل إليه فى هذا الفصل بإذن الله، و**جاء هذا الفصل فى أربعة مباحث:**

المبحث الأول: القسم بجموع الإناث فى افتتاح السور القرآنية، ويتناول السور التى افتتحت بالقسم بصيغة جمع المؤنث السالم، وهذه السور هى: (سورة الصافات، سورة المرسلات، سورة النازعات، وسورة الذاريات، وسورة العاديات)، وهى خمس سور من خمس عشرة سورة افتتحت بالقسم فى القرآن الكريم، وعلاقة هذه الأقسام بالسياق.

المبحث الثانى: القسم بصيغة المفرد وعلاقته بالسياق، ويتناول القسم الظاهر بصيغة المفرد فى القرآن الكريم فى موضعين: **الأول**: فى **أوائل عشر سور** من سور القرآن الكريم، **والثانى**: داخل ثلاث سور من سور القرآن الكريم.

المبحث الثالث: القسم بصيغة المفرد بعد الحروف المقطعة وعلاقته بالسياق، ويتناول القسم فى أوائل ست سور من سور القرآن الكريم، هى القسم فى أول

(سورة يس، وسورة ص، وسورة ق، وسورة الزخرف، وسورة الدخان، وسورة القلم "ن")، وفى السور الثلاث الأولى أقسم الله بالقرآن، أما فى السور الثلاث الأخرى فقد أقسم الله بالكتاب (فى سورتى الزخرف والدخان)، وأقسم بالقلم فى سورة القلم "ن"، وفى هذا المبحث يتم التعرف على العلاقة بين الحروف المقطعة والأقسام التالية لها، وهل هذه الحروف المقطعة هى أقسام، أم ليس لها علاقة بالقسم والسياق؟

المبحث الرابع: القسم باسم الرب مضافا إلى (ضمير أو اسم ظاهر)، ويتناول المقسم به مضافا إلى ضمير المخاطب، أو ضمير المتكلم، أو اسم ظاهر **فى خمسة مواضع** فى القرآن الكريم، وهى:

١- القسم باسم الرب مضافا إلى **ضمير المخاطب** فى سورة الحجر.

٢- القسم باسم الرب مضافا إلى **ضمير المخاطب** فى سورة مريم.

٢- القسم باسم الرب مضافا إلى **ضمير المتكلم** فى سورة سبأ.

٣- القسم باسم الرب مضافا إلى **ضمير المتكلم** فى سورة التغابن.

٤- القسم باسم الرب مضافا إلى **اسم ظاهر** فى سورة الذاريات.

وهى الصورة التى جاء فيها المقسم به باسم الرب مضافا إلى ضمير المخاطب، أو ضمير المتكلم أو اسم ظاهر، وغير المتعلق بنفى أو استفهام، ولهذه الإضافة دلالة تتفق مع السياق الذى ورد فيه القسم بهذه الصورة، يتم التعرف عليها من خلال هذا المبحث.

المبحث الأول

القسم بجموع الإناث فى افتتاح السور القرآنية

ورد القسم بصيغة جمع المؤنث السالم فى السور التالية: (سورة الصافات، سورة المرسلات، سورة النازعات، وسورة الذاريات، وسورة العاديات)، وهى **خمس سور** من خمس عشرة سورة افتتحت بالقسم فى القرآن الكريم، الخمس السور السابقة والعشر السور التالية: (سورة الطور، سورة النجم، سورة البروج، سورة الطارق، سورة الفجر، سورة الشمس، سورة الليل، سورة الضحى، سورة التين، وسورة العصر) ولوحظ فى السور الخمس الأولى المفتتحة بالقسم ما يأتى:

١- **أن المقسم به جاء بصيغة جمع المؤنث**، وهذه الجموع هى خلق من خلق الله - عز وجل - ومفرداتها على الترتيب (الصافة، والذارية، والمرسلة، والنازعة، والعادية) وأقسم الله بها فى سياقات مختلفة، ففى القسم فى أول سورة الصافات يلاحظ أن الصافات والزاجرات والتاليات هى صفات لطوائف من الملائكة "وصيغت صفته بصيغة التأنيث؛ لأن **المراد جماعاتهم أو طوائفهم**[(١)]."

٢- **لم يأت المقسم به فى القرآن الكريم بصيغة الجمع إلا فى هذه المواضع الخمسة**، وهذه الصفات إلى جانب تشريفها باختصاص الله بها بالقسم، ففيها أيضا مناسبة الموقف التى سيقت فيه، بحيث تكون مناسبة للسياق اللغوى والسياق المقامى؛ فسياق القسم بالصافات والزاجرات، والتاليات ذكرا يوضح مشهدا وسياقا يتناسب مع المقسم عليه فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴾؛ فالقسم جاء لإثبات

---

(١)القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف: ١٦.

وحدانية الله "فالصافات يناسب عظمة ربها، وفالزاجرات يناسب قذف الشياطين عن السماوات، ويناسب تسيير الكواكب وحفظها من أن يدرك بعضها بعضا، ويناسب زجرها الناس في المحشر. والتاليات ذكرا يناسب أحوال الرسول والرسل عليهم الصلاة والسلام وما أرسلوا به إلى أقوامهم[1]."وكذا فى باقى الأقسام التى أقسم الله – تعالى – بها.

٣- **أن القسم بصيغة جمع المؤنث السالم قسم بالمتحركات،** وهى تتناسب مع الجواب لأن الله "أقسم بالمتحركات، فقال: (والذاريات) وقال: (والمرسلات) [المرسلات:١] وقال: (والنازعات) [النازعات: ١] ويؤيده قوله تعالى: (والسابحات... فالسابقات) [النازعات: ٣، ٤] وقال: (والعاديات) [العاديات: ١] وذلك لأن **الحشر فيه جمع وتفريق، وذلك بالحركة أليق،** أو أن نقول في جميع السور الأربع أقسم بالرياح على ما بين وهي التي تجمع وتفرق، فالقادر على تأليف السحاب المتفرق بالرياح الذارية والمرسلة، قادر على تأليف الأجزاء المتفرقة بطريق من الطرق التي يختارها بمشيئته تعالى[2]."

٤- **أن المقسم به بصيغة جمع المؤنث السالم فيه (دلالة على الكثرة، ودلالة على الحدث كدلالة الفعل على الحدث، ودلالة على التأكيد)**؛ لأن جمع الصفات جمعًا سالمًا يدل على الكثرة، "فإن هذا الجمع يدل على القلة في الجوامد، وأما فى الصفات فإن دلالته على القلة ليست مطردة بل نستطيع أن نقول: إن الأصل فيه عدم دلالته على القلة وإنما **الأصل فيه أن يدل على الحدث، فجمع الصفات جمعا سالما يقربها من الفعلية** وتكسيرها يبعدها من الفعلية إلى الاسمية[3]."، **وفيه دلالة على التأكيد؛** لأنها جاءت صفات لموصوفات محذوفة، ومن خصائص الصفات أنها تأتى للتأكيد. وبذلك فإن القسم بهذه الصفات بصيغة جمع المؤنث يراد به الدلالة على الحدث؛ لذلك قيل: إن **القسم بصيغة جمع المؤنث السالم قسم بالمتحركات،** أى حال كونها فى

---

(١)التحرير والتنوير: ٢٣/ ٨٢ ، ٨٣.

(٢)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٩/ ١٩٥.

(٣)معانى الأبنية فى العربية للدكتور فاضل السامرائى:١٢٦.

هذا الأمر (صافة، وزاجرة، تالية ذكرا – ومرسلة، وعاصفة، وناشرة، فارقة، وملقية ذكرا – ونازعة، ناشطة وسابحة، وسابقة، ومدبرة أمرا – وذارية ذروا، وحاملة وقرا، ... – وعادية ضبحا، ومغيرة صبحا)، كما يراد أنها طوائف وليست فرادى؛ هذا ما دل عليه القسم بصيغة جمع المؤنث، والله أعلم.

٥- هذه الأقسام فى أوائل السور **يشترك فيها ما يعقل وما لا يعقل (الملائكة، والرياح وخيل الغزو، أما القسم بصيغة المفرد فى السور العشر التالية فلم يأت إلا لغير العاقل** (الطور، النجم، البروج، الطارق، الفجر، الشمس، الليل، الضحى، التين، العصر) فكلها وما يتبعها من الأقسام يشير إلى غير العاقل.

٦- **حرف القسم** الذى تكرر معها جميعا هو **(الواو)**، والأقسام التى جاءت مع واو القسم تربط بين صور معنوية غير مدركة وصور حسية مدركة بالحس: حيث تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن: "والذى اطمأننت إليه بعد طول تدبر وتأمل فى **السور المستهلة بهذه الواو، هو أن القسم بها يمكن أن يكون، والله أعلم، قد خرج عن أصل الوضع اللغوى فى القسم للتعظيم، إلى معنى بيانى؛ على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهى والاستفهام عن أصل معناها الذى وضعت له، لملحظ بلاغى. فالواو فى هذا الأسلوب تلفت لفتًا قويًّا إلى حسيات مدركة ليست موضع غرابة أو جدل، توطئة إيضاحية لبيان معنويات إو غيبيات لا تدرك بالحس**[(١)]**."**

٧- **أن هناك تناسبًا بين المقسم به والمقسم عليه** يتضح من خلال اختيار المقسم به ليناسب الصفة التى تناسب الموقف والسياق.

ويتم تناول هذه الأقسام وفقا **لنوع المقسم به**، وليس حسب ترتيبها فى المصحف؛ حيث ورد القسم بصيغة جمع المؤنث السالم فى خمسة مواضع، جاءت الأقسام الثلاثة الأولى فى سورة (الصافات، والمرسلات، والنازعات) بطوائف من الملائكة، وجاء المقسم به فى سورة (الذاريات)، يراد بها الرياح، والمقسم به فى سورة العاديات ويراد بها الخيل.

---

(١)التفسير البيانى للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبد الرحمن: ١/ ٢٥.

وجاءت عناصر القسم فى هذه المواضع الخمسة كالتالى:

حرف القسم:

جاء حرف القسم (الواو) مع الأقسام الخمسة عشر المفتتحة بالقسم، وتكرر فى أول سورة النازعات، حيث اختلف العلماء فى الواو فى الآيات الثلاث المسبوقة بالواو فى هذه السورة، فقيل إنها للعطف:"يحتمل أن يكون المعطوف بالواو من عطف الصفات بعضها على بعض[١]."، وقيل إنها للقسم، وقد تناولت هذا الرأى الدكتورة عائشة عبد الرحمن فى تفسير القسم فى أول سورة النازعات فقالت: "إذ يحتمل كذلك أن تكون فى المواضع الثلاثة، واو القسم اللافتة، وقد تغيرت بعدها الصفات والموصوف واحد[٢]." والحكمة من اختيار الواوات فى هذا السياق دون حروف القسم الأخرى أن **الواو تربط بين حسيات مدركة - لا شك فيها للكافر الذى لا يؤمن إلا بالأمور الحسية – وبين غيبيات غير مدركة يؤمن بها المؤمن؛ فجمعت الواو بين ما يزيد المؤمن إيمانا ويقرب للكافر الفهم بالأمور المعنوية:** "وهذا البيان للمعنوى بالحسى، هو الذى يمكن أن نعرضه على أقسام القرآن بالواو، فتقبلها دون تكلف أو قسر فى التأويل[٣]."، ومن خصائص واو القسم أن الفعل يحذف معها وجوبًا لكثرة استعمالها فى القسم، وعدل من الواو أحيانا إلى الفاء ثم العودة إلى الواو مرة أخرى كما ستتضح فى عوارض التركيب كل فى موضعه بإذن الله.

المقسم به:

أولا: المقسم به فى أول سورة الصافات: أقسم الله - عز وجل – فى أول هذه السورة بثلاث صفات مجموعة جمع مؤنث سالم فى قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾[٤] فالصافات والزاجرات والتاليات هى صفات **لطوائف من الملائكة** أقسم الله تعالى بها لدحض الاعتقاد

(١)البحر المحيط: ٨/ ٤١٢.

(٢)التفسير البيانى للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبد الرحمن: ١/ ١٢٨.

(٣)التفسير البيانى للقرآن الكريم:١/ ٢٥-٢٦.

(٤)الصافات: ١ - ٤.

الذى كان سائدا فى الجاهلية بأنها بنات الله[1]، فأقسم الله بها على وحدانيته بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾[2] لبناء العقيدة السليمة فى النفوس فى المرحلة المكية التى نزلت فيها هذه السورة **"وتأنيث هذه الصفات باعتبار إجرائها على معنى الطائفة والجماعة ليدل على أن المراد أصناف من الملائكة لا آحاد منهم**[3]**."**ولذلك فإن السياق اللغوى فى افتتاح سورة الصافات بالقسم جاء مناسبا للسياق المقامى، حيث إن **"فاتحتها مناسبة لأغراضها بأن القسم بالملائكة مناسب لإثبات الوحدانية لأن الأصنام لم يدعوا لها ملائكة، والذي تخدمه الملائكة هو الإله الحق ولأن الملائكة من جملة المخلوقات الدال خلقها على عظم الخالق**[4]**."**

وسميت السورة بما افتتحت به من القسم بـ (الصافات)، وهى الملائكة التى تصف أجنحتها فى الهواء، فالصافات: مفرد الصافة، وهى من صف الشيء، أى جعله على خط مستوٍ أو بسط الطير لأجنحتها فى السماء عند طيرانها، أو صف القوم فى الحرب صفوفا، "الصف أن تجعل الشيء على خط مستو كالناس والأشجار ونحو ذلك[5]."، وقيل إن الصافات هى الملائكة الذين يصفون للعبادة فى السماء" ويتراصون في الصف[6]؛ أي: بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على أن المراد: إيقاع نفس الفعل من غير قصد إلى المفعول، واللاتى يقفن صفًا صفًا، في مقام

---

(١)حيث قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنعام: ١٠٠، وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ النحل: ٥٧، ينظر التحرير والتنوير: ٦/ ٦٠، تفسير البغوى:١/ ١٠٤.

(٢)الصافات: ٤ – ٥.

(٣)التحرير والتنوير: ٢٣/ ٨٤، القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف: ١٦.

(٤)التحرير والتنوير: ٢٣/ ٨٢ ، ٨٣.

(٥)المفردات فى غريب القرآن، مادة (صف): ٢٨٢، تاج العروس من جواهر القاموس: ٤/ ١٣٨٧، لسان العرب: ٩/ ١٩٤، المعجم الوسيط:١/ ٥١٧.

(٦)تكررت مادة (صف) فى القرآن الكريم فى سورة الصافات فى موضع آخر فى الآية ١٦٥ فى قوله تعالى: :﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ ، وفى سورة الكهف: ٤٨، سورة طه: ٦٤، سورة الحج: ٣٦، سورة النور: ٤١، سورة الصافات: ١، سورة الصافات: ١٦٥، سورة الطور: ٢٠، سورة الملك: ١٩، سورة الصف: ٤، سورة النبأ: ٣٨، سورة الفجر: ٢٢، سورة الغاشية:١٥.

العبودية والطاعة، أو الصافات أنفسها؛ أي الناظمات لها في سلك الصفوف في مواقف الطاعة ومنازل الخدمة[1]."

و(الزاجرات): الملائكة التى تزجر السحاب وغيره بأمر الله، الزاجرات: من زجر، ومن معانى زجر فى اللغة: منع ونهى، وهو كالردع للإنسان، وكالحث والنهر للبعير، وكالكف للكلب، وانزجر بمعنى انقاد "والزاجرات: كل ما زجر عن معاصي الله. والتاليات: كل من تلا كتاب الله، ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات، فالزاجرات بالمواعظ والنصائح، فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد، وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل[2]."

من معانى (الذكر) فى اللغة: الذكر والذكرى، بالكسر: خلاف النسيان... والذكر: الصيت والثناء: الحفظ، أى ليحفظوه، أو ليستحضروه، أو للطاعة والشكر، أو للدعاء إلى الله بالصلاة والتسبيح، أو للدراسة، والذكر هو القرآن، وهو الصلاة وهو قراءة القرآن "وهو كالحِفْظ إِلّا أَن الحِفْظ يقال اعْتبارًا بإِحرَازه[3]."

ثانيًا: المقسم به فى أول سورة المرسلات: أقسم الله – عز وجل – فى أول هذه السورة بصيغة جمع المؤنث السالم فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾[4]، فالقسم هنا حالة من

---

(١)تفسير حدائق الروح والريحان فى روابى علوم القرآن: ٢٤/ ٥٦٨.

(٢)الكشاف :٥/ ١٩٩-٢٠٠، تكررت مادة (زجر) فى القرآن الكريم خمس مرات فى: سورة الصافات: ٢، ١٩، سورة النازعات: ١٣، سورة القمر: ٤، ٩.

(٣)تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (ذكر):١١/ ٣٦٧، بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز: ٣/ ٩، لسان العرب:٤/ ٣٠٨، المعجم الوسيط،:١/ ٣١٣، وانظر التبيان فى أيمان القرآن: ٦٤٦، الكشاف: ٥/ ١٩٩، معالم التنزيل للبغوى: ٧/ ٣٣، التحرير والتنوير: ٢٣/ ٨١، القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف: ١٦.

(٤)المرسلات: ١ – ٥.

حالات **القسم بطوائف الملائكة** – أيضا - على أرجح الأقوال، "فيجوز أن يكون المراد بموصوفات هذه الصفات نوعا واحدا، ويجوز أن يكون نوعين أو أكثر من المخلوقات العظيمة. ومشى صاحب «الكشاف» على أن **المقسم بها كلهم ملائكة**[1]."حيث "أرسلهنّ بأوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح، تخففاً في امتثال أمره، وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي. أو نشرن الشرائع في الأرض. أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين، ففرّقن بين الحق والباطل، فألقين ذكراً إلى الأنبياء (عُذْراً) للمحقين (أَوْ نُذْراً) للمبطلين[2]."، وقيل المراد بها رياح الرحمة ورياح العذاب، أو السحب "أقسم برياح عذاب أرسلهن. فعصفن، وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجوّ ففرّقن بينه، كقوله: ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾[الروم: ٤٨]، أو بسحائب نشرن الموات، ففرّقن بين من يشكر لله تعالى وبين من يكفر، كقوله: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦ - ١٧] فألقين ذكراً إمّا عذراً للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها، وإما إنذاراً للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك إلى الأنواء، وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سبباً في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت[3]."، **وهذه الصفات لموصوف واحد عطف فيها بالفاء إلا فى الآية الثالثة، حيث عدل من الفاء إلى الواو. فالمقسم به واحد** والجواب جاء مؤكدا بـ (إن) المتصلة الموصولة على تأكيد مجيء يوم القيامة ووقوع ما وعدتم به "والناشرات بالواو، لأنه استئناف **قسم آخر**. (فالفارقات فرقا) الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل[4]."

وجمع صاحب "التحرير والتنوير" بين كون **المقسم به بطوائف من الملائكة، والرياح، وأن هناك مناسبة للجمع بينهما** "فالأرجح أن المرسلات والعاصفات

---

(١)التحرير والتنوير: ٢٩/ ٤١٩.

(٢)الكشاف: ٦/ ٢٨٦.

(٣)الكشاف: ٦/ ٢٨٦.

(٤)الجامع لأحكام القرآن للقرطبى: ٢١/ ٤٩٧، واللباب فى علوم الكتاب: ٢٠/ ٦٢.

صفتان للرياح، وأن ما بعدها صفات للملائكة، والواو الثانية للعطف وليست حرف قسم. ومناسبة الجمع بين هذين الجنسين في القسم أن كليهما من الموجودات العلوية لأن **الأصل في العطف بالواو أن يكون المعطوف بها ذاتا غير المعطوف عليه. وما جاء بخلاف ذلك فهو خلاف الأصل**[1]."والمراد بهذه المفردات معان لغوية تتناسب مع السياق، فالمرسلات من رسل، ومن معانى رسل فى اللغة: الإرسال: الإطلاق، الإهمال، والإرسال، التوجيه، وبه فسر إرسال الله عز وجل أنبياءه عليهم السلام، كأنه وجه إليهم أن أنذروا عبادي، والاسم: الرسالة، بالكسر، والفتح، والرسول.." والمرسلات: الرياح، ويقال الملائكة[2]."

و(عرفا) أى متتابعا، من عرف الفرس، بالعرف أى بالمعروف: "والعرف: هو ما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول والعادة: ما استمروا عليه عند حكم العقول، وعادوا له مرة بعد أخرى[3]."، وجاءت كلمة (عرفا) منصوبة؛ لأنها مفعول لأجله، أى للمعروف، و**العاصفات** من العصف وهو حطام النبات المتكسر، وهو ورق كل شيء عصف يخرج منه الحب "والعاصفات عصفا، يعني الرياح، والريح تعصف ما مرت عليه من جَوَلان التراب تمضي به، وقد قيل إن العصف الذي هو التبن مشتق منه لأن الريح تعصف به[4]."

والناشرات من "النشر: الريح الطيبة، والنشر إحياء الميت، والناشرات نشرا قال

---

(١)التحرير والتنوير: ٢٩/ ٤٢٠.

(٢)تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (رسل): ٢٩/ ٧٢، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٤/ ١٧٠٨، لسان العرب:١١/ ٢٨١، المفردات فى غريب القرآن: ١٩٥.

(٣)لسان العرب، مادة (عرف): ٩/ ٢٣٦، الكليات: ١/ ٦١٧، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٤/ ١٤٠١، المفردات فى غريب القرآن:٣٣٢.

(٤)لسان العرب، مادة (عصف): ٩/ ٢٤٧، المفردات فى غريب القرآن: ٣٣٦، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٤/ ١٤٠٤، الكليات: ١/ ٥٩٩، تكررت مادة عصف فى القرآن الكريم سبع مرات فى ستة مواضع فى سور: يونس: ٢٢، إبراهيم: ١٨، الأنبياء: ٨١، المرسلات: ٢، الرحمن: ١٢، الفيل: ٥.

ثعلب هي الملائكة تنشر الرحمة وقيل هي الرياح تأتي بالمطر[١]."، **والفارقات من** "فرق للصلاح فرقا، وفرق للإفساد تفريقا، وانفرق الشيء وتفرق وافترق[٢]." والتفريق يعنى الفصل "سواء كان ذلك بفصل يدركه البصر أو بفصل تدركه البصيرة، قال: ﴿ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[٣] - ﴿ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴾[٤] يعني الملائكة الذين يفصلون بين الأشياء حسبما أمرهم الله[٥]."

والقسم هنا قسم بالمتحركات يناسب سياق السورة من الحركة الواضحة فى مشهد من مشاهد يوم القيامة، والتى صورته الآيات فى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾[٦]، وفى مشاهد السورة السريعة تظهر الحركة واضحة، كما أن فى القسم بجموع المؤنث دلالة على بعض أحداث يوم القيامة، قال عنه صاحب الظلال: "وهكذا يمضي القلب مع سياق السورة السريع، وكأنه يلهث مع إيقاعها وصورها ومشاهدها..[٧]"فظهر فى القسم من بداية السورة الحركة والسرعة "ومنذ بداية السورة والجو عاصف ثائر بمشهد الرياح أو الملائكة: ﴿ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴾[٨]. وهو افتتاح يلتئم مع جو السورة وظلها تمام الالتئام..[٩]"

ثالثًا: المقسم به فى أول سورة النازعات: جاء المقسم به فى أول هذه السورة بقوله

---

(١)المفردات فى غريب القرآن، مادة (نشر): ٤٩٢، لسان العرب: ٥/ ٢٠٦.
(٢)لسان العرب، مادة (فرق): ١٠/ ٢٩٩.
(٣)المائدة: ٢٥.
(٤)المرسلات: ٤.
(٥)المفردات فى غريب القرآن، مادة (فرق): ٣٧٧.
(٦)المرسلات: ٨ - ١٥.
(٧)فى ظلال القرآن:٦/ ٣٧٩٠.
(٨)المرسلات: ٤ - ٦.
(٩)فى ظلال القرآن:٦/ ٣٧٨٩.

تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[1]، وتعددت آراء العلماء فى المقصود بالنازعات، والناشطات، والسابحات، والسابقات والمدبرات، وساعد حذف موصوفاتها على الاتساع فى معنى هذا الموصوف، ففسر صاحب التحرير والتنوير النازعات بـ (**جماعات الملائكة** التى تقبض الأرواح، فمن معانى النزع إخراج الروح من الجسد كما يخرج الدلو من البئر، أو أنها صفة للنجوم التى تنزع من أفق إلى أفق، أى تسير، أو أنها جماعات الرماة بالسهام فى الغزو، يقال نزع فى القوس إذا مدها عند وضع السهم فيها.) والناشطات بـ (الكواكب السيارة أو إبل الغزاة أو الملائكة)، والسابحات بـ (الملائكة السائرين فى أجواء السماء وآفاق الأرض، أو خيل الغزاة عند هجومها على العدو سريعة كسرعة السابح فى الماء، أو النجوم) والسابقات أى: "السابقات من السابحات. والسبق: تجاوز السائر من يسير معه ووصوله إلى المكان المسير إليه قبله. ويطلق السبق على سرعة الوصول من دون وجود سائر مع السابق... فالمدبرات: الموصوفة بالتدبير[2]." ولكن **كثيرًا من العلماء رجح أن يكون الموصوف بهذه الصفات هم طوائف من الملائكة**، حيث "أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد، وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها. من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها، وبالطوائف التي تسبح في مضيها، أي: تسرع فتسبق إلى ما أمروا به، فتدبر أمراً من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم[3]."

والنازعات: من النزع: أى الجذب والسلب والقلع، والنازعات الملائكة التى تنزع الأرواح "نزع: نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده[4]." **والناشطات**: من النشاط ضد الكسل "يكون ذلك في الإنسان والدابة[5]."

---

(١)النازعات: ١ – ٥.

(٢)التحرير والتنوير:٣٠/ ٦٤.

(٣)الكشاف :٦/ ٣٠٤، يمكن الرجوع لكتاب التفسير البيانى للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبد الرحمن: ١/ ١٢٣ للتعرف على معانى النازعات.

(٤)المفردات فى غريب القرآن القرآن، مادة (نزع):٤٨٧.

(٥)لسان العرب، مادة (نشط): ٧/ ٤١٣.

والناشطات: الملائكة التى تعقد الأمور من نشطت العقدة: "الملائكة التي تنشط أرواح الناس أي تنزع وقيل الملائكة التي تعقد الأمور من قولهم نشطت العقدة، وتخصيص النشط وهو العقد الذي يسهل حله تنبيها على سهولة الأمر عليهم[١]".

والسابحات: من السبح: أى المر السريع، وردت مادة (سبح) بمعنى عام من السباحة، أى العوم، وهى السفن، أو الخيل، أو الملائكة التى تسبح بين السماء والأرض:" قيل السابحاتُ السُّفُنُ والسابقاتُ الخيلُ وقيل إنها أَرواح المؤمنين تخرج بسهولة وقيل الملائكة تَسْبَحُ بين السماء والأَرض[٢]"، **والسابقات** من السبق، أى التقدم فى السير"وقيل الملائكة تَسْبِق الشياطين بالوحي إلى الأَنبياء عليهم الصلاة والسلام[٣]".

من الملاحظ أن هذه المفردات بينها توافق من حيث المعنى المعجمى؛ إلا أن أكثر المعانى التى دارت بين هذه الصفات الخمس كانت لموصوفين اثنين، هما (**الملائكة والخيل**) وهما الموصوفان اللذان دارت بينهما أقوال المفسرين، **حيث يتوافق المعنى المعجمى مع المعنى السياقى فى التناسب بين المقسم به والمقسم عليه**، وكما قال الدكتور تمام حسان: "**ومعنى هذا أن العلاقات المعجمية تؤدى دور القرينة على المعنى فى الكثير من الحالات**[٤]."

- **أما المدبرات**: فمن التدبر وهو التفكر والنظر فى عاقبة الأمر، والمدبرات أمرا هم الملائكة الموكلة بتدبير أمور العباد: "التدبير التفكير في دبر الأمور، قال تعالى: (فالمدبرات أمرا) يعني ملائكة موكلة بتدبير أمور."، وتختلف المعطوفات بالواو عن المعطوفات بالفاء"والذي يقتضيه غالب الاستعمال أن المتعاطفات بالواو صفات مستقلة لموصوفات مختلفة أنواع أو أصناف، أو لموصوف واحد له أحوال متعددة،

---

(١)المفردات فى غريب القرآن، مادة (نشط):٤٩٣.

(٢)لسان العرب، مادة (سبح):٢/ ٤٧٠.

(٣)المفردات فى غريب القرآن القرآن، مادة (سبق):٢٢٢، لسان العرب:١/ ١٩٢٨، وانظر المفردات فى غريب القرآن، مادة (سبح):٢٢١، والكليات:٨١٦.

(٤)اجتهادات لغوية:٢٤٠.

وأن المعطوفات بالفاء صفات متفرعة عن الوصف الذي عطفت عليه بالفاء، فهي صفات متعددة متفرع بعضها عن بعض لموصوف واحد ... أن كل صفة مما عطف بالواو مرادا بها موصوف غير المراد بموصوف الصفة الأخرى، وأن كل صفة عطفت بالفاء أن تكون حالة أخرى للموصوف المعطوف بالواو كما تقدم[1]."

رابعًا: المقسم به فى أول سورة الذاريات: هذه هى الصورة الرابعة من حالات القسم بصيغة جمع المؤنث، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾[2]، وجاء القسم فى سورة الذاريات ثلاث مرات: فى افتتاح السورة، ثم جاء القسم الثانى بالسماء فى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧﴾، وجاء القسم الثالث أيضا بالسماء، فى قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾، وكلها مع واو القسم.

وجاء المقسم به فى أول السورة بخلق من خلق الله **بصيغة جمع المؤنث**، وهى صفات لموصوفات محذوفة، اختلف العلماء فى تحديدها، فقيل إن المراد بالذاريات: الرياح، والمقسمات هى **الملائكة** التى تقسم الأرزاق[3]، وفسرت الحاملات بالسحب الحاملة للمطر أو الرياح الحاملة للسحاب، وفسرت الجاريات بالسفن الجارية فى البحر أو الرياح الجارية فى مهابها أو السحب الجارية فى الجو بسوق الرياح أو الكواكب الجارية فى مجاريها ومنازلها :**"وقد جوز أن يراد بالكل الرياح**[4]."، وقيل إن هذه الموصوفات لموصوف واحد، هو الرياح: "أقسم الله فى هذه الآيات بصفات حُذِفَتْ موصوفاتها وعطفها بالفاء يدل على أنها صفات لموصوف واحد كما هو الغالب فى مثلها. والموصوف هو الرياح الدالة على قدرة الله، إذ بدونها كانت تهلك الدنيا ولا يكون فيها زرع ولا ضرع. ونقل عن على بن أبى طالب وغيره أن هذه الصفات لموصوفات متعددة: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ الرياح، و﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ السحب.

---

(١)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦١.

(٢)الذاريات: ١ - ٤.

(٣)ينظر الكشاف: ٥/ ٦٠٨.

(٤)إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ١٩٦.

و﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴾ السفن فى البحار، و﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾ الملائكة. **وتذهب كثرة المفسرين إلى أنها جميعا صفات للرياح، وهو الأرجح لعطفها بالفاء**[1]." وذكر صاحب "التحرير والتنوير" أنها صفات لموصوف واحد؛ لأنها عطفت بالفاء: "وعطف تلك الصفات بالفاء يقتضي تناسبها وتجانسها، فيجوز أن تكون صفات لجنس واحد وهو الغالب في عطف الصفات بالفاء[2]." والذاريات: من ذرا يذرو "ذَرَت الريح الترابَ وغيرَه تَذْرُوه وتَذْريه ذَرْواً وذَرْياً وأَذْرَتْهُ وذَرَّتْه: أَطارَتْه وسفَتْه وأَذْهَبَتْه، وقيل: حَمَلَتْه فأَثارَتْه وأَذْرَتْه إِذا ذَرَت التُّرابَ وقد ذَرا هو نفسُه[3]." **وقد تكون هذه الصفات لموصوفات مختلفة، وتكون الفاء لترتيب الأقسام**: "فإن حملت الأمور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الأقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة وإلا فهي لترتيب ما صدر عن الريح من الأفاعيل فإنها تذرو الأبخرة إلى الجو حتى تنعقد سحابا فتجري به باسطة له إلى ما أمرت به فتقسم المطر[4]".

يتسم السياق النحوى فى القسم هنا بالتماسك بين المفردات والجمل؛ فالذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات، جاءت على وزن اسم الفاعل العامل عمل فعله، ولكن اختلفت المفاعيل المنصوبة باسم الفاعل؛ فكلمة (ذروا) مفعول مطلق مؤكد لاسم الفاعل العامل عمل فعله: "ونصب ذروا على المفعول المطلق لإرادة تفخيمه بالتنوين، ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى المفعول، أي المذرو، ويكون نصبه على المفعول به[5]" وجاءت وقرًا مفعولا به، و(يسرا) صفة لمصدر محذوف بتقدير مضاف، أى: جريًا أيسر، أو حالا، أى: ميسرة، وجاءت كلمة (أمرًا) مفعولا به، نكرة للعموم أى الأمور الكثيرة.

---

(١)القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف: ٣٤.
(٢)التحرير والتنوير: ٢٦/ ٣٣٧.
(٣)لسان العرب، مادة (ذرا): ١٤/ ٢٨٢، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦/ ٢٣٤٥.
(٤)إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ١٩٦.
(٥)التحرير والتنوير: ٢٦/ ٣٣٨.

خامسا: المقسم به فى أول سورة العاديات: هذه هى الصورة الخامسة من صور القسم بجموع الإناث فى أوائل السور فى سورة العاديات، وهى من السور المكية، والقسم فيها لتعنيف "الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ولا يستعدون لحياتهم الثانية[١]" فلم تخرج عن السياق القرآنى، وسميت السورة بما افتتحت به من القسم بالعاديات، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[٢]، وقيل فى تفسير (العاديات): إنها خيل الغزاة، التي تعدو أي تجري بسرعة نحو العدو، "وأصل العاديات العادوات بالواو فقلبت ياء لانكسار ما قبلها. [٣]"، وقيل بأنها الإبل المرحلة فى الحج، ولكن **الراجح أنها خيل الغزو**، وليست إبل الحج؛ "لأن صوت الضبح خاص بالخيل إذ تضبح فى عدوها، والضبح صوت أنفاسها من أجوافها لشدة عدوها، وهو غير صهيلها، وغير الحمحمة. [٤]" وقيل: المراد بالعاديات الخيل؛ لأن النقع هو الغبار "وإثارة الخيل بعدوها له أظهر من إثارة أخفاف الإبل؛ لأنها لصلابة حوافرها وسنابكها تثير من الغبار بعدوها ما لا تثيره أخفاف الإبل[٥]".

والعاديات: مفردها العادية، وهى مؤنث العادى، ومن معانى العاديات: التجاوز ومنافاة الالتئام – الشغل الذى يصرفك عن أمورك – جماعة القوم يعدون للقتال، والعادى: الظالم: "وجمعها عَوَادٍ وقد عَداني عنك أَمرٌ فهو يَعْدُوني أَي صَرَفَني...عاديَةُ الرجل عَدْوُه عليك بالمكروه[٦]" والضبح فى اللغة: صوت أنفاس الفرس تشبيها بالضباح وهو صوت الثعلب، والضبح هو صوت يصدر من أفواه

---

(١)تفسير حدائق الروح والريحان: ٣٢/ ٢٤٨.
(٢)العاديات: ١ – ٨.
(٣)روح المعانى: ٣٠/ ٢١٥.
(٤)القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف : ٤١.
(٥)التبيان فى أيمان القرآن :١٢٥.
(٦)لسان العرب مادة (عدا):١٥/ ٣١.

الخيل ليس بصهيل ولا حَمْحَمَة وقيل تَضْبَحُ تَنْحِمُ وهو صوت أَنفاسها إِذا عدون، والضبح هو الصياح، أو شدة النفس أثناء العدو" وقيل أصله إحراق العود وشبه عدوه به كتشبيهه بالنار في كثرة حركتها(١)".

والموريات: هى الحوافر التى تضرب الأحجار بعضها ببعض من شدة العدو فتورى النار، "وري الزند يري وريا إذا خرجت ناره. وأصله أن يخرج النار من وراء المقدح كأنها تصور كمونها فيه(٢)" **والقدح**: الإيراء "قَدَحَ بالزَّنْدِ يَقْدَحُ قَدْحاً واقْتَدَح: رام الإِيراءَ به. والمِقْدَحُ والمِقْداحُ والمِقْدَحَةُ والقَدَّاحُ كله: الحديدة التي يُقْدَحُ بها؛ وقيل القَدَّاحُ والقَدَّاحة الحجر الذي يُقْدَحُ به النار؛ وقَدَحْتُ النارَ... وخيل مُقَدِّحةٌ: غائرة العيون، ومُقَدَّحةٌ، على صيغة المفعول: ضامرة كأَنها ضُمِّرَتْ، فُعِلَ ذلك بها. وقَدَّحَ فرسَه تَقْدِيحاً: ضَمَّره، فهو مُقَدَّحٌ(٣)"، وبذلك يكون الرأى الراجح للعاديات والموريات أن تكون للخيل وليست الإبل استنادًا للدلالة المعجمية فى المعاجم والقواميس العربية.

النقع: "الغُبارُ الساطِعُ. وفي التنزيل: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾؛ أَي غبارًا، والجمع نِقاعٌ. ونَقَعَ الموتُ: كَثُرَ. والنَّقِيعُ: الصُّراخُ. والنَّقْعُ: رَفْعُ الصوتِ. ونَقَعَ الصوتُ واسْتَنْقَعَ أَي ارْتَفَع... ونَقَعَ الصارِخُ بصوته يَنْقَعُ نُقُوعاً وأَنْقَعَه، كلاهما: تابَعَه وأَدامَه(٤)".

هذه الصورة الرائعة التى جسدها الله – عز وجل – فى صورة حركية لخيل الغزاة تشبه صورة الإنسان فى سعيه فى الدنيا، حيث إنه لا يسأم من السعى الحثيث فى صورة تشبه عدو الخيل وأوارها للنيران وإثارة الغبار، وكما ذكر ابن عاشور

---

(١)المفردات فى غريب القرآن، مادة (ضبح): ٢٩٢، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:١/ ٣٨٥، لسان العرب:٢/ ٥٢٢.

(٢)المفردات فى غريب القرآن،مادة (ورى):٥٢١، المعجم الوسيط،:٢/ ١٠٢٨.

(٣)لسان العرب، مادة (قدح):٢/ ٥٥٤، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١/ ٣٩٤.

(٤)لسان العرب، مادة (نقع): ٨/ ٣٥٩-٣٦٣، تاج العروس:٢٢/ ٢٧١، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٣/ ١٢٩٢.

فقال: "أقسم الله بـ (العاديات) جمع العادية، وهو اسم فاعل من العَدْو وهو السيْر السريع يطلق على سير الخيل والإِبل خاصة. وقد يوصف به سير الإِنسان وأحسب أنه على التشبيه بالخيل[1]".

يبين سياق الآيات أن العاديات هى الخيل من خلال صفات الخيل، فسنابكها هى التى تقدح الشرر، وتثير النقع، أما صفات الإبل ففى خفها لين: "ورد أصحاب التأويل بالخيل بأن سياق الآيات بعدها: فالموريات قدحا.... فأثرن به نقعا. يدل على أن العاديات هى الخيل، إذ لا يكون الإيراء، وهو قدح الشرر، إلا لسنابك الخيل، أما الخف ففيه لين واسترخاء[2]".

يتضح من خلال التعرض للمواضع الخمسة للقسم أن المقسم به (بصيغة جمع المؤنث السالم) فيه دلالة على الحدث كدلالة الفعل على الحدث، كما أن فيه دلالة على أن المقسم به بصيغة جمع المؤنث السالم قسم بالمتحركات، وأن هذه الأحداث لم تخرج عن السياق الذى ورد فيه القسم؛ حيث اصطبغت السور التى وردت فيها هذه الأقسام بما اصطبغ به القسم من الحركة والحدث والدلالة على الكثرة، وبذلك ينسجم تركيب القسم مع السياق الذى ورد فيه، حيث يعملان معا كعملة واحدة ذات وجهين.

المقسم عليه (جواب القسم).

لم يحذف جواب القسم فى هذه المواضع الخمسة إلا فى موضع واحد، وهو جواب القسم فى سورة النازعات، وتقديره: لتبعثن، واتفقت الأجوبة الأربعة الأخرى فى تأكيدها بأكثر من مؤكد:

- **المؤكد الأول**: التأكيد بـ (إن) و (اللام).
- **المؤكد الثانى**: جاءت أجوبة القسم **جملة اسمية** مثبتة، والجملة الاسمية تدل على الثبوت.

---

(١)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٩٨.

(٢)التفسير البيانى للقرآن الكريم: ١/ ١٠٤.

- **المؤكد الثالث**: بعض هذه الأجوبة عطف عليها جمل اسمية ومؤكدة – أيضا – بـ (إن) و(اللام)، كما فى جواب القسم فى سورة الذاريات، حيث أتبع الجواب بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾، وكما فى سورة العاديات، حيث أتبع الجواب بجملتين أخريين وبلا فاصل بينهما، حيث قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾.

- **المؤكد الرابع**: صاحب هذه الأجوبة الدليل على صدقها، وقد يكون هذا الدليل فى السياق نفسه تاليا للقسم، أو فى سياق سابق للجواب، وسيتم تناوله فى عنصر الدليل على صدق الجواب.

- **من حيث السياق: هناك تشابه بين هذه الأقسام من حيث التركيب (فى أنها جمل اسمية مؤكدة بأكثر من مؤكد) إلا أن هناك اختلافا فى السياق الذى وردت فيه هذه الأقسام؛ وإلا كان تكرارا لا طائل منه - والقرآن الكريم منزه عن هذا - ولذلك فالسياقات المختلفة لهذه الأقسام تؤكد أن هناك فروقا فى المعنى والغرض الذى جاء من أجله القسم**؛ فيلاحظ مثلا فى سورة الصافات تكرار لفظ (آلهة) ثلاث مرات فى السورة نفسها، فى قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ ولم يأت لفظ (إله) بصيغة المفرد إلا فى أول السورة فى جواب القسم، فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ ﴾، وفى كلمة التوحيد فى الآية ٣٥ فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾، وورد اسم الجلالة (الله) فى سورة الصافات (أربع عشرة مرة)[1] فجاء اختيار لفظ (إله) فى جواب القسم مناسبا لسياق السورة، ومعبرًا عن صفات الإلوهية، وتبعه بما يؤكد صفات الربوبية فى قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾.

---

(١)ورد ذلك فى الآيات (٢٣، ٣٥، ٤٠، ٥٦، ٨٦، ٧٤، ٩٦، ١٠٢، ١٢٦، ١٢٨، ١٥٢، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٩).

وهذه الأجوبة مكونة من صورة واحدة - من حيث التركيب - للجملة الاسمية المؤكدة بـ (إن واللام) كالتالى: (إنَّ + اسمها + خبرها المؤكد باللام) وهى على الترتيب:

- **جواب القسم فى سورة الصافات:** ورد الجواب فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾[1] فقد أقسم الله - سبحانه - ببعض الصفات على توحيد ربوبيته وإلهيته، وقرر توحيد إلهيته بتوحيد ربوبيته[2]، واختيار لفظ واحد يفيد الوحدانية؛ ويتناسب مع السياق؛ لأن الكفار أشركوا مع الله آلهة كثيرة، وورد فى قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[4] فجاء لفظ واحد لتأكيد التوحيد ونفى مزاعمهم، وما أقسم به الله من (الصافات، والزاجرات، والتاليات) ليست كما يزعمون بأنها آلهة وإنما هى خلق من خلقه أقسم بها الله على وحدانيته.

- **جواب القسم فى سورة المرسلات:** ورد الجواب فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾، و(ما) موصولة، و(توعدون) صلتها، وعائد الصلة محذوف، أى: ما توعدونه، واتصالها بـ (إنَّ) من الرسم العثمانى، وهو رسم توقيفى، ليؤكد وقوع العذاب، وأن ما وعدهم الله به لكائن ولا شك فيه. ووعد من "الوعد يكون في الخير والشر يقال وعدته بنفع وضر وعدا وموعدا وميعادا، والوعيد في الشر خاصة يقال منه أوعدته ويقال واعدته وتواعدنا... ووعدت يقتضي مفعولين الثاني منهما مكان أو زمان أو أمر من الأمور نحو وعدت زيدا يوم الجمعة، ومكان كذا[5]".

---

(١)الصافات: ٤ - ٥.

(٢)ينظر التبيان فى أيمان القرآن: ٢٥٨.

(٣)المائدة: ٧٣.

(٤)النحل: ٥١.

(٥)المفردات فى غريب القرآن، مادة (وعد):٥٢٦- ٥٢٧، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٢/ ٥٥١، لسان العرب: ٣/ ٤٦١.

هناك تشابه من حيث التركيب بين الجواب هنا وجواب القسم فى سورة الذاريات، فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾[1]، حيث اختلف الفعلان فى جواب القسم، ففى أول سورة الذاريات جاء الفعل (لصادق) لمناسبة السياق فى ختام السورة السابقة (سورة ق)، حيث تكرر التحذير من الوعيد فيها أربع مرات فى قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِٱلْوَعِيدِ ۝٢٨ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥ ﴾ فافتتحت سورة الذاريات بالقسم على صدق الوعيد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦ ﴾، حيث "إنه لما ذكر في السورة السابقة، البعث والجزاء والجنة والنار وافتتح هذه بالقسم بأن ما وعدوا من ذلك صدق، وأن الجزاء واقع[2]"، واختيار لفظ صادق من الصدق فى القول، "الصدق والكذب أصلهما في القول ماضيا كان أو مستقبلا وعدا كان أو غيره، ولا يكونان بالقصد الأول إلا في القول، ولا يكونان في القول إلا في الخبر دون غيره من أصناف الكلام[3]" فجاء الجواب بقوله تعالى: (لصادق) للإشارة إلى **صدق القول،** أما اختيار الجواب فى سورة المرسلات بقوله تعالى: (لواقع) للإشارة إلى **وقوع العذاب؛** لأن اختيار كلمة (لواقع) يفيد الثبوت، والواقع هو الساقط المستقر على الأرض، كما أن وقع من "الوقوع ثبوت الشيء وسقوطه، يقال وقع الطائر وقوعا، والواقعة لا تقال إلا في الشدة والمكروه، وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ وقع جاء في العذاب والشدائد[4]" **فالجواب فى سورة**

---

(١)الذاريات: ٥ – ٦.

(٢)الروح والريحان فى روابى علوم القرآن: ٢٧/ ٤٩٧، والبحر المحيط: ٨/ ١٣٢.

(٣)المفردات فى غريب القرآن، مادة (صدق):٢٧٧.

(٤)المفردات فى غريب القرآن، مادة (وقع):٥٣٠، لسان العرب: ٨/ ٤٠٢، وتكررت كلمة واقع فى القرآن الكريم فى سورة الأعراف: ١٧١، سورة الكهف: ٥٣، سورة الشورى:٢٢، سورة الذاريات:٦، سورة الطور:٧، سورة الواقعة:١، ٧٥، سورة الحاقة: ١، سورة المعارج:١، سورة المرسلات: ٧.

الذاريات على صدق القول، وفى المرسلات على وقوع فعل العذاب بعد البعث، والدليل على أن القسم فى سورة المرسلات للإشارة إلى (الحدث)، أى: وقوع العذاب، ما تبعه من أمارات على هذا العذاب فى سياق السورة نفسه، بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ[1]، **والدليل على أن الجواب فى سورة الذاريات يشير إلى القول ما تبعه من أمارات فى السياق نفسه**، فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ[2]، فإن أقوالهم مختلفة وسؤالهم عن يوم الدين قول أيضا، **وبذلك يتضح أن هناك فروقا فى السياق على الرغم من اتفاق هذه الأقسام فى التركيب.**

ويلاحظ فى جواب القسم فى سورة الذاريات أن الجواب (ما) التى وردت فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾[3]، يجوز أن تكون اسمية، وعائدها محذوف، أي تُوعَدُونَهُ وأن تكون مصدرية فلا عائدَ على المشهور، وحينئذ يحتمل أن يكون توعدون مَبْنِيًّا من الوعْد، وأن يكون مبنياً من الوَعِيد، لأنه يصلح أن يقال: أوْعَدْتُهُ فهو يُوعَدُ، وَوَعَدْتُهُ فهو يُوعَد لا يختلف، فالتقدير: إن وعدكم أو إن وعيدكم[4]"، وباعتبار أن (الفاء) اسمية أو مصدرية فإن المعنيين مرادان – والله أعلم – أى أن وعدكم لواقع، وأن وعيدكم لواقع؛ فالوعد فى الخير للمؤمنين والوعيد فى الشر للكافرين، وجاءت كلمة (واقع) فى هذا السياق لتصلح للأمرين (الوعد والوعيد)، وعطف على القَسَم الأول قَسَم آخر بنفس التركيب، فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾ والمقصود بالدين، الجزاء، وكلمة (واقع) بمعنى: حاصل.

---

(١)المرسلات: ٨ – ١٣.

(٢)الذاريات: ٨ – ١٢.

(٣)الذاريات: ٥ – ٦.

(٤)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى: ١٨/ ٦٠.

- **جواب القسم فى سورة النازعات: الجواب محذوف** تقديره: لتبعثن، فالمقسم عليه هو البعث كما هو الحال فى القسم فى أول سورة المرسلات "لو ظهر كان: لتبعثُنّ، ولتحاسبُنّ؛ ويدل على ذلك قولهم: إذا كنا عظاما ناخرة. ألا ترى أنه كالجواب لقوله: لتبعثن إذ قالوا: إذا كنا عظاما نخرة نبعث[1]" والجواب هنا محذوف يدل عليه السياق، وهو البعث، وذكر ابن القيم أن الجواب لا يراد به شيء بعينه، فهو يرى"أنه من القسم الذى أريد به التنبيه على الدلالة والعبرة بالمقسم به، دون أن يراد به مقسم عليه بعينه، وهذا القسم يتضمن الجواب المقسم عليه وإن لم يذكر لفظا[2]"- **جواب القسم فى سورة العاديات**: ورد الجواب فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[3]، والكنود هو الكفور بالنعمة، والكنود من الأرض أى التى لا تنبت، وبمعنى البخيل، والعاصى، وهو معنى مذموم بلغات العرب المختلفة: "كند كنودا، أي كفر النعمة، فهو كنود. وامرأة كنود أيضا: وكند مثله. وأرض كنود: لا تنبت شيئا[4]"، الكنود هو "اللوام لربه تعالى، يذكر المصيبات وينسى النعم. والكنود: البخيل. والكنود: العاصي. والكنود: الأرض لا تنبت شيئا[5]" وقيل: "هو الجَحُود وهو أَحسن، وقيل: هو الذي يأْكُل وحْدَه ويمْنَعُ رِفْدَه ويَضْرِب عَبْده[6]"، **واشتمل الجواب على أكثر من مؤكد:**

الأول: أن الجواب جملة اسمية مثبتة، ومن سمات الجملة الاسمية دلالتها على الثبوت، أى ثبوت صفة الكنود لجنس الإنسان بصفة عامة، والكنود: "وصف من أمثلة المبالغة من كند ولغات العرب مختلفة في معناه فهو في لغة مضر وربيعة:

---

(١)معانى القرآن للفراء:٣/ ٢٣١.
(٢)التبيان فى أيمان القرآن:٢١٧.
(٣)العاديات: ٦ – ٨.
(٤)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،مادة (كند):٢/ ٥٣٢.
(٥)المعجم الوسيط،، مادة (كند):٢/ ٨٠٠.
(٦)لسان العرب، مادة (كند):٣/ ٣٨١.

الكفور بالنعمة، وبلغة كنانة: البخيل، وفي لغة كندة وحضرموت: العاصي. والمعنى: لشديد الكفران لله. والتعريف في (الإنسان) تعريف الجنس وهو يفيد الاستغراق غالبا، أي أن في طبع الإنسان الكنود لربه، أي كفران نعمته[1]"

الثانى: أنها مؤكدة بـ (إنَّ) و (اللام).

الثالث: العطف عليها بجملتين مؤكدتين بـ (إنَّ) و (اللام).

ويلاحظ فى جواب القسم فى سورة العاديات أنه **يتشابه فى التركيب** مع أجوبة القسم فى المواضع الثلاثة السابقة من حيث التركيب، **إلا أنه يختلف من حيث السياق**، لأن الجواب هنا يأتى متوافقا مع سياق السورة السابقة (سورة الزلزلة)، حيث إن "الله سبحانه لما ذكر فى السابقة الجزاء على الخير والشر.. أتبعه بتعنيف الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ولا يستعدون لحياتهم الثانية بتعويد أنفسهم فعل الخير[2]" **كما يلاحظ** أن الجواب فى سورة العاديات جاء للتذكير بأحوال الإنسان وتصرفاته فى هذه الحياة، وجاءت السورة السابقة (سورة الزلزلة) لبيان أن الله يحاسب بمثقال الذر من خير أو شر، وذكرت سورة العاديات بأن الإنسان شديد الحب للخير ينسى أنه سيأتى يوم يحاسب على أعماله ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[3]

عوارض التركيب.

تنوعت عوارض التركيب فى هذه الأقسام بين الحذف والعدول، أو الاعتراض بالمفعول به، كما يلى:

- **الحذف**: حيث **حذف فعل القسم** فى كل الأقسام، وتقديره: أقسم، وحذفه قياسى واجب[4].

---

(١)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٠٢-٥٠٣.

(٢)تفسير حدائق الروح والريحان فى روابى علوم القرآن: ٣٢/ ٢٤٨.

(٣)العاديات: ٨.

(٤)ينظر الكشاف: ٦/ ٢٨٧.

- **حذف جواب القسم**: حذف جواب القسم فى سورة النازعات، تعددت تأويلات العلماء فى الجواب[1] أرجحها أن تقديره: لتبعثن.

- **حذف الضمير فى جواب القسم فى سورة الذاريات** فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ ﴾، حيث حذف الضمير من الفعل (توعدون)، أى: توعدونه أو توعدون به وهو من أوعد للدلالة على التخويف، والمقصود به البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب.

- **حذف الموصوف**: حذفت موصوفات جميع الصفات فى مواضع القسم الخمسة، وأفاد حذف هذه الموصوفات **التوسع فى تأويلها**، كما فى حذفها فى سورة المرسلات، حيث ورد فى تأويلها أنها الملائكة، أو الرياح أو سحائب نشرن الموات، وكما فى حذف الموصوف فى سورة النازعات، حيث حذفت موصوفات الصفات الخمس للنازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات "وهذه الأمور الخمسة المقسم بها جموع جرى لفظها على صيغة الجمع بألف وتاء لأنها في تأويل جماعات تتحقق فيها الصفات المجموعة، فهي جماعات، نازعات، ناشطات، سابحات، سابقات، مدبرات، فتلك صفات لموصوفات محذوفة تدل عليها الأوصاف الصالحة لها. فيجوز أن تكون صفات لموصوفات من نوع واحد له أصناف تميزها تلك الصفات. ويجوز أن تكون صفات لموصوفات مختلفة الأنواع بأن تكون كل صفة خاصية من خواص نوع من الموجودات العظيمة قوامه بتلك الصفة[2]"

- **حذف مرجع الضمير المتصل بحرف الجر فى القسم فى سورة العاديات**، فى قوله تعالى: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ مما ساعد على التوسع فى تأويل مرجع هذا الضمير، فمن العلماء من قال إن الضمير الأول يعود على الوقت، أى: فأثرن فى ذلك الوقت الغبار، ومنهم من قال إنه يعود على مكان الإغارة، وإن كان

(١)ينظر التفسير البيانى للقرآن الكريم: ١/ ١٠٣-١٠٧.
(٢)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٠-٦١.

عوده على أقرب مذكور أرجح، أى على وقت الصبح: "فهيجن بذلك الوقت غبارًا (فَوَسَطْنَ بِهِۦ) بذلك الوقت، أو بالنقع، أي: وسطن النقع الجمع. أو فوسطن ملتبسات به (جَمْعًا) من جموع الأعداء. ووسطه بمعنى توسطه. وقيل: الضمير لمكان الغارة. وقيل: للعدوّ الذي دلّ عليه (وَٱلْعَدِيَٰتِ) ويجوز أن يراد بالنقع: الصياح، من قوله عليه الصلاة والسلام: "ما لم يكن نقع ولا لقلقة"[1]"، وقيل إن الضمير(به) قد يكون عائدًا على الصبح والباء ظرفية بمعنى (فى) "أى فى الصبح وإما عائد على العدو، والباء سببية[2]"

- **العدول**: حيث عدل من حرف العطف (الواو) إلى (الفاء) الدالة على الترتيب، كما فى القسم فى **أول سورة الصافات**، وإذا حكم بأن الفاء عاطفة فهى "إما أن تدل على ترتب معانيها فى الوجود، كقوله:

يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب .[3].

كأنه قيل: الذى صبح فغنم فآب. وإما أن تدل على ترتبها فى التفاوت من بعض الوجوه كقولك: خذ الأفضل فالأكمل، واعمل الأحسن فالأجمل. وإما على ترتيب موصوفاتها فى ذلك كقولك: (رحم الله المحلقين فالمقصرين)[4]"، "وعطف «الصفات» بالفاء يقتضي أن تلك الصفات ثابتة لموصوف واحد باعتبار جهة ترجع إليها وحدته، وهذا الموصوف هو هذه الطوائف من الملائكة[5]" **وأدى العدول من**

---

(١)الكشاف: ٦/ ٤١٨، والحديث فى صحيح البخارى، كتاب بدء الوحى، ٣٣ باب ما يكره من النياحة على الميت:١/ ٤٣٣، واللقلقة: الصوت، والحديث لسيدنا عمر:"دعهن يبكين على أبى سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة".

(٢)القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف: ٤٢.

(٣)البيت من بحر السريع، وهو لابن زيابة فى خزانة الأدب: ٥/ ١٠٧ ، ١١/ ٥، همع الهوامع: ٢/ ١٩.

(٤)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى:١٦/ ٢٧١ ، ٢٧٢، والحديث ورد بروايات مختلفة، منها رواية صحيح مسلم: " عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال رحم الله المحلقين، قالوا والمقصرين يا رسول الله قال والمقصرين." صحيح مسلم، باب تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصير: ٢/ ٩٤٦.

(٥)التحرير والتنوير: ٢٣/ ٨٢ ، ٨٣.

الواو إلى الفاء إلى طول الكلام، حيث طال الكلام بين القسم وجوابه بأكثر من جملة، وربطت الفاء بين هذه الجمل، وهذا الطول زاد من تشوق السامع إلى معرفة الجواب كما لفت إلى أهمية الجواب وقيمته عند (المتكلم)، وهو الله الذى أقسم بهذه المخلوقات، وفسر العدول من الواو إلى الفاء فى سورة المرسلات بأن "الواو الأولى للقسم، وما بعدها للعطف؛ ولذلك جاءت الفاء[١]"، وذكر أن الواو الثانية مع (الناشرات) للقسم أى أنه قسم آخر.

وأفاد العدول من الواو إلى الفاء فى **سورة النازعات** فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾[٢] إلى أن عطف النازعات، والناشطات، والسابحات بالواو، ثم عطف السابقات، والمدبرات بالفاء، وأفاد هذا العدول فى أدوار الملائكة عند بعض العلماء أنها صفات لموصوفات واحدة، ولكن اختلف العطف من الواو إلى الفاء للدلالة على الترتيب:" ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴾ معطوفة على السابحات بالفاء للدلالة على ترتب السبق على السبح فهى تسرع بما تحمله من أوامر الله فى أجواء السماء وآفاق الأرض[٣]" وقيل إن هذه صفات لموصوفات مختلفة "وأحسن الوجوه على الجملة أن كل صفة مما عطف بالواو مرادا بها موصوف غير المراد بموصوف الصفة الأخرى، وأن كل صفة عطفت بالفاء أن تكون حالة أخرى للموصوف المعطوف بالواو[٤]".

- **كما أدى العدول من الواو إلى الفاء إلى أن** ربطت الفاء بين الجمل فعطفت الصفات التى من جنس واحد، كما أن هناك ربطا من حيث السياق القرآنى، حيث يتضح الربط بين نهاية السورة السابقة لسورة الذاريات فى ترتيب المصحف (سورة ق) وبداية سورة الذاريات؛ لأن (سورة ق) ختمت بذكر البعث واشتملت على

---

(١)التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى: ٢/ ١٢٦٢.
(٢)النازعات: ١ - ٥.
(٣)القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف: ١٧.
(٤)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦١.

ذكر الجزاء والنار[1] بقوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[2]، وافتتحت سورة الذاريات بالقسم لإثبات البعث وما أوعد الله به الكفار فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦ ﴾ "وعطف تلك الصفات بالفاء يقتضي تناسبها وتجانسها، فيجوز أن تكون صفات لجنس واحد وهو الغالب في عطف الصفات بالفاء[3]" هذا فى الأقسام الأربعة إلا فى سورة النازعات، حيث إن هذه الأقسام اختلف العطف فيها بين حرف العطف (الواو) و(الفاء)، "والذي يقتضيه غالب الاستعمال أن المتعاطفات بالواو صفات مستقلة لموصوفات مختلفة أنواع أو أصناف، أو لموصوف واحد له أحوال متعددة، وأن المعطوفات بالفاء صفات متفرعة عن الوصف الذي عطفت عليه بالفاء، فهي صفات متعددة متفرع بعضها عن بعض لموصوف واحد[4]".

والعطف من الواو إلى الفاء فى سورة العاديات أفاد السرعة، حيث جاءت الجمل قصيرة معطوفة بالفاء لإفادة السرعة والترتيب فى المشهد، وكأنها صورة خاطفة مختصرة من مشاهد الحرب، لاتستغرق كثيرًا؛ فحذف فعل القسم، وهذا الحذف يتناسب مع السياق.

- **العدول من اسم الفاعل إلى الفعل فى القسم فى أول سورة العاديات**: عدل فى سياق القسم فى سورة العاديات من الاسم إلى الفعل الماضى، فى قوله تعالى: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ بعد أن بدأت بأسماء لموصوفات محذوفة، حيث قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾، وهى جموع إناث، ثم عدل السياق إلى جملتين فعليتين فعلهما ماض، بحرف العطف (الفاء) الدال على السرعة والتعقيب؛ مما يجسد **حالة من الحركة السريعة**، كما أن هاتين الجملتين لا تدخلان فى الأقسام التى أقسم الله بها فى أول السورة: "وعدل الله إلى

---

(١)ينظر روح المعانى:٢٧/ ٢.

(٢)ق: ٤٥.

(٣)التحرير والتنوير: ٢٦/ ٣٣٧.

(٤)التحرير والتنوير:٣٠/ ٦١.

الفعل الماضى فى الصيغتين الأخيرتين: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ للدلالة على أنهما لا يدخلان فى القسم، فالله أقسم بالعاديات الموريات المغيرات، ثم قال إنها توسطت جمعا وأثارت فيه الغبار الكثيف، وذكر ابن القيم أن ذكر الفعل أفضل من الاسم: "وكان ذكر الفعل فى "أثرن" و "وسطن" أحسن من ذكر الاسم؛ لأنه - سبحانه - قسم أفعالهن إلى قسمين: وسيلة وغاية. فالوسيلة هي العدو وما يتبعه من الإيراء والإغارة. والغاية هي توسط الجمع وما يتبعه من إثارة النقع. فهن عاديات، موريات، مغيرات، حتى يتوسطن الجمع، ويثرن النقع. فالأول شأنهم الذي أعددن له. والثاني: فعلهن الذي انتهين إليه، والله أعلم[1]."وقيل الحكمة من عطف الفعل (أثرن) على الاسم الذي هو (العاديات) وما بعدها أنها "أسماء فاعلين، تعطي معنى الفعل. وحكمة مجيء هذا المعطوف فعلا عن اسم فاعل: تصوير هذه الأفعال في النفس؛ **فإن التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم، لما بينهما من التخالف: وهو أبلغ من التصوير بالأسماء المتناسقة، وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضي**[2]".

المقسم (المتكلم).

المقسم (المتكلم) فى المواضع الخمسة **هو الله عز وجل**، حيث أقسم سبحانه وتعالى بخلق من خلقه، والقسم بهذه الأقسام لمناسبة السياق، وللمناسبة بينها وبين المقسم عليه.

المخاطب بالقسم.

وجه الخطاب بالقسم فى المواضع الخمسة لغير المؤمنين، وفى الوقت نفسه يصلح لعموم الناس للاعتبار به، فمن الملاحظ أن **المخاطب بالقسم فى سورة الصافات هم الكفار** الذين كانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله، فافتتحت السورة بالقسم على وحدانية الله لترسيخ العقيدة فى النفوس، و**المخاطب بالقسم فى سورة المرسلات هم**

---

(١)التبيان فى أيمان القرآن:١٢٥.

(٢)الكشاف: ٦/ ٤١٧ هامش (٢).

المشركون "أي ما توعدكم الله به من العقاب بعد البعث واقع لا محالة وإن شككتم فيه أو نفيتموه[1]"، والخطاب يصلح لجميع الخلق، **والمخاطب بالقسم فى سورة النازعات هم الكفار** المكذبون بالبعث "لما نزل قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ قال كفار قريش: لئن حيينا بعد الموت لنخسرن فنزلت ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[2]"، **والمخاطب بالقسم فى سورة الذاريات هم الكفار**، حيث إن الله – عز وجل – أوعدهم لتكذبيهم، كما يصح أن يكون الخطاب عام للتفكر والتدبر، أما **المخاطب بالقسم فى سورة العاديات** فهو جنس الإنسان عامة والكفور بالنعمة الجاحد بها خاصة، **واتسمت هذه الأقسام بأنها جاءت مناسبة للمخاطبين بالقسم**، ففيها الأدلة المؤكدة على صدقها من السياق، وجاءت مفردات الجواب فيها تهديد ووعيد حتى يتوب من يتوب إلى الله قبل فوات الأوان.

الغرض من القسم.

الغرض من القسم فى سورة الصافات **هو إثبات التوحيد** (توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية)، حيث قال تعالى فى الجواب: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾[3]، أما الغرض من القسم فى سورة المرسلات، وفى أول سورة النازعات، وفى أول سورة الذاريات: فهو **لإثبات البعث** وما يتبعه من عقاب وثواب لحساب المبطلين والمكذبين، وجاء الغرض من القسم فى سورة العاديات **للتذكير بأحوال الإنسان وتصرفاته** فى هذه الحياة للتخلص من هذه الصفات الذميمة قبل دخول القبر وإخراج ما فى الصدور: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[4]، **وجاءت عناصر القسم فى هذه الأقسام متناسبة مع الغرض الذى جاء له القسم، ومتفقة مع السياق الذى ورد فيه هذا القسم**، كما فى سورة الصافات؛ فإن الغرض من القسم هو إثبات التوحيد فأقسم الله

---

(١)التحرير والتنوير: ٢٩/ ٤٢٣.

(٢)لباب النقول في أسباب النزول للسيوطى: ٢٨٥.

(٣)الصافات: ٤ – ٥.

(٤)الشعراء: ٨٨ – ٨٩.

بطوائف من الملائكة التى ظن البعض أنها بنات الله، وجاء المقسم عليه بتوحيد الله عز وجل، وأكد الجواب بـ (اللام) و (إن)، وأتبعه الله عز وجل بالدليل على صدق هذا الجواب، كل هذا يصب فى تحقيق الغرض من القسم، وهو إثبات التوحيد، وكذا فى بقية الأقسام.

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه.

١ - المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى سورة الصافات: جاء القسم فى افتتاح سورة الصافات مناسبا لختام السورة السابقة لها (سورة يس)، حيث جاء فى خواتيم سورة يس قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾[١]، ولم يؤمنوا بأن الله واحد، وجاء بعضهم ينكر البعث وإحياء الموتى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾[٢] فأقسم فى أول سورة الصافات على وحدانيته؛ فلا يحيى العظام إلا الله الواحد القهار.

أقسم الله بطوائف من الملائكة على إثبات وحدانيته عز وجل، وجاء المقسم به مناسبا للجواب، حيث إن هذه الطوائف التى عدها الكفار بنات الله إنما هى خلق من خلقه يأتمر بأوامره وينتهى بنواهيه، فمنها الصافات، ومنها الزاجرات، ومنها التاليات ذكرا، فهى متعددة، ولكن الله واحد ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾[٣]، وأقسم بالجمع على الوحدانية، وعطف بين صفات جموع الملائكة بالفاء للدلالة على توحيد الموصوف، أى الملائكة، فهناك تناسق وتناسب بين السياق اللغوى والسياق المقامى فى الغرض المسوق من أجله القسم، حيث إن "الصفات التي لوحظت في القسم بها **مناسبة للأغراض المذكورة بعدها**، فالصافات يناسب عظمة ربها، وفالزاجرات يناسب قذف الشياطين عن السماوات، ويناسب تسيير الكواكب وحفظها من أن يدرك بعضها بعضا، ويناسب زجرها الناس في

(١)يس: ٧٤.
(٢)يس: ٧٨.
(٣)الصافات: ٥.

المحشر. والتاليات ذكرا يناسب أحوال الرسول والرسل عليهم الصلاة والسلام وما أرسلوا به إلى أقوامهم[1]."

ويلاحظ أن المقام فى بداية هذه السورة مقام إنكار لزعم الكفار بأن الملائكة هم بنات الله؛ فجاءت السورة مفتتحة بالقسم لإثبات التوحيد بالاستدلال بالكون المشهود، وهذا القسم مناسب للجواب؛ لأن العرب كانوا يزعمون أن الملائكة هم بنات الله، وربطت الواو فيما أقسم الله به بين ما هو غيبى غير مشهود (طوائف الملائكة) على وحدانية الله، ودلل على هذه الوحدانية بوصف ذاته بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق؛ فلم يدع أحد أنه خالق السماوات والأرض وما بينهما، ورب المشارق، أى مشارق الفصول الأربعة المشهورة للجميع.

٢- المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى سورة المرسلات: المقسم به قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾[2] وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾[3] اختلف العلماء فى المقصود بالمقسم به، فقيل إن الصافات هى الرياح، وقيل هى الملائكة، وهذا الغموض مناسب لغموض موعد يوم القيامة، وهو أمر غيبى "وقد اختلف السلف في حقيقة مدلولها. فقال بعضهم: هي الرياح إطلاقا. وقال بعضهم هي الملائكة إطلاقا. وقال بعضهم: إن بعضها يعني الرياح وبعضها يعني الملائكة.. مما يدل على غموض هذه الألفاظ ومدلولاتها. وهذا الغموض هو أنسب شيء للقسم بها على الأمر الغيبي المكنون في علم الله. وأنه واقع كما أن هذه المدلولات المغيبة واقعة ومؤثرة في حياة البشر[4]."، لما أقسم الله – عز وجل – بطوائف من الملائكة، أو بالرياح، أو بالأنبياء، أو غيرها من التفسيرات التى فسرت

---

(١)التحرير والتنوير: ٢٣/ ٨٢، ٨٣.

(٢)المرسلات: ١ – ٦.

(٣)المرسلات: ٧ .

(٤)فى ظلال القرآن:٦/ ٣٧٩١.

بها – والتى اختلف فيها علماء التفسير – يتضح أن هناك علاقة وربطا بين هذه الأقسام، والغرض من القسم فى قوله تعالى: ﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ أى عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين، حتى إذا جاء يوم القيامة وجد كل فريق ما وعده الله: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، عندئذ يعلمون أن ما وعدهم الله واقع، كما يوحى السياق هنا أن المشهد المنقول لنا من مشاهد يوم القيامة، وهى مشاهد غيبية ربطت بينها واو القسم وبين المشاهد المحسوسة الملاحظة فى الدنيا من ذهاب ضوء النجوم، وعندما تنسف السماء، وإذا قلعت الجبال وأزيلت بسرعة... فهذه الأمور المشهورة لنا يحدث لها ما يدلل على وقوع ما وعد به كل من المؤمن والكافر.

٣- المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى سورة النازعات: عند ربط المعنى المعنوى بالحسى – كما هو الحال فى كثير من الأقسام التى جاء فيها حرف القسم الواو- فإن معنى النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات ستكون صفات لموصوفات محسوسة مرئية وهى **الخيل المغيرة**، وقد رجحت هذا الرأى الدكتورة عائشة عبد الرحمن فقالت: "ونحن أكثراطمئنانًا إلى تفسير النازعات بالخيل المغيرة، دون تحديد لها بخيل الغزاة كما قال الزمخشرى وغيره من المفسرين متأثرين بنزعة التعظيم فى القسم بها، فما كان للمسلمين فى العهد المكى خيل تغزو، ولا كان هناك دار سلام ودار حرب يخرج الغزاة منها وإليها، والقول بأن هذا سوف يكون بعد الهجرة، لا مجال له هنا بعد هذا اللفت إلى واقع مشهود، توطئة للإقناع بغيب يمارون فيه! وقد لفت القرآن فى (سورة العاديات) إلى الخيل عاديات ضبحًا مثيرات نقعا مغيرات صبحا، ليستحضر بها موقف البعث إذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور. وما نرى السياق فى (النازعات) إلا شبيها بالذى فى (العاديات)، فالاستئناس بإحداهما فى فهم الأخرى، أصح منهجا من أن نبعد فى

---

(١)الأعراف: ٤٤.

التأويل إلى مسبح الملائكة فى آفاقها الغيبية غير المنظورة ولا المدركة[١]." ويلهم السياق اللغوى أصحاب هذا الرأى تفسير النازعات بأنها الخيل المغيرة، حيث إن اختيار المفردات الخمسة فى القسم من معانيها أنها تناسب معنى الخيل المغيرة[٢]. ساعدت الدلالة المعجمية لمعانى هذه الصفات الخمس، فى هذه التأويلات، ثم استمد العلماء هذه المعانى من السياق لوجود قرائن على هذه المعانى، وهذه القرائن فى السورة، وفى القرآن الكريم.

وقيل إن الناشطات هى الملائكة تنشط نفوس المؤمنين، أو نفوس المؤمنين تنشط للخروج "والسابحات صفة من السبح المجازي، وأصل السبح العوم وهو تنقل الجسم على وجه الماء مباشرة وهو هنا مستعار لسرعة الانتقال، فيجوز أن يكون المراد الملائكة السائرين في أجواء السماوات وآفاق الأرض، وروي عن علي بن أبي طالب. ويجوز أن يراد خيل الغزاة حين هجومها على العدو سريعة كسرعة السابح في الماء[٣]."، وإذا أخذ بالرأى الذى يرى أن الواو التى تلت القسم بالنازعات هى واو العطف فإن الجمل التالية لها معطوفة بـ (الواو والفاء)، وإذا اعتبرنا أنها أقسام فالواو هنا هى (واو القسم) وهى أقسام متتالية يربط بينها المعنى، وتوحيد الجواب، تقديره: لتبعثن؛ لأن هناك ارتباطا بين التركيب والمعنى من خلال العلاقات بين الجمل: "أما المستوى الثانى فكان يتمثل فى العلاقات المتنوعة بين الكلمات ثم بين الجمل؛ فاللغة العربية ذات سمات وخصائص اهتم لها النحويون القدامى أمثال سيبويه وغيره، كما اهتموا بالتراكيب، وأدركوا أن الخبرة بتراكيب اللغة هي فى الوقت ذاته خبرة بالأغراض التي تعبر عنها، أو بعبارة أخرى أدرك النحاة أن هناك ارتباطا قويا بين ما يسمى بالتركيب وما يسمى بالمعاني أو الأفكار، فالعلاقة بين الفكر واللغة شغلت من بعض الوجوه هؤلاء النحاة[٤]."

---

(١)التفسير البيانى للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبد الرحمن: ١/ ١٢٤-١٢٥.
(٢)ينظر التفسير البيانى للقرآن الكريم: ١/ ١٢٥-١٢٨.
(٣)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٣.
(٤)البلاغة والأسلوبية: ٣٩.

٤- المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى سورة الذاريات: تختلف المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه بحسب تعدد أوجه الاختلاف بين العلماء فى المقصود بهذه الأقسام (الذاريات – الحاملات – الجاريات)؛ فلو كان المقصود بها الرياح، فهى للتذكير بنعمة هذه المخلوقات للخلق وأنهم سيحاسبون على هذه النعم التى خلقها الله لهم :"أقسم الله بعظيم من مخلوقاته وهو في المعنى قسم بقدرته وحكمته ومتضمن تشريف تلك المخلوقات بما في أحوالها من نعم ودلالة على الهدى والصلاح، وفي ضمن ذلك تذكير بنعمة الله فيما أوجد فيها[١]."، كما أن فيها دلائل على قدرة المولى – عز وجل – وأنه لا يستطيع إيجادها إلا الله ولا تأتمر إلا بأوامره؛ من أجل ذلك فالمكذبون بالبعث يجب عليهم أن يتأملوا فى قدرة رب هذه المخلوقات وما فى أحوالها من نعم، وقدرته على تصريفها لا تقل عن قدرته على البعث الذى يكذبون به. ولو كان المقصود بهذه المخلوقات أنها لمخلوق واحد، وهو الرياح، ففيها القدرة التى لا ينكرها إلا كل لاه غافل، فهى مناسبة للجواب؛ فكما فيها من النعم فيها أيضا من النقم التى لو سلطها الله على قوم لأهلكتهم كما أهلكت عاد بريح صرر عاتية: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾[٢] فلا تقل قدرته على خلق هذه الرياح وما بها من خير أو غير ذلك – عن قدرته على البعث:" فمن قدر عليها فهو قادر على تحقيق البعث الموعود[٣]."

هذا المشهد من الربط بين الدنيا والآخرة والذى يأخذ الإنسان من الدنيا إلى الآخرة، من الحياة إلى البعث بعد الموت مباشرة، ثم الحساب، تماما كما تأخذ الريح التراب وتنقله من مكان إلى مكان، وكما تنقل السحاب من مكان إلى مكان، وكذا كما تحرك السفن من مكان إلى مكان، ثم يأتى دور الملائكة التى تقسم المطر على

---

(١)التحرير والتنوير:٢٦/ ٣٣٦.

(٢)الحاقة: ٦ – ٨.

(٣)روح المعانى:٢٧/ ٤.

العباد، وكأن السورة ألقت بمشهد البدء والختام دفعة واحدة خاطفة بين الذاريات والبعث والحساب فى جمل قصيرة خاطفة مترابطة ومتعاقبة بالفاء السريعة التى لا مجال فيها لإضاعة الوقت، وفى هذا القسم "**مناسبة بين المقسم به والمقسم عليه** وهو قوله: (إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع) فإن أحوال الرياح المذكورة هنا مبدؤها: **نفخ، فتكوين، فإحياء**، وكذلك البعث مبدؤه: **نفخ** في الصور، **فالتئام أجساد الناس** التي كانت معدومة أو متفرقة ، **فبث الأرواح** فيها فإذا هم قيام ينظرون. وقد يكون قوله تعالى: (أمرا) إشارة إلى ما يقابله في المثال من أسباب الحياة وهو الروح لقوله: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾[1]. "[2]

وقدرة الله على خلق هذه المخلوقات وتسيير الرياح تؤكد قدرته على تحقيق وعده؛ فالمناسبة بين القسم وجوابه تتضح من القدرة المطلقة لله – عز وجل – فيما يريد من إنفاذ قدرته فى هذه المخلوقات وإنفاذ وعده فى خلقه يوم القيامة، واختيار هذه المخلوقات للإقسام بها مناسب للسياق وللمقسم عليه؛ فهى دليل على قدرة الله – عز وجل – ومن قدر عليها قدر على البعث: "وفي تخصيص المذكورات بالإقسام بها رمز إلى شهادتها بتحقق الجملة المقسم عليها من حيث إنها أمور بديعة فمن قدر عليها فهو قادر على تحقيق البعث الموعود[3]."

٥- المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى سورة العاديات: من معانى العادية "شُغْلٌ من أَشْغال الدهر يَعْدُوك عن أُمورك أَي يَشْغَلُك، وجمعها عَوَادٍ، وقد عَداني عنك أَمرٌ فهو يَعْدُوني أَي صَرَفَني[4]." ففيها مناسبة بين انشغال الإنسان بأمور الدنيا عن طاعة الله وشكره على ما أنعم به عليه، كما أن فيها عدوانا من الإنسان على المنعم، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم

---

(١)الإسراء: ٨٥.

(٢)التحرير والتنوير: ٢٦/ ٣٣٩.

(٣)روح المعانى:٢٧/ ٤.

(٤)لسان العرب، مادة (عدا):١٥/ ٣٤.

تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه[1]." فكيف إذا كان رب العالمين هو المنعم؟ والإيقاع الموسيقي فيه خشونة ودمدمة وفرقعة، تناسب الجو الصاخب المعفر الذي تنشئه القبور المبعثرة، والصدور المحصل ما فيها بشدة وقوة، كما تناسب جو الجحود والكنود، والأثرة والشح الشديد .. فلما أراد لهذا كله إطاراً مناسباً، اختاره من الجو الصاخب المعفر كذلك، تثيره الخيل العادية في جريها، الصاخبة بأصواتها، القادحة بحوافرها، المغيرة فجاءة مع الصباح، المثيرة للنقع والغبار، الداخلة في وسط العدو على غير انتظار.. فكان الإطار من الصورة والصورة من الإطار[2]."

العلاقة بين جملة القسم وجملة الجواب علاقة تأكيد، هذا التأكيد هنا لجحود الإنسان، وهذه العلاقة تتجسد بين مشاهد المقسم به ومشهد الدليل على المقسم عليه، وهى فكرة المباغتة فى المشهد الأول فى الصورة الحسية الملحوظة، والمباغتة فى الصورة الغيبية فى الدليل على صدق جواب القسم "أما تخصيص الإغارة بوقت الصبح فلم يفت المفسرين إدراك ما فيه من دلالة على المفاجأة: قال فى التبيان: "والعدو لم يأخذوا أهبتهم، بل هم فى غرتهم وغفلتهم" ومثله فى تفسير الشيخ محمد عبده. وملحظ المباغتة فى الصبح، أوضح من أن يحتاج إلى بيان، اللهم إلا أن نذكر هنا أن اللغة يوم الصبح بمعنى يوم الغارة، وأن القرآن الكريم استعمل الصباح والإصباح والصبح فى موقف المباغتة والإنذار[3]."، وكأن الإنسان بهذا المشهد هو المباغَت الذى يأتيه الموت فجأة، وجاءت جملة الاستفهام مقترنة بـ "إذا" الفجائية للدلالة على المفاجأة، وقصر الآيات للدلالة على قصر العمر. والقسم بالعاديات يعنى الإشارة إلى الإنسان الذى يحثها على العدو، أو بالنفوس العاديات على الآخرين الظالمة لهم، فهذا الإنسان يعدو على الغير كما تعدو الخيل المغيرة على الأعداء، فالقسم بالعاديات للمبالغة فى تجسيد الصورة التى عليها الإنسان الذى

(١)سنن أبى داود، ٣٩ باب عطية من سأل بالله – كتاب الطهارة: ٢/ ١٢٨.
(٢)فى ظلال القرآن :٦/ ٣٩٥٧-٣٩٥٨.
(٣)التفسير البيانى للقرآن الكريم :١/ ١٠٧.

يحثها على العدو، وأن صورة العادية ما هى إلا صورة مصغرة أو انعكاس لحالة الإنسان الذى يحثها على العدو، ثم يأتى الجواب بعد ذلك أن الإنسان الذى يحدث هذه الجلبة ما هو إلا جاحد لربه ناسيا يوم القيامة، وناسيا أنه سوف يبعث ويحاسب على ما كان يخفيه فى صدره، فبلاغة القسم هنا أنه بالعاديات (الخيل) وليس بالإنسان الذى يحثها على العدو؛ إذ لا تعدو الخيل - غالبًا - بدون عاد، ومثل ذلك كثير فى القرآن الكريم، ومنه ما ذكر فى سورة يوسف فى قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾[1] والمراد بالقرية: أهلها، ثم إن مجىء القسم بصيغة الجمع وليس بصيغة المفرد – على الرغم من أن كل إنسان يكد ويكدح لنفسه – إنما جاء لبيان أن هذه الصفة وإن كانت لكل إنسان بمفرده إلا أنه يجتمع فيها الكثير، وهذا الإنسان الذى يسعى بمفرده لهدفه، يشاركه فيه الكثير من الناس فأصبحوا كالمتفقين على هدف واحد يتنافسون عليه، كذا خيل الغزاة بأصحابها (ركبانها) ، ثم كان جواب القسم فى أبلغ صورة، حيث أجاب عنه بـ (الإنسان) والمراد جنس الإنسان، وأكثر ما يراد به الكافر.

الدليل على صدق الجواب فى الأقسام التى وردت بصيغة جمع المؤنث السالم.

كلما علت رتبة المتكلم ومكانته عند البشر كان ذلك أقرب إلى التصديق، فما بالك بالعلى الكبير عندما يتكلم، فضلا عن أن يقسم على أمر ما، فإن هذا القسم لا يقف عند التصديق به، وإنما يتبعه **بالحجة والدليل** على صحة ما يقسم عليه أو يسبقه بهذا الدليل، **ويعد الدليل على صدق جواب القسم وسيلة من وسائل التوكيد الذى تميز بها القسم القرآنى، والذى تكرر بصورة مطردة مع أقسام القرآن الكريم**، ويتم تناول هذه الأدلة فى إطار العناصر السياقية التى تسبق أو تلحق أسلوب القسم القرآنى، أى أن هذه الأدلة من سياق القسم؛ فتعد قرينة سياقية، **وفيما يلى تتبع لهذه الأدلة فى الأقسام الخمسة المبدوءة بجمع المؤنث السالم:**

---

(١)يوسف: ٨٢.

١- **الدليل على صدق الجواب فى سورة الصافات**: جاء الدليل هنا فى سياق القسم **تاليًا للجواب**، حيث إن الله تعالى "لما أقسم بهذه الأشياء على صحة قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾﴾ **ذكر عقيبه ما هو الدليل اليقينى فى كون الإله واحدا** وهو قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾ وذلك لأنه تعالى بين فى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[(١)] أن انتظام أحوال السماء والأرض يدل على أن الإله واحد[(٢)]." فقسم الله على أنه رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق ما لم يدعه أحد." أتبع تأكيد الإخبار عن وحدانية الله تعالى بالاستدلال على تحقيق ذلك الإخبار لأن القسم لتأكيده لا يقنع المخاطبين لأنهم مكذبون من بلغ إليهم القسم، فالجملة استئناف بياني لبيان الإله الواحد مع إدماج الاستدلال على تعيينه بذكر ما هو من خصائصه المقتضي تفرده بالإلهية. فقوله: رب السماوات والأرض خبر لمبتدأ محذوف. والتقدير: هو رب السماوات، أي إلهكم الواحد هو الذي تعرفونه بأنه رب السماوات والأرض إلى آخره[(٣)]."

٢- **الدليل على صدق الجواب فى سورة المرسلات**: تأتى الأدلة تترى فى سياق السورة بصور مختلفة، منها **الأدلة اللغوية والأدلة المقامية**، فبعدما ذكر الجواب، جاء بالدليل على صدق هذا الجواب، وتتضح هذه الأدلة فى سياق السورة فى المشاهد التالية:

١- **مشهد يوم الفصل**: وهو ذكر علامات ذلك اليوم الذى يقع فيه ما وعد الله به عباده المؤمنين وغير المؤمنين، وذكر الوقت الذى ستقع فيه بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[(٤)]، ومن دلالة إذا فى اللغة أنها تأتى للأمر المقطوع بحصوله أو الكثير الحصول، "تأتى

---

(١)الأنبياء: ٢٢.

(٢)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى:١٦/ ٢٧٤.

(٣)التحرير والتنوير: ٢٣/ ٨٦.

(٤)المرسلات: ٨ - ١١.

لما تُيَقن وجوده أو رُجح[1]."، أى أن هذه الأحداث من اختفاء ضوء النجوم، وشق السماء بسرعة، وجمع الرسل لوقتها للشهادة أو أرسلت لأوقات معلومة على ما علمه الله وأراده[2]. وكل هذه الأحداث مقطوع بحصولها.

٢- ما ورد فى القرآن من ذكر مصارع الغابرين وسنن الله فى المكذبين: وذلك فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[3].

٣- النشأة الأولى وما توحى به من تقدير وتدبير: وذلك فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[4].

٤- الأرض وما تضمه من أحياء وأموات: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[5].

٥- مصير المكذبين يوم القيامة وما يلقونه من عذاب وتأنيب، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾[6]، وبعد هذه الأدلة على وقوع الحساب تختم السورة بالاستفهام التعجبى فى قوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[7]، أى بأى شىء سيؤمنوا إن لم يؤمنوا بهذه الأدلة على البعث والحساب يوم القيامة[8].

---

(١)الجنى الدانى:٣٦٧.
(٢)اللباب فى علوم الكتاب:٢٠/ ٦٧-٧٠.
(٣)المرسلات: ١٦ - ١٩.
(٤)المرسلات: ٢٠ - ٢٤.
(٥)المرسلات: ٢٥ - ٢٨.
(٦)المرسلات: ٢٩ - ٣٣.
(٧)المرسلات: ٥٠.
(٨)ينظر فى ظلال القرآن :٦/ ٣٧٩٠.

٣- الدليل على صدق الجواب فى سورة النازعات: لما كذب الكفار بالبعث وقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾[(١)]، جاء الدليل على صدق جواب القسم فى السورة نفسها تاليا للجواب فى أكثر من مشهد من مشاهد يوم القيامة، **ومن هذه المشاهد:**

- **دليل غيبى:** وهذا الدليل كذب به الكفار، حيث يعرض الله هذه الأدلة فى مشهد من مشاهد يوم القيامة مهد له بمطلع القسم بالصفات الخمس فى أول السورة: "يجيء المشهد الأول من مشاهد ذلك اليوم. ظله من ظل ذلك المطلع وطابعه من طابعه؛ كأنما المطلع إطار له وغلاف يدل عليه: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾[(٢)]"[(٣)] وهذه علامات حقيقية مصورة على البعث والحساب.

- **دليل لإهلاك الأمم السابقة:** وهو إغراق فرعون وجنوده، الذى جعله الله عبرة لمن يكذب بآيات الله، حيث قال فى السورة نفسها: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾[(٤)].

- **دليل مشهود دائم:** وهو خلق السموات والأرض والجبال ، حيث يقول الله عز وجل: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ

---

(١)النازعات: ١١.
(٢)النازعات: ٦-١٤.
(٣)فى ظلال القرآن:٣٨١١.
(٤)النازعات: ١٥ - ٢٦.

ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾[1] وجاءت هذه الأدلة لبيان أن هناك بعثًا وحسابًا على أعمال العباد.

٤- **الدليل على صدق جواب القسم فى سورة الذاريات:** يختلف الدليل هنا على صدق الجواب باختلاف المقام الذى ورد فيه القسم، والأقسام التى أقسم الله بها؛ فالغرض من القسم هنا إثبات البعث وما يعقبه من عقاب وثواب، فالأقسام التى أقسم الله بها تتناسب مع الأدلة على صدق الجواب، حيث إن هذه الأقسام ترتبط بالكون وما به من أدلة على قدرة الله تعالى فى تصريف الكون وتدبير أمور العباد، وجاء الدليل على صدق الجواب فى إثبات البعث بذكر قصص إهلاك الأمم الظالمة التى انحرفت عن منهج الله فى السورة نفسها، مثل إهلاك قوم لوط (فى الآيات ٣٢-٣٧) وإهلاك فرعون (فى الآيات ٣٨-٤٠)، وإهلاك قوم عاد بالريح (فى الآيات ٤١-٤٢)، وإهلاك ثمود (فى الآيات ٤٣-٤٥)، وإهلاك المكذبين من قوم نوح، وغيرها من الأمم السابقة، ثم تختتم السورة بالوعيد للمكذبين بهذا اليوم (يوم البعث) فى قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾[2].

٥- **الدليل على صدق جواب القسم فى سورة العاديات:** تضمن الجواب ثلاث جمل معطوفة بالواو: **الأولى** تبين أن الإنسان (كنود) أو عاص أو بخيل - كما ورد فى المعنى اللغوى لكلمة (كنود) - والجملة **الثانية** أن الإنسان شهيد على هذه الأعمال المذمومة، والجملة **الثالثة** تبين أن الإنسان محب للخير، أى للمال بطبعه، وقد وردت الأدلة على ذلك فى سياق القرآن الكريم فى أكثر من موضع – منها ما ورد **فى سياق السورة نفسها**، فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴾[3]، **ومنها ما ورد فى سياق سابق لهذه السورة**، نحو قوله

---

(١)النازعات: ٢٧ - ٣٢.

(٢)الذاريات: ٦٠.

(٣)العاديات: ٧ - ١١.

تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[2]، **ومن الأدلة اللاحقة** لهذا الصورة من القسم، قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾[3].

ويضم القسم ثلاثة مشاهد:

المشهد الأول: مرأىٌ محسوس نراه فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾[4] وهو مشهد الخيل العادية الضابحة القادحة بحوافرها عندما تغير على العدو فجأة فى الصباح وهو غافل لاه فتثير فى نفوسهم الذعر كما تثير الغبار بعدوها.

المشهد الثانى: داخل النفس الإنسانية، حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[5]، حيث يتضح على مر العصور، وهو مواز لهذا المشهد، ولكنه يختلف فى الزمان (وهو شاخص حاضر يجسد حالة الإنسان فى جحوده على مر العصور)، أى أن زمانه ممتد على مر العصور من لدن آدم إلى يوم القيامة، ويختلف فى المكان (حيث نراه مؤكدا باللام فى قوله تعالى: (لكنود) ثابت فى النفس الإنسانية ممثلا فى الجحود والشح الشديد، حتى استقر داخل النفس إلا عند المؤمنين.

المشهد الثالث: مشهد بعثرة القبور، ونراه فى قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾[6] بعثرة القبور

---

(١) التوبة: ٧٦.
(٢) آل عمران: ١٨٠.
(٣) الماعون: ١ – ٣، وجسد صاحب الظلال هذه المشاهد، فى ظلال القرآن: ٦/ ٣٩٧٥-٣٩٥٨.
(٤) العاديات: ١ – ٥.
(٥) العاديات: ٦ – ٨.
(٦) العاديات: ٩ – ١١.

(يوم القيامة) التى ضمت ما اقترفه الإنسان من أعماله على المستويين الزمانى (العمر) والمكانى (ما كان بداخل النفس) ورآه صاحبه حاضرا: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[1].

ولكى تتضح الصورة أكثر افتتحت السورة بالقسم بالأشياء المحسوسة، حيث يقتنع بها الإنسان أكثر وخاصة الكافر المعاند؛ لذلك جاء جواب القسم على عموم الإنسان، ثم تقفز الصورة فى سرعة كوثب الخيل وعدوها إلى نهاية المشهد، أو الغاية من المشاهد السابقة، وهو (البعث) وأن الإنسان سوف يبعث من قبره ، ويحاسب على أعماله.

وجاءت الآيات قصيرة مناسبة لسياق الموقف لبيان مشهد الإغارة على العدو: هو مشهد مثير لغارة مفاجئة تصبح القوم بغتة على غير انتظار "وموقف المباغتة يلائمة قصر الآيات بما فيه من حسم، وسرعة الانتقال، وتلاحق الأحداث ما بين العدو، وإيراء القدح، وإثارة النقع، إلى توسط الجمع، فما إن تعدو الخيل ضبحا، موريات قدحا، مغيرات صبحا، حتى تكون قد توسطت الجمع فى النقع المثار[2]."

(١)آل عمران: ٣٠.

(٢)التفسير البيانى للقرآن الكريم :١/ ١٠٦.

obeikandl.com

المبحث الثانى

القسم بصيغة المفرد وعلاقته بالسياق

يتناول هذا المبحث القسم بصيغة المفرد فى موضعين:

الأول: القسم بصيغة المفرد فى أوائل السور. الثانى: القسم بصيغة المفرد داخل السور.

الموضع الأول: القسم بصيغة المفرد فى أوائل السور وعلاقته بالسياق:

يأتى القسم بصيغة المفرد فى افتتاح عشر سور من سور القرآن الكريم، هى: **(سورة الطور، وسورة النجم، وسورة البروج، وسورة الطارق، وسورة الفجر، وسورة الشمس، وسورة الليل، وسورة الضحى، وسورة التين، وسورة العصر)**، وهذا هو النوع الثانى من أنواع القسم فى أوائل السور فى القرآن الكريم، حيث أقسم الله تعالى بجموع الإناث فى أوائل السور وتم تناوله من قبل، أما القسم بصيغة المفرد فى أوائل عشر سور من سور القرآن الكريم، فلحكمة، وهى أن **أكثر الجموع أقسم عليها بالمتحركات** "والريح الواحدة ليست بثابتة، بل هي متبدِّلة بأفرادها مستمرة بأنواعها، والمقصود منها لا يحصل إلا بالبَدل والتَّغَيُّر، فقال: "والذاريات" إشارة إلى النوع المستمر، لا الفرد المعين المستقر، وأما الجبل فهو ثابت غير متغير عادة فالواحد من الجبال دائمٌ زماناً ودهراً، فأقسم في ذلك بالواحد، وكذلك في قوله: (والنجم) [النجم: ١]، **ولو قال: "والريح" لما علم المقسَمُ به، وفي الطور عُلِمَ.**[(١)]" القسم هنا بصيغة المفرد - **والقسم بالمفرد هو قسم بالسواكن،**

(١)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى:١٨/ ١١٦، مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٨/ ٢٣٩.

وجاء القسم هنا بصيغة المفرد فى الأقسام بـ (الطور - وكتاب مسطور - البيت المعمور - السقف المرفوع - البحر المسجور)، (النجم إذا هوى)، (والسماء والطارق)، (والسماء ذات البروج)، (والفجر وليال عشر..)، (والشمس وضحاها)، (والليل إذا يغشى)، (والضحى والليل إذا سجى)، (والتين والزيتون وطور سينين)، (والعصر إن الإنسان لفى خسر).

ويتم تناول القسم فى هذه المواضع العشرة كالتالى:

حرف القسم، ورد حرف القسم (الواو) مع الأقسام العشرة، إلا أنه تكرر فى **الأقسام الخمسة** فى سورة الفجر خمس مرات، فى قوله تعالى: ﴿ **وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ** ﴾[1]، كما تكرر مع **الأقسام السبعة** فى سورة الشمس، فى قوله تعالى: ﴿ **وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا** ﴾[2]"والواوات التي في هذه الآية كلها واوات قسم[3]."، كما تكرر فى سورة الضحى مرتين، ومن الملاحظ **حذف فعل القسم مع الواو، وتقديره: أقسم**.

المقسم به: قيد المقسم به فى هذه الأقسام **بوقت معين** فى أحد عشر موضعا فى القرآن الكريم[4].

- **جاء المقسم به بأزمان مختلفة فى تسعة مواضع**، منها القسم بالليل خمس مرات مقيدا بوقت مضيه فى الآية ٤ من سورة الفجر، ووقت عسعسته فى الآية ١٨ من سورة التكوير، ووقت غشيانه للأرض فى الآية ٤من سورة الشمس، والآية١من سورة الليل، ووقت سجيه وتغطيته للأرض فى الآية ٢من سورة الضحى.

---

(١)الفجر: ١ - ٤.

(٢)الشمس: ١ - ٧.

(٣)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٦٦.

(٤)ورد ذلك فى المواضع التالية: فى سورة النجم: ١، الفجر: ٤، التكوير: ١٧، التكوير: ١٨، الانشقاق: ١٨، الشمس: ٢، الشمس:٣، الشمس: ٤، الليل: ١، ٢، الضحى:٢.

- **وجاء القسم بأوقات أخرى متفرقة لم تتكرر**، كما فى القسم بالنهار فى الآية ٢من سورة الليل، والقسم بالصبح فى الآية ١٨من سورة التكوير، والقسم بالضحى فى الآية ١من سورة الضحى، والقسم بالعصر فى الآية ١من سورة العصر.

- **وجاء المقسم به بعض المخلوقات العلوية**، كما فى القسم بالقمر فى الآية ١٨من سورة الانشقاق، والآية ٢من سورة الشمس، وجاء القسم بالنجم فى الآية ١من سورة النجم.

وجاء المقسم به موصوفا:

١- ففى القسم فى سورة الطور فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ ﴾، وصف كل مقسم به بأوصاف تتناسب وتتطابق معه، فوصف الكتاب بأنه (مسطور)، والرق بأنه (منشور)، والبيت بـ (المعمور)، والسقف بـ (المرفوع)، والبحر بـ(المسجور).

٢- وفى القسم فى سورة البروج، فى قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ ﴾، جاء المقسم به (السماء) موصوفة بأنها (ذات البروج، ووصف (اليوم) بأنه (الموعود) والـ (شاهد) بأنه (مشهود)، فجاءت الصفات مطابقة لموصفاتها، سواء أكانت نكرة أم معرفة.

٣- وفى القسم فى سور ة الطارق جاء المقسم به ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ ﴾ موصوفا بوصفٍ موصوفٍ إجابة للاستفهام التعجبى فى قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾.

٤- وفى سورة الفجر جاء المقسم به قوله تعالى:﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ ﴾ موصوفا بنكرة مطابقة للموصوف النكرة.

المقسم عليه (جواب القسم): لم يحذف جواب القسم فى هذه الأقسام العشرة إلا مرة واحدة، فى الجواب فى سورة الفجر، أما باقى الأقسام فقد جاء القسم فيها على صورتين:

الصورة الأولى: جاء جواب القسم فيها جملة فعلية فى أربعة مواضع، كلها فعلها ماض، وجاءت جملة جواب القسم كالتالى:

١- **جملة فعلية فعلها ماض منفى فى موضعين**، فى سورة النجم فى قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾، وفى سورة الضحى، فى قوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾، وجاء الجواب فيهما جملة فعلية فعلها ماض منفى بـ(ما) النافية التى كررت لتأكيد النفى.

٢- **جملة فعلية فعلها ماض مثبت فى موضعين**، فى سورة الشمس، فى قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾، وجاء الجواب مؤكدا بـ (قد)، وعطف عليها جملة فعلية فعلها ماض مؤكد بـ (قد) أيضا، وجاء الجواب جملة فعلية فعلها ماض مؤكد بـ (اللام) و(قد) فى سورة التين، فى قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾.

الصورة الثانية: جاء الجواب جملة اسمية مثبتة مؤكدة بـ (إنَّ) و(اللام) فى ثلاثة مواضع: فى سورة الطور، فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾، وفى سورة الليل، فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ ﴾، وفى سورة العصر، فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾.

- **وجاء الجواب جملة اسمية مثبتة مؤكدة بـ (إن) فقط فى سورة البروج**، فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾، وقيل إن الجواب هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾.

- **وجاء الجواب جملة اسمية منفية بـ (إن) المخففة من الثقيلة فى سورة الطارق**، فى قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾.

عوارض التركيب: تنوعت عوارض التركيب فى هذه الأقسام فحذف فعل القسم وجوبا فى كل الأقسام فى المواضع العشرة، وحذف جواب القسم فى بعض

المواضع، وتكررت بعض الأدوات، مثل (إذا) و(ما)، وعدل من فعل إلى آخر، كما أن هناك تقديمًا وتأخيرًا، وغيرها من عوارض التركيب التى سيتم تناولها فى كل موضع على حدة.

المقسِم (المتكلم): كان المقسم، أو المتكلم فى هذه الأقسام العشرة هو الله عز وجل، واختيار المولى – جل شأنه – أوائل خمس عشرة سورة من سور القرآن وافتتاحها بالقسم يعنى أنه - سبحانه وتعالى - يلفت النظر إلى أمور مهمة، واختياره هو سبحانه وتعالى بأن يكون هو المقسم (المتكلم) وليس رسوله - صلى الله عليه وسلم - كما فى مواضع أخرى أمر فيها نبيه بالقسم، بقوله تعالى: (قل) يعنى عنايته ورعايته لخلقه حتى يهتموا بهذه الأمور التى أقسم عليها؛ كى يتحقق الإيمان بالله، فهى من أسس الإيمان، وما أكدته السنة المطهرة فى حديث سيدنا جبريل عليه السلام عن الإيمان، وهو "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره[1]."، وهو ما طابق أغراض القسم فى القرآن الكريم، فمن أغراضه (إثبات التوحيد وأن الملائكة هم خلق من خلقه، وإثبات أن الكتاب، أو القرآن خاتم الكتب السماوية هو كتاب الله - عز وجل - وإقرار أمر النبوة، والتأكيد على حقيقة البعث وما يتبعه من حساب، والتعرف على أحوال الإنسان.

المخاطب بالقسم: جاء الخطاب بالقسم فى كل موضع لأمر معين، إلا أنه **فى جميع الأقسام يصلح أن يكون الخطاب عاما لكل الخلق، فى هذه الأقسام العشرة، ولم يرد الخطاب للرسول – صلى الله عليه وسلم – إلا فى سورة الفجر وسورة الضحى،** وجاء الخطاب فى هاتين السورتين فيه لطف وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم – وخاطبه الله عز وجل باسم الرب مضافا إلى كاف الخطاب للدلالة على مكانته وقربه منه، فقال تعالى فى سورة الفجر: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾[2] وخاطبه فى سورة

---

(١)صحيح مسلم (كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان ...): ١/ ٣٧.

(٢)الفجر: ٦ .

الضحى بقوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[1] أما فى خطاب الكافرين فجاءت الأجوبة فيها إما للتهديد والوعيد أو لإنكار ونفى اعتقادهم الخاطئ.

الغرض من القسم: اختلف الغرض من القسم بين إثبات البعث وما يتبعه من عقاب وبين تقرير أمر النبوة، أو التعرف على أحوال الإنسان.

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه: لم تأت هذه الأقسام بمعزل عن السياق، وإنما جاءت متساوقة ومتفقة مع سياق القسم، ولم يخل قسم من الأقسام إلا وتجد أنه يتناسب مع جوابه، خاصة وأن هذه الأقسام جاءت مع واو القسم، وتم توضيح أن القسم مع الواو خرج عن أصله اللغوى إلى أمر بلاغى وهو التناسب بين المقسم به والمقسم عليه.

الدليل على صدق الجواب: لم تخل هذه الأقسام فى المواضع العشرة مما يؤكد صدق الجواب، فقد يأتى هذا الدليل سابقا للقسم وقد يأتى لاحقا له، كما سيتضح مع كل قسم على حدة.

بالإضافة إلى العنصر العاشر المتكرر مع أغلب الأقسام، وهو (الدلالة المعجمية) لبعض مفردات القسم، والتى من خلالها يمكن التعرف على الدلالة السياقية لعناصر القسم، ولكن هذا العنصر يتم تناوله من خلال التعرض لمفردات القسم فى المقسم به أو المقسم عليه، ولا يتم تناوله بصورة منفردة كالعناصر السابقة.

*****

وفيما يلى تناول هذه الأقسام بشىء من التفصيل:

١ - المقسم به فى أول سورة الطور: ورد المقسم به فى سورة الطور فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾[2] أقسم الله - عز وجل - بخمسة أقسام بينها تناسب

---

(١)الضحى: ٣.

(٢)الطور: ١ - ٦.

وتناسق فى السياق والمقام الذى وردت فيه، حيث **يراد بالطور** طور سيناء الذى كلم الله عليه سيدنا موسى – عليه السلام – واختلف فى **المراد بالكتاب**، فقد يكون الكتاب الذي يكتب فيه الأعمال ويؤتاه العبد يوم القيامة بيمينه أو بشماله وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾[1] "**وقيل هو القرآن ولعل هذا أرجح الأقوال** لأنه سبحانه وصف القرآن بأنه ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾[2] فالصحف هي "الرق" وكونه بأيدي سفرة هو كونه منشورا. وعلى هذا فيكون قد أقسم بسيد الجبال، وسيد الكتب. ويكون ذلك متضمنا للنبوتين المعظمتين: نبوة موسى، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم. وكثيرا ما يُقرن بينهما وبين محلهما كما في سورة "والتين والزيتون". وقيل أنه "لا ينبغي أن يحمل شيء من هذه الأقوال على التعيين وإنما تورد، على الاحتمال، والتنكير[3]." **ثم أقسم بسيد البيوت**، وهو "البيت المعمور". وفي وصفه للكتاب بأنه مسطور تحقيق لكونه مكتوبا مفروغا منه. وفي وصفه بأنه منشور إيذان بالاعتناء به، وأنه بأيدي الملائكة منشور غير مهجور[4]." **والطور**: فى الاستعمال اللغوى "اسم جبل مخصوص وقيل اسم لكل جبل وقيل هو جبل محيط بالأرض.[5]" وقيل هو اسم الجبل الذى كلم الله عليه سيدنا موسى – عليه السلام – وقيل طور سيناء بمصر[6]، والذى ذكره الله فى قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾[7]، وقيل المراد اسم جنس. أقسم به وهو الجبل الذى بمدين الذى كلم الله جل وعز موسى عليه

---

(١)الإسراء: ١٣.

(٢)عبس: ١٣ – ١٦.

(٣)روح المعانى : ٢٧/ ٢٧، البحر المحيط:٨/ ١٤٣.

(٤)التبيان فى أيمان القرآن :٢/ ٤٠١.

(٥)المفردات فى غريب القرآن، مادة (طور): ٣٠٩، لسان العرب:٤/ ٥٠٧، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:١٢/ ٤٤٠.

(٦)ينظر روح المعانى:٢٧/ ٢٦.

(٧)التين: ٢.

السلام عنده تكليما.[1]"، والحكمة من القسم بالطور"توطئة للقسم بالتوراة التي أنزل أولها على موسى في جبل الطور.[2]"

"والمراد بالكتاب المسطور كتاب موسى عليه الصلاة والسلام، وهو التوراة. وقيل: الكتاب الذي في السماء، وقيل: صحائف أعمال الخلق، وقال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]. وقيل: الفرقان. والمراد بالمسطور المكتوب[3]."، ومن **معانى كلمة (مسطور) فى اللغة**: الخط والكتابة، وجمع السطر أسطر وسطور: "والسطر الصف من الكتابة ومن الشجر المغروس ومن القوم الوقوف، وسطر فلان كذا كتب سطرا سطرا[4]."، **والرق**: فى العربية بالفتح: "والرَّقُّ: الصحيفة البيضاء؛ غيره: الرَّق، بالفتح: ما يُكتب فيه وهو جِلْد رَقِيق، ومنه قوله تعالى: ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾؛ أَي في صُحُفٍ. وقال الفراء: الرَّقُّ الصحائف التي تُخرج إِلى بني آدم يوم القيامة فآخِذٌ كتابَه بيمينه وآخذ كتابه بشماله، قال الأَزهري: وما قاله الفراء يدل على أَنَّ المكتوب يسمى رَقّاً أَيضاً، وقوله: وكِتابٍ مَسْطور؛ الكتاب ههنا ما أُثْبِت على بني آدم من أَعمالهم.[5]" **والمسجور**: فى العربية من إضرام النار، وللبحار بمعنى غيض ماؤها، أو المملوء "السجر تهييج النار، يقال: سجرت التنور، ومنه ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾[6]."، وقيل إن معنى المسجور المملوء، وسجرت، أى: فاضت، أو ذهب ماؤها، أو"أفضى بعضها إِلى بعض فصارت بحراً واحداً[7]."

---

(١)معانى القرآن للفراء:٣/ ٢١ .

(٢)التحرير والتنوير:٢٧/ ٣٧.

(٣)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى: ١٨/ ١١٣-١١٤.

(٤)المفردات فى غريب القرآن، مادة (سطر):٢٣٢، تاج العروس من جواهر القاموس:١٢/ ٢٤،المعجم الوسيط،:١/ ٤٢٩، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٢/ ٦٨٤، لسان العرب:٤/ ٣٦٣.

(٥)لسان العرب، مادة (رق):١٠/ ١٢٣، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٤/ ١٤٨٣، المفردات فى غريب القرآن: ٢٠٠.

(٦)المفردات فى غريب القرآن، مادة (سجر):٢٢٤، تاج العروس:١١/ ٥٠٣.

(٧)لسان العرب، مادة (سجر):٤/ ٣٤٥، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٢/ ٦٧٧.

٢- المقسم به فى أول سورة النجم: قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[١]، **والمقسم به اسم مفرد**، اختلف فى المراد بالنجم بين المعانى الآتية: (الصحابة – القطعة من القرآن – نجوم الأرض وهى من النبات ما لا ساق له - جنس النجوم - الثريا – الشعرى – الزهرة)، وهنا أقسم الله بخلق من خلقه، وهو "النجم"، و(هوى) أى: سقط من علو. وتقييد القسم بوقت هويه لذم الهوى "مقصودها ذم الهوى لإنتاجه الضلال والعمى بالإخلاد إلى الدنيا التى هى دار الكدور والبلاء[٢]."، وإذا كان للسماء نجومها فللأرض أيضا نجومها، يهتدى بهم الخلق فى حياتهم فيصلون إلى جنة الخلد بإذن الله، وأظهر هذه النجوم، هو النبى – صلى الله عليه وسلم: "فالنجوم تبعد الشياطين عن أهل السماء والأنبياء يبعدون الشياطين عن أهل الأرض[٣]."، ومن معانى النجم فى اللغة: كل ما طلع وظهر، النجم نُزول القرآن نَجْماً بعد نَجْم وكان تَنزل منه الآيةُ والآيتان... النَّجْمُ في الأَصل اسمٌ لكل واحد من كواكب السماء وهو بالثريَّا أَخصُّ[٤]."

وذكر الرازى أن العلة من تقييد القسم بالنجم بوقت هويه أن "النجم إذا كان في وسط السماء يكون بعيداً عن الأرض لا يهتدي به الساري لأنه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال، فإذا زال تبين بزواله جانب المغرب من المشرق والجنوب من الشمال كذلك النبي صلى الله عليه وسلم خفض جناحه للمؤمنين وكان على خلق عظيم كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٥] وكما قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾[٦] إن قيل الاهتداء بالنجم إذا كان على أفق المشرق كالاهتداء به إذا كان على أفق المغرب فلم يبق ما ذكرت جواباً عن السؤال، نقول **الاهتداء بالنجم وهو مائل إلى المغرب**

---

(١)النجم: ١.
(٢)نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور:١٩/ ٤٠.
(٣)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٨/ ٢٧٩.
(٤)لسان العرب مادة (نجم):٤٣٥٦، المفردات فى غريب القرآن: ٤٨٣، الكليات:٨٨٧.
(٥)القلم: ٤.
(٦)آل عمران: ١٥٩.

أكثر لأنه يهدي في الطريقين الدنيوي والديني، أما الدنيوي فلما ذكرنا، وأما الديني فكما قال الخليل ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾[1] وفيه لطيفة، وهي أن الله لما أقسم بالنجم شرفه وعظمه، وكان من المشركين من يعبده فقرن بتعظيمه وصفاً يدل على أنه لم يبلغ درجة العبادة، فإنه هاوٍ آفل[2]."

وقيل إن هناك سببًا آخر فى تقييد القسم بالنجم بـ(إذا)، وهو "الإيحاء بأن النجم مهما يكن عظيمًا هائلاً فإنه يهوي ويتغير مقامه. فلا يليق أن يكون معبودًا. فللمعبود الثبات والارتفاع والدوام.[3]"، هناك أمر بديع فى "إذا" بعد كلمة النجم بعد قوله تعالى "والنجم" فالقسم إنشاء لإنشاء حال، و"إذا" تدل على الاستقبال فلا يجتمعان، والحقيقة أن (إذا) بعد القسم لا تدل على الشرط أو الاستقبال؛ "(إذا) بعد القسم ظرف للحال فليس فيها معنى الشرطية، ولا تدل على الاستقبال"الثاني أن تجيء للحال، وذلك بعد القسم، نحو: **﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾**[4] **﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾**[5]."[6]

وتأتى "إذا" فى الأمر المقطوع بحصوله، والكثير الحصول، و (هوى النجم) أمر مقطوع بحصوله، كما أنه كثير الحصول.وتأتى مادة هوى فى اللغة بمعان كثيرة، منها (سقط – أسرع فى السير)، وهوى "الشيء هويا وهويانا سقط من علو إلى سفل."[7]، وخص هوى عن الطلوع: "وإنما خص الهوي دون الطلوع فإن لفظة النجم تدل على طلوعه[8]."

---

(١)الأنعام : ٧٦.
(٢)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٨/ ٢٧٩- ٣٨٠.
(٣)فى ظلال القرآن:٦/ ٣٤٠٦.
(٤)الليل: ١.
(٥)النجم: ١.
(٦)دراسات لأسلوب القرآن الكريم :١/ ١٩٣.
(٧)المعجم الوسيط مادة(هاوى):٢/ ١٠٠٢.
(٨)المفردات فى غريب القرآن القرآن:١/ ٤٨٣.

والهوى من صفاته - صلى الله عليه وسلم- وهو الإسراع فى السير، كأنما يتصبب من عل: "وَفِي صِفَتِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَأَنَّما يَهْوِي مِن صَبَبٍ أَي يَنْحَطُّ، وَذَلِكَ مِشية القَوِيّ مِنَ الرِّجَالِ. يُقَالُ: هَوَى يَهْوِي هَوِيًّا، بِالْفَتْحِ، إِذا هَبَطَ، وهَوَى يَهْوِي هُوِيًّا، بِالضَّمِّ، إِذا صَعِدَ، وَقِيلَ بِالْعَكْسِ، وهَوَى يَهْوِي هُوِيًّا إِذا أَسرع فِي السَّيْرِ[1]." وهوى بالضم تعنى علا وصعد "وهَوَى يَهْوي، كرَوَى يروي هَوْياً بالفتح: سقط. وهوياً بالضم: علا وصعد[2]."

٣- المقسم به فى أول سورة البروج: ورد المقسم به فى قوله تعالى: ﴿ **وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ** ﴾[3]، وهى صيغ مفردة جاءت موصوفة بصفات مختلفة، فوصف الله السماء بأنها ذات البروج، أى القصور أو الحصون، أو النجوم التى هى منازل القمر، أو الكواكب العظيمة، وقيل أبواب السماء "هي البروج الاثنا عشر، وهي قصور السماء على التشبيه. وقيل: (البروج) النجوم التي هي منازل القمر. وقيل: عظام الكواكب. سميت بروجاً لظهورها. وقيل: أبواب السماء[4]."، والبروج والأبراج جمع مفردها برج، ومن معانى البروج: (الحصون، الارتفاع والظهور والتباعد، تبرجت السماء، أى تزينت بالكواكب، والبروج المقصود بها بروج السماء الإثنى عشر، وقيل هى الكواكب العظام[5].

---

(١)لسان العرب مادة (هوا):١٥/ ٣٧١، المفردات فى غريب القرآن:٥٤٨.

(٢)الكليات:٩٦٢.

(٣)البروج: ١ - ٣.

(٤)الكشاف:٦/ ٣٤٦، التحرير والتنوير:٣٠/ ٢٣٨، اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى:٢٠/ ٢٤٤، ووصف الله السماء فى القرآن الكريم بصفات مختلفة، منها أنها ذات الحبك فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ الذاريات: ٧، وصفها بأنها ذات الرجع فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴾ الطارق:١١، ينظر لسان العرب مادة (برج): ٢/ ٢٤٣، الصحاح تاج اللغة وسر العربية: ١/ ٢٩٩، المعجم الوسيط:١/ ٤٦،٤٧.

(٥)ينظر لسان العرب مادة (برج): ٢/ ٢٤٣، الصحاح تاج اللغة وسر العربية: ١/ ٢٩٩، المعجم الوسيط:١/ ٤٦،٤٧.

- **وقيل هى القصور**:"أصل البرج الأمر الظاهر ثم صار حقيقة للقصر العالي لأنه ظاهر للناظرين ويقال لما ارتفع من سور المدينة برج أيضاً وبروج والسماء بالمعنى المعروف وإن التحقت بالحقيقة فهي في الأصل استعارة فإنها شبهت بالقصور لعلوها ولأن النجوم نازلة فيها كسكانها فهناك استعارة مصرحة تتبعها مكنية وقيل شبه السماء بسور المدينة فأثبت لها البروج[١]."

وقيل فى الحكمة من القسم بها ثلاثة أقوال: "**أحدها**: أنها هي البروج الإثنا عشر وهي مشهورة وإنما حسن القسم بها لما فيها من عجيب الحكمة، وذلك لأن سير الشمس فيها ولا شك أن مصالح العالم السفلي مرتبطة بسير الشمس فيدل ذلك على أن لها صانعاً حكيماً... **وثانيها**: أن البروج هي منازل القمر، وإنما حسن القسم بها لما في سير القمر وحركته من الآثار العجيبة **وثالثها**: أن البروج هي عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها[٢]."

ووردت كلمة البروج بصيغة الجمع فى القرآن الكريم أربع مرات، منها مرة واحدة معرفة بـ (أل) فى سورة البروج فقط ،فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾[٣]، ووردت منكرة فى قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾[٦].والمقصود باليوم الموعود: يوم القيامة.

---

(١)روح المعانى ٣٠/ ٨٥.
(٢)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: ٣١/ ١١٤.
(٣)البروج: ١.
(٤)النساء: ٧٨.
(٥)الحجر: ١٦.
(٦)الفرقان: ٦١.

والشاهد: اسم فاعل، وهو (اللسان، والنجم، الشاهد خلاف الغائب، وهو الذى يؤدى الشهادة، والشاهد هو النبى - صلى الله عليه وسلم، وبمعنى الحاضر العالم الذى لا يغيب عن علمه شىء، والمشهود أى محضور يحضره أَهل السماءِ والأَرض، أو يوم يجتمع فيه الناس لأمر عظيم) "الشاهِدُ والأَمِينُ في شَهادَةٍ والذي لا يَغيبُ عن عِلْمِهِ شيءٌ... والشَّاهِدُ: من أَسْماء النبيِّ واللِّسانُ والمَلَكُ ويومُ الجُمعَةِ والنَّجْمُ." [(١)]، ويؤكد كون الشاهد هو النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[(٢)]، وقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[(٣)]، وقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَـٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴾[(٤)].

٤- **المقسم به فى أول سورة الطارق**: قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾[(٥)]، وافتتحت هذه السورة بقسمين، **الأول: القسم بالسماء** "(والسماء): هي المعروفة، قاله الجمهور. وقيل: السماء هنا المطر. [(٦)]"**والثانى: بالطارق**، والمقصود بالطارق كما بينت الآية الثالثة ﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾، والطارق في الأصل: **اسم فاعل** من: طرق يطرق طروقاً: أي: جاء ليلاً. [(٧)]"، الطرق كالضرب، والطارق السالك للطريق "لكن خص في التعارف بالآتي ليلا فقيل: طرق أهله طروقا، وعبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل. [(٨)]"،ثم أتبعه باستفهام يفيد التفخيم والتعظيم للمقسم به، وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا

---

(١)القاموس المحيط مادة(شهد):١/ ٢٩٢، لسان العرب:٣/ ٢٣٨، المعجم الوسيط : ١/ ٤٩٧.
(٢)الأحزاب: ٤٥.
(٣)الفتح: ٨.
(٤)المزمل: ١٥.
(٥)الطارق: ١ - ٣.
(٦)الكشاف: ٦/ ٣٥٢، البحر المحيط:٨/ ٤٤٨.
(٧)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى:٢٠/ ٢٥٩.
(٨)المفردات فى غريب القرآن، مادة (طرق): ٣٠٣، لسان العرب:١٠/ ٢١٥، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٤/ ١٥١٣.

ٱلطَّارِقُ ﴾[1]، وهو تفخيم لشأن المقسم به، والمراد بـ ﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ جنس النجم، وهو المضيء الذى يثقب بضوئه الظلام، الثاقب: يعنى: (المضيء، الواضح، المنير، المتوهج، الكوكب الدرى: الثاقب المضيء، النجم الثاقب: زُحَلُ، وقيل: الذى ارتفع على النجوم) "الثَّقْبُ مصدر ثَقَبْتُ الشيءَ أَثْقُبُهُ ثَقْباً. والثَّقْبُ: اسم لما نفَذ[2]."، الكوكب الدرى: الثاقب المضيء: "نسب إلى الدر لبياضه[3]."، والنجم الثاقب جملة استئنافية وقعت جوابا للاستفهام، وهى خبر لمبتدإ محذوف تقديره: هو. وكأن القسم بالنجم الثاقب للتأكيد على أن النفس الإنسانية وما تكن من أسرار ليست بعيدة عن الاطلاع عليها فكما يثقب النجم الظلام بضوئه كذا النفس الإنسانية يثقب إليها الحافظ، أينما كانت ولأى شيء أخفت، ثم تحاسب عليه يوم القيامة. وهذه النجوم التى بالسماء لا تستعصى على الإحصاء، وكما يخترق ضوء النجوم السماء يخترق الحفظة أى غطاء يظن الخلق أنهم لا يعلمهم أحد؛ فهناك صلة وتشابه بين الإنسان وما حوله فى الكون.

وافتتاح السورة بالقسم يلفت انتباه السامع إلى الشيء المقسم عليه، وزاد الانتباه وجود الاستفهام؛ لأن هذا الموضع من المواضع التى **اجتمع فيها أسلوبان من أساليب اللغة العربية (أسلوب القسم، وأسلوب الاستفهام)، ولكن الاستفهام جاء بعد القسم مما زاد تشويق السامع إلى المقصود بالمقسم به بعد (ما) التى للتعظيم، وكأن سائلا يسأل: وما هو الطارق؟ فجاء الجواب باستفهام: وما أدارك ما الطارق[4]؟**

---

(١)الطارق: ٢.

(٢)لسان العرب مادة (ثقب): ١/ ٤٩١-٤٩٢، الصحاح تاج اللغة صحاح العربية، مادة (درر):٢/ ٦٥٦، المعجم الوسيط: ١/ ٩٨.

(٣)الصحاح تاج اللغة وسر العربية، مادة (درر) :٢/ ٦٥٦.

(٤)وورد تركيب (وما أدراك ما ...) فى القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، [فى سورة الحاقة: ٣، وسورة المدثر:٢٧، وسورة المرسلات:١٤، وسورة الانفطار:١٧، وسورة المطففين:٨، وسورة الطارق:٢، وسورة البلد:١٢، وسورة القدر:٢، وسورة القارعة:٣، وسورة الهمزة:٥، ورد فى سورة الانفطار:١٨ بدون (الواو) لأنه عطف على الاستفهام السابق فى الآية ١٧ فى قوله تعالى: =

٥- المقسم به فى أول سورة الفجر: أقسم الله - عز وجل - فى أول سورة الفجر بخمسة أقسام فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[(١)]، وكلها جاءت بصيغة المفرد، "واختلف العلماء بالمقصود بهذه الأقسام (أى فجر، وهل يراد به فجر يوم مخصوص؟ فقيل: هو النهار، وقيل: هو صلاة الصبح :"**(والفجر)** اسم لوقت انحسار الظلام عن وجه الأرض أمام تسلل الضوء من المشرق، وفيه يبدأ الناس فى الانتشار، وتبدأ معهم سائر الحيوانات والطير سعيا للأرزاق. و"ال" فى الفجر للجنس وهو المتبادر، وقيل بل للعهد، وهو فجر الليالى العشر التالية، وقيل بل هو يوم عرفة التاسع من ذى الحجة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم، الحج عرفة، وقيل بل هو فجر يوم نحر الأضاحى فى العاشر من ذى الحجة وهو يوم الحج الأكبر[(٢)]." وفجر فى اللغة بمعنى شق شقا واسعا، وقيل للصبح فجر؛ لأنه يفجر الليل، ومنه تفجير الماء،"ويسمى الفَجْرُ فَجْرًا لانْفِجارِه، وهو انصداع الظلمة عن نور الصبح[(٣)]."

واختلفوا كذلك فى **الليالى العشر**، وهل هى الليالى العشر الأولى من ذى الحجة أم الليالى العشر الأخيرة من شهر رمضان، وجاءت كلمة (ليال) نكرة للإشارة إلى ليال مخصوصة "لأنها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها، أو مخصوصة بفضيلة ليست في غيرها[(٤)]." وقيل: إنها جاءت نكرة للإطلاق للإشارة إلى كل الليالى العشر الأواخر من شهر رمضان[(٥)].، **ومن معانى الشفع والوتر فى**

= ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ﴾]، وأكثر ما جاء هذا الاستفهام للتهويل من أمر عظيم وللفت الانتباه إليه، كيوم القيامة (الحاقة، وسقر) فى سورة المدثر، و(يوم الفصل) فى سورة المرسلات.

(١)الفجر: ١ – ٤.

(٢)القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف: ٢٨.

(٣)لسان العرب، مادة (فجر): ٥/ ٣٣٥١ ، الصحاح تاج اللغة وسر العربية:٢/ ٧٧٨، بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز:٤/ ١٧٥، المفردات فى غريب القرآن: ٣٧٣، المعجم الوسيط: ٢/ ٦٧٤.

(٤)الكشاف : ٦/ ٣٦٧، الدر المصون:١٠/ ٧٧٩.

(٥)ينظر التفسير البيانى للقرآن الكريم: ٢/ ١٢٩.

اللغة: الشَّفْعِ: الاثنان، وَالْوَتْرِ: الفرد، وقيل الصلاة، منها شفع، ومنها وتر، وقيل الكفر والإيمان، "إما الأشياء كلها شفعها ووترها، وإما شفع هذه الليالي ووترها. ويجوز أن يكون شفعها يوم النحر، ووترها يوم عرفة، لأنه تاسع أيامها وذاك عاشرها، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسرهما بذلك. وقد أكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان فيه، وذلك قليل الطائل، جدير بالتلهي عنه[1]."، ثم أقسم **بالليل عموما** فقال تعالى: (والليل إذا يسر)، وربما كان هذا الاختلاف الشديد لأهميتها الدينية والدنيوية.

من الملاحظ أن الله عز وجل **أقسم بأوقات معينة يستحب فيه الإكثار من أعمال البر والعبادة الخالصة لله وحده**: "القسم بهذه الأزمان من حيث إن بعضها دلائل بديع صنع الله وسعة قدرته فيما أوجد من نظام يظاهر بعضه بعضا من ذلك وقت الفجر الجامع بين انتهاء ظلمة الليل وابتداء نور النهار، ووقت الليل الذي تمحضت فيه الظلمة. وهي مع ذلك أوقات لأفعال من البر وعبادة الله وحده، مثل الليالي العشر، والليالي الشفع، والليالي الوتر. والمقصود من هذا القسم تحقيق المقسم عليه لأن القسم في الكلام من طرق تأكيد الخبر إذ القسم إشهاد المقسم ربه على ما تضمنه كلامه. وقسم الله تعالى متمحض لقصد التأكيد[2]."

يمكن الجمع بين كون (الفجر) هو وقت الفجر عامة، استنادا إلى أن (أل) للجنس، ويمكن أن يكون فجر يوم معين (يوم النحر – يوم عرفة...) وعند الجمع بين الرأيين فإن الأخذ بأن (اللام) للجنس أولى، وتضم فجر كل الأيام عامة وفجر هذه الأيام المذكورة خاصة. وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[4]، **وبذلك يسهل الربط بين القسم بالفجر وليال عشر، أى: الليالى العشر الأخيرة من رمضان والتى فيها ليلة**

(١)الكشاف: ٦/ ٣٦٧.
(٢)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣١٢.
(٣)القدر: ١.
(٤)الدخان: ٣.

القدر التى نزل فيها القرآن الكريم، وكأن النور تفجر من السماء (نور القرآن) على الأرض فحول ظلمتها إلى نور فى ليلة القدر، والله أعلم.

٦- **المقسم به فى أول سورة الشمس**: ورد المقسم به بصيغة المفرد فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾[1]، **حيث أقسم الله بسبعة أشياء** هى: (الشمس، والقمر، والليل، والنهار، والسماء، والأرض، والنفس)، وجاء بعد هذه الأقسام أفعال ماضية إلا فعلا واحدًا جاء مضارعا، فى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾، وقيل إن ورود الفعل المضارع لمراعاة الفواصل: "قوله: (يَغْشَاهَا) المفعولُ للشمسِ. وقيل: للأرض، وجيء بـ "يَغْشاها" مضارعاً دونَ ما قبلَه وما بعدَه مراعاةً للفواصلِ؛ إذ لو أتى به ماضياً لكان التركيبُ "إذا غَشِيَها" فتفوتُ المناسبةُ اللفظيةُ بين الفواصلِ والمقاطع[2].". ولا ينكر تناسب الفواصل، فهو من أنواع البديع التى تضفى جرسا على نهايات الآيات، ولكن هناك غرضا آخر يجب الإشارة إليه، وهو دلالة الفعل المضارع على الاستمرار والتجدد، وبما أن هناك مناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فإن الفعل المضارع (يغشاها) يدل على استمرار تعرض النفس للفتن التى قد تطغى على النفس كما يغشى الليل الأرض بظلامه.

المقصود بالنفس فى قوله تعالى: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ ﴾ هل هو آدم - عليه السلام - استنادًا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت

---

(١)الشمس: ١ - ٧.

(٢)الدر المصون :١١/ ١٨.

(٣)النساء: ١.

دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[2] **أم أن المقصود كل نفس، كما في قوله** تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[4]وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[5].، **والمراد كل نفس؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**، والسياق هنا عام؛ لأن من دلالات النكرة أنها تفيد العموم.

– دلالة (ما) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ (ما) هنا **بمعنى (من)**، أي: ومن بناها، ومن طحاها، ومن سواها "وإيثار ما على من لإرادة الوصفية تفخيما كأنه قيل: والقادر العظيم الشأن الذي بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ أي بسطها من كل جانب كدحاها. ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ أي أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتها[6]."

٧- **المقسم به في أول سورة الليل**: ورد المقسم به بصيغة المفرد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾[7]، وأقسم الله – عز

---

(١)الأعراف: ١٨٩.
(٢)الزمر: ٦.
(٣)البقرة: ٢٨١.
(٤)آل عمران: ٢٥.
(٥)آل عمران: ٣٠.
(٦)إرشاد العقل السليم: ٥/ ٥٣٨، روح المعاني :٣٠/ ١٤٢.
(٧)الليل: ١ – ٣.

وجل - بالليل، فى سبع سور (المدثر، التكوير، الانشقاق، الفجر، الشمس، الليل، الضحى)، بصور مختلفة، حيث يقول تعالى:

١- ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ ﴾[١].

٢- ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ ﴾[٢].

٣- ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ ﴾[٣]

٤- ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴿٤﴾ ﴾[٤].

٥- ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ ﴾[٥].

٦- ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ ﴾[٦].

٧- ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ ﴾[٧].

وأقسم بالنهار فى سورتى الشمس والليل فقط، فى قوله تعالى:

- ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ ﴾[٨].

- ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ ﴾[٩].

من الملاحظ أنه قسم مشروط بقيد معين، حيث قيد بـ (إذا)[١٠] فى أحد عشر موضعًا، ومع (إذ) فى قسم واحد، فى سورة المدثر، **وغير مشروط فى قسم واحد**، فى

---

(١)المدثر: ٣٣.
(٢)التكوير: ١٧.
(٣)الانشقاق: ١٧.
(٤)الفجر: ٤.
(٥)الشمس: ٤.
(٦)الليل: ١.
(٧)الضحى: ٢.
(٨)الشمس: ٣ – ٤.
(٩)الليل: ١ – ٢.
(١٠)وسبقت الإشارة إلى (إذا) عندما تأتى بعد القسم فى (القسم فى أول سورة النجم).

obeikandl.com

سورة الانشقاق، فى قوله تعالى:﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ ﴾ "المغشي: إما الشمس من قوله: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٤] وإما النهار من قوله: ﴿ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ [الرعد: ٣] وإما كلّ شيء يواريه بظلامه من قوله: ﴿إِذَا وَقَبَ ﴾[الفلق: ٣]. (تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل. أو تبين وتكشف بطلوع الشمس (وَمَا خَلَقَ) والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد، وقيل: هما آدم عليه السلام وحواء. وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم: «والذكر والأنثى»[١]."

ويلاحظ أن السور الثلاث السابقة لهذه السور فى ترتيب المصحف (الفجر، البلد، الشمس) جاءت مفتتحة بالقسم، حيث أقسم الله فى هذه السور بخلق الإنسان بنوعيه الذكر والأنثى "وقد كان القسم في سورة الشمس بتسوية النفس، أي خلق العقل والمعرفة في الإنسان، وأما القَسَم هنا فبِخلق جسد الإنسان واختلاف صنفيه[٢]."

٨- **المقسم به فى أول سورة الضحى**: ورد المقسم به فى أول السورة فى قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾[٣]، والمراد بالضحى: "انبساط الشمس وامتداد النهار وسمى الوقت به[٤]." ، وقيل إن الحكمة من قسم الله به؛ "لأنها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام، وألقي فيها السحرة سجداً، لقوله: ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه: ٥٩] وقيل: أريد بالضحى: النهار، بيانه قوله: ﴿ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحًى ﴾ [الأعراف: ٩٨] في مقابلة (بياتًا). (سجى) سكن وركد ظلامه. وقيل: ليلة ساجية ساكنة الريح. وقيل معناه: سكن الناس والأصوات فيه. وسجا البحر: سكنت أمواجه. وطرف ساج: ساكن فاتر[٥]."

---

(١)الكشاف:٦/ ٣٨٥.
(٢)التحرير والتنوير:٣٠/ ٣٨٠.
(٣)الضحى: ١ - ٢.
(٤)المفردات فى غريب القرآن، مادة (ضحى): ٢٩٣.
(٥)الكشاف :٦/ ٣٩٠، روح المعانى: ٣٠/ ١٥٣.

ولكن ما الحكمة من القسم بهذه الأقسام؟ "قال أهل المعاني فيه وفي أمثاله: فيه إضمار مجازه ورب الضحى[1]." ومن معانى سجى (سكَن ودام، وأَظلم ورَكَد، ومنه البحر الساجى، وغطى): "سَجا يَسْجُو سَجْواً وسَجَّى يُسَجِّي وأَسْجَى يُسْجِي كُلُّهُ: غطَّى شَيْئًا مَا. والتَّسْجِيَةُ: أَن يُسَجَّى الميتُ بِثَوْبٍ أَيْ يُغَطَّى بِهِ؛... والسَّجيَّة: الطبيعة والخُلُقُ. [2]"، أقسم الله فى هذه السورة بوقتين من أوقات اليوم المتكررين، هما وقت الضحى، ووقت الليل، وابتدأ بوقت الضحى لما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "كتب على النحر ولم يكتب عليكم وأمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها وأما الليل فلقوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء: ٧٩] إرغاماً لأعدائه وتكذيبًا لهم في زعم قلاه وجفائه فكأنه قيل وحق قربك لدينا وزلفاك عندنا إنا اصطفيناك ما هجرناك وقليناك[3]."؛ فساعة من نور الضحى توازى ظلام الليل وساعة من نور الإيمان توازى ظلمة الكفر أو البعد عن الله."وتخصيصه تعالى الوقتين بالأقسام ليشير سبحانه بحالهما إلى حال ما وقع له عليه السلام ويؤيد عز وجل نفي ما توهم فيه[4]."

٩- **المقسم به فى أول سورة التين:** ورد المقسم به فى أول هذه السورة فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾[5] أقسم الله – عز وجل – بنوعين من النبات (التين والزيتون)، وبموضعين هما: طور سيناء، ومكة المكرمة، أقسم الله بهذه الأقسام على خلق الإنسان فى أحسن تقويم، وتنوع هذه الأقسام يوحى بأهمية المقسم عليه والتشوق إلى معرفته.

---

(١)اللباب فى علوم الكتاب: ٢٠ / ٣٨١-٣٨٢.
(٢)لسان العرب، مادة (سجا): ١٤/ ٢٧٣٣٧١-٣٧٢، والمعجم الوسيط: ٤١٨.
(٣)روح المعانى: ٣٠/ ١٥٥، والحديث فى سنن البيهقى: ٩/ ٢٦٤.
(٤)روح المعانى: ٣/ ١٥٤.
(٥)التين: ١ – ٣.

اختلف العلماء فى المراد بالتين والزيتون، فمنهم من قال أنهما النباتان المعروفان[1].وقيل إن المقصود بهما موضعان لجبلين من الأراضى المقدسة: "يقال لهما بالسريانيّة: طورتينا وطور زيتا، لأنهما منبتا التين والزيتون. وقيل: «التين» جبال ما بين حلوان وهمذان. و«الزيتون» جبال الشام، لأنها منابتهما، كأنه قيل: ومنابت التين والزيتون. وأضيف الطور: وهو الجبل، إلى سينين: وهي البقعة. ونحو سينون، يبرون... والبلد: مكة حماها الله. والأمين: من أمن الرجل أمانة فهو أمين. وقيل: أمان، كما قيل : كرّام في كريم. وأمانته: أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه. ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول، من أمنه لأنه مأمون الغوائل، كما وصف بالأمن في قوله تعالى: ﴿ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ [القصص: ٥٧] بمعنى ذي أمن: ومعنى القسم بهذه الأشياء: الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين. فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه، والطور: المكان الذي نودي منه موسى. ومكة: مكان البيت الذي هو هدى للعالمين، ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه[2]."

وطور سينين هو الجبل الذى كلم الله موسى عليه: "وأعظم بركة حلت عليه تكليم الله لموسى عليه السلام[3]."، والسينين: شجر مفردها سينينة، وذكر العلماء أنه جبل بالشام: "(وطور سيناء): جبل بالشام، وهو طور أضيف إلى سيناء وهو شجر. وكذلك (طور سينين)[4]."

يلاحظ فى القسم بهذه الأقسام الجمع بين الرسالات الثلاث (رسالة سيدنا موسى ورسالة سيدنا عيسى ورسالة سيدنا محمد عليهم السلام)، وأنها كلها لها هدف واحد هو توحيد الله بالعبادة ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ

(١)ينظر مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: ٣٢/ ٨.
(٢)الكشاف: ٦/ ٤٠٠-٤٠١.
(٣)تفسير حدائق الروح والريحان فى روابى علوم القرآن:٣٢/ ١٢٨.
(٤)ينظر لسان العرب، (سين):١٣/ ٢٢٩، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٥/ ٢١٤١.

بِغَايَتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[1]ووصف البلد بالأمين لمناسبة المقام للإشارة أنه للإقامة والأمن، والمراد بالبلد (مكة) "باختياره لفظ (الأمين) جمع معنيين الأمن والأمانة وجمع معنى اسم الفاعل واسم المفعول. وجمع الحقيقة والمجاز، فهو أمين وآمن مأمون، وهذه المعانى كلها مرادة مطلوبة[2]."، وذكر التين فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى (سورة التين)، وذكر الزيتون سبع مرات، فى سور: (الأنعام:٩٩، ١٤١،النحل:١١، المؤمنون:٢٠، النور:٣٥، عبس:٢٩، التين:١).

١٠- **المقسم به فى سورة العصر**: ورد المقسم به فى أول السورة فى قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴾[3]، بصيغة المفرد دون تحديد عصر معين للإطلاق والتوسع فى المعنى، واختلف العلماء فى المراد بالعصر، إلى أقوال مختلفة، منها: [الدهر- العشى، أقسم الله به كما أقسم بالضحى – اليوم والليلة – الأبردان (بكرة وعشية) – الصلاة الوسطى لفضلها – عصر الإسلام – الزمان كله][4]، كما يأتى مقيدا بوقت معين فى (عصر الجاهلية - عصر صدر الإسلام ... والعصر اسم جنس يفيد العموم لذلك استثنى منه، "وتعريفه على هذا تعريف العهد وصار علَمًا بالغلبة كما هو شأن كثير من أسماء الأجناس المعرفة باللام مثل العَقَبَة[5]."

هناك تشابه بين القسم بالعصر والقسم بـ (عمر النبى – صلى الله عليه وسلم) فى قوله تعالى:﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[6] لأنه لا يوجد إنسان جعل عمره للدعوة وتبليغ الرسالة كما كان النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - فاستحق أن يقسم الله بعمره، وأقسم الله هنا بالعصر، أى عصر كل إنسان أو عمره أو عصر الإسلام ... على أن الإنسان فى خسر؛ لأنه لا يوجد خسران أكبر من خسران الدنيا

---

(١)آل عمران: ١٩.

(٢)التعبير القرآنى للدكتور فاضل السامرائى:٣٤١.

(٣)العصر: ١.

(٤)ينظر الكشاف:٦/ ٤٢٧، البحر المحيط :٨/ ٥٠٧،اللباب فى علوم الكتاب:٢٠/ ٤٨٥، التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٢٨-٥٣٠.

(٥)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٢٩.

(٦)الحجر: ٧٢.

إن لم تستغل فى طاعة الله، ومن لم يؤمن بالله ويعمل صالحا فقد خسر الدنيا والآخرة ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1]. **، وهذا هو أقصر قسم فى القرآن الكريم فى أوائل السور، وكأنه إشارة لأهمية الزمن، وقصره بالمقارنة بالآخرة؛** حيث يقول تعالى:﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[2]"ويجوز أن يراد عصر الإسلام كلِه وهو خاتمة عصور الأديان لهذا العالم وقد مثَّل النبي (صلى الله عليه وسلم) عصر الأمة الإسلامية بالنسبة إلى عصر اليهود وعصر النصارى بما بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس بقوله: (مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر أجراء يعملون له يومًا إلى الليل فعملت اليهود إلى نصف النهار ثم قالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك وما عملنا باطل، واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: لك ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلتَ لنا، واستأجر قوماً أن يعملوا بقيةَ يومهم فعملوا حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما فأنتم هُم)[3]."

ومن جماليات القسم، أن الله أقسم بالضحى (أول النهار) على الرابح، وأقسم بالعصر (آخر النهار) على الخاسر"فكما أقسم في حق الرابح بالضحى فكذا أقسم في حق الخاسر بالعصر وذلك لأنه أقسم بالضحى في حق الرابح وبشر الرسول أن أمره إلى الإقبال وههنا في حق الخاسر توعده أن أمره إلى الإدبار، ثم كأنه يقول بعض النهار: باق فيحثه على التدارك في البقية بالتوبة، وعن بعض السلف: تعلمت معنى السورة من بائع الثلج كان يصيح ويقول: ارحموا من يذوب رأس ماله، ارحموا من يذوب رأس ماله فقلت: هذا معنى: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ ﴾ يمر به العصر

(١)التغابن: ٩.

(٢)الحج: ٤٧.

(٣)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٣٠، والحديث من صحيح البخارى، (٢١٥١) باب الإجارة من العصر إلى الليل:٢/ ٧٩٢.

فيمضي عمره ولا يكتسب فإذا هو خاسر[1]."وأقسم بالعصر، أى الزمن لأهمية الوقت بالنسبة للإنسان، والعصر هو أشرف الأشياء لأنه هو الحياة، كما أن العصر لله لقوله تعالى:﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2] للإشارة إلى الزمان.

هذا النموذج من القسم بالعصر يتضح فيه قصر جملة القسم وطول جملة الجواب القسم لأن المقصود بالعصر هو عمر الإنسان فى الدنيا الذى لا يساوى ساعة، كما ذكر الله تعالى:﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾[3]، وقال تعالى:﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴾[4]، وقال تعالى:﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[5] وقال تعالى:﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾[6]، وغيرها من الآيات الكثير؛ **فالمقام يستدعى قصر القسم ليتناسب مع قصر العمر، وطول الجواب يتناسب مع سرمدية وطول الحياة بعد الموت.**

ويلاحظ فى القسم بصيغة المفرد دلالته على السواكن بعكس القسم بصيغة الجمع الذى يدل على أنه قسم بالمتحركات – كما ذكر من قبل - أى أنها لا تدل على الحدث وإنما تدل على الثبوت والاستقرار، ويتضح ذلك عند الرجوع إلى المقسم به، حيث يشير إلى أمور ثابتة مستقرة.

---

(١)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: ٣٢/ ٨٥.

(٢)الأنعام: ١٣.

(٣)يونس: ٤٥.

(٤)الروم: ٥٥.

(٥)الأحقاف: ٣٥.

(٦)النازعات: ٤٦.

المقسم عليه (جواب القسم).

١- المقسم عليه (جواب القسم) فى أول سورة الطور: ورد الجواب فى هذا الموضع فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾[١]، وجاء مؤكدًا بأكثر من مؤكد، مثل **التأكيد بـ (إنَّ واللام)** التى دخلت على اسم فاعل ﴿ لَوَٰقِعٌ ﴾ وكأن العذاب فى مكان مرتفع أعلى المكذب به يكاد يقع عليه، وأنه **جملة اسمية مثبتة**، والجملة الاسمية تدل على الثبوت والتأكيد: "وفي إضافة العذاب لقوله: ﴿ رَبِّكَ ﴾ لطيفة، إذ هو المالك والناظر في مصلحة العبد. فبالإضافة إلى الرب، وإضافته لكاف الخطاب أمان له صلى الله عليه وسلم؛ وإن العذاب لواقع هو بمن كذبه، ولواقع على الشدة، وهو أدل عليها من لكائن[٢]."، "وفي إضافته إلى الرب مع إضافة الرب إلى ضميره عليه الصلاة والسلام أمان له صلى الله عليه وسلم وإشارة إلى أن العذاب واقع بمن كذبه[٣]."

٢- المقسم عليه (جواب القسم) فى أول سورة النجم: ورد الجواب فى أول سورة النجم فى قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[٤]، والجواب هنا جملة فعلية فعلها ماض منفى بـ (ما)، وتكرر تأكيد الجواب بالنفى بـ (ما) فى هذه الصورة مرتين لنفى الضلال والغواية عن النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل بعثته؛ حيث جاء النفى عاما فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، فى الماضى والحاضر والمستقبل، وجاء النفى عاما لكل ما ينطق به بصيغة المضارع ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ للدلالة على الاستمرار والتجدد، ودخول (ما النافية) غير العاملة على الفعل الماضى أبقته على مضيه، ودخولها على الفعل المضارع نقلته إلى الاستقبال.

ملاحظة: (ما النافية) تنفى الفعل الماضى القريب، وليس على الإطلاق، ولكن

---

(١)الطور: ٧ - ٨.

(٢)البحر المحيط :٨/ ١٤٤-١٤٥.

(٣)روح المعانى: ٢٧/ ٢٩.

(٤)النجم: ٢ - ٣.

حذف المفعول به فى قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ يدل على أن نفى الضلال هنا على الإطلاق؛ لأن (ما + الفعل الماضى) يعنى نفى الماضى والماضى المطلق للضلال بحذف المفعول؛ لأننى لو قلت: "ما ضل الرجل الطريق" = ما+ فعل + فاعل + مفعول به، أى أنه لم يضل فى الماضى القريب، ولكن إذا قلت: ما ضل الرجل، فإن هذا يعنى نفى الضلال عنه مطلقًا، وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾، أى نفى الضلال والغواية عنه مطلقًا.

وتأتى مادة ضل بمعنى: (ضاع وهلك - خفى وغاب – تلف وهلك – بطل وذهب – ضل سعيه: ذهب عمله هباء – نسى – ضل الطريق: لم يهتد إليه – ضل الشىء: عجز عنه): ومن معانى الضلال: أى ضد الهدى والرشاد – جُن جنونه – الضلال عن كل شىء مقيم ثابت - ضاع – جار، والمراد به: "العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية، قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمدا كان أو سهوا، يسيرا كان أو كثيرا." [(١)]، وقال صاحب اللسان: "الضَّلالُ والضَّلالةُ: ضدُّ الهُدَى والرَّشاد،... وَيُقَالُ: ضَلَّ ضَلاله، كَمَا يُقَالُ جُنَّ جُنونُه... وضَلَلْت الدارَ والمَسْجدَ والطريقَ وكلَ شَيْءٍ مُقِيمٍ ثَابِتٍ لَا تَهْتَدي لَهُ[(٢)]."، وهنا لمسة بديعة من لمسات القرآن إذ إن معنى ضل تعنى أن هناك شيئًا ثابتا ضل عنه السائر إليه، وهو الدين فالذى يفقد طريقه إلى الله وينحرف عن الإسلام فهو ضال عن الطريق. ولم يأت الفعل (ضل) بصيغة الماضى فى القرآن منفيا بـ (ما) إلا فى هذه الآية، ولم يأت بصيغة المضارع (يضل) منفيا بـ (لا) إلا فى موضعين: **الأول**: نفى الضلال عن الله - عز وجل - مطلقا فى قوله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾[(٣)] **الثانى**: مسبوقا بـ (فلا) فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا

(١)المفردات فى غريب القرآن، مادة (ضل): ٢٩٧.

(٢)لسان العرب مادة (ضلل): ١١/ ٣٩٠، وينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية :٥/ ١٧٤٨، المعجم الوسيط: ١/ ٥٤٢.

(٣)طه: ٥٢.

مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾[1]، وجاءت بعد أن عصى آدم ربه فغوى، فى قوله تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾[2]والنفى بـ (لا) مع الفعل المضارع يفيد أن النفى أوسع وأدل على انتفاء الضلال فى المستقبل.

يستعمل الفعل المضارع لوقتين المضارع والاستقبال معا، أو لأحدهما، وإذا دخلت عليه (ما النافية) دل على الحال، أما الفعل الماضى إذا سبق بـ (ما النافية) كان زمنه قريبا من الحال: "وإذا وجدت قبله "ما" النافية كان معناه منفيًّا، وكان زمنه قريبًا من الحال.[3]"

ومن جماليات الأسلوب القرآنى استخدام لفظ (صاحبكم) بإضافته إلى ضمير المخاطب لإشعارهم بتأنيب الضمير، وتذكيرهم بأن هذا الذى كنتم تؤمنون بأنه (الصادق الأمين) هو من كان يعيش بينكم؛ فلم يأت من مكان آخر، إنما هو صاحبكم الذى تتهمونه بالضلال: "وعبر بالصحبة لأنها أدل على القصد مرغبة لهم فيه ومقبلة بهم إليه ومقبحة اتهامه فى إنذاره مع معرفتهم بطهارة شمائله[4]."

ومن معانى غوى فى اللغة: (ضل، وخاب – رجل غاو: أى ضال – اسم الفاعل منه (غَوٍ) – "الغي جهل من اعتقاد فاسد، وذلك أن الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد اعتقادا لا صالحا ولا فاسدا، وقد يكون من اعتقاد شيء

---

(١)طه: ١٢٣.

(٢)طه: ١٢١ – ١٢٣.

(٣)النحو الوافى: ١/ ٥٣.

(٤)إعراب القرآن وبيانه – محيى الدين درويش:٨/ ٣٢٢-٣٢٣، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ٢١٧،مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: ٢٨/ ٢٨٠-٢٨١.

فاسد وهذا النحو الثاني يقال له غي[1]."وقيل إن "الغى: الضلال والخيبة أيضا. وقد غوى بالفتح يغوى غيا وغواية، فهو غاو وغو. وأغواه غيره فهو غوى على فعيل.[2]"، ولم يأت هذا الفعل الماضى (غوى) منفيا بـ (ما) فى القرآن الكريم إلا فى هذا الموضع؛ ربما للدلالة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يضل ولم يغو ولو مرة واحدة، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[3] وجاءت الأفعال الثلاثة (ضل، غوى، ينطق) قريبة المعانى، وبينها ترتيب فى ملمح إعجازى من إعجاز القرآن؛ إذ جاءت مرتبة من حيث المعنى؛ فالرسول – صلى الله عليه وسلم – (ما ضل ، وما غوى) ومن ثم فإنه ما ينطق عن الهوى ، أى أن نفى النطق عن الهوى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – مترتب على نفى الضلال والغواية عنه، ولو جاء الفعل (ينطق) بصيغة الماضى لدل على أنه ما نطق عن الهوى فى الماضى، أما الآن فقد ينطق به.

– **ما دلالة تكرار (ما) فى القسم فى سورة النجم؟** تكررت (ما) فى القسم فى أول سورة النجم، فى قوله تعالى:﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ ونفى بها الفعل المضارع ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[4] فدخول (ما) النافية غير العاملة على الفعل الماضى تبقيه على مضيه، **وتحول زمن المضارع إلى الحال** فنفى الله بها الفعل الماضى (ضل، غوى)، ونفى بها الفعل المضارع (ينطق) فدلت على أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم ينطق عن الهوى فى الماضى أو فى الحاضر أو فى المستقبل[5].

"واعلم أن في قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ بصيغة الماضي وفي قوله: «وما ينطق» بصيغة المستقبل ترتيب في غاية الحسن أي ما ضل حين اعتزلكم وما

---

(١)المفردات فى غريب القرآن، مادة (غوى): ٣٦٩.
(٢)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية مادة (غوى) :٦/ ٢٤٥٠، لسان العرب: ١٥/ ١٤٠.
(٣)النجم: ٣ – ٤.
(٤)النجم: ٢ – ٣.
(٥)ينظر الجنى الدانى فى حروف المعانى: ٣٢٩.

تعبدون في صغره «وما غوى» حين اختلى بنفسه ورأى في منامه ما رأى وما ينطق عن الهوى الآن حيث أرسل إليكم وجعل رسولا شاهدا عليكم فلم يكن أولا ضالا ولا غاويا وصار الآن منقذا من الضلالة مرشدا وهاديا[1]."، **وهناك روابط بين القسم وجوابه**، حيث "تتضمن جملة الجواب المعنى الأساسي الذي لولاه لما كان القسم، ويربطها بجملة القسم أحد الروابط التالية: اللام، ونون التوكيد، وإن، وأحرف النفي" :ما" و"لا" و"إن".[2]"

وجواب القسم هنا لنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم "لتكمل الأصول الثلاثة: الوحدانية، والحشر، والنبوة. [3]"وعطف على جواب القسم ما يؤكده، وهو قوله تعالى:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[4] "والكلام الذي ينطق به هو القرآن لأنهم قالوا فيه: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾[5] وقالوا: ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا ﴾[6]... فأراهم الله أن القرآن داعٍ إلى الخير. [7]"، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يضل ولم يغو، لأنهم لم يثبتوا عليه أنه اتبع الهوى.

٣- المقسم عليه (جواب القسم) فى أول سورة البروج: اختلف العلماء فى المقسم عليه هنا، فمنهم من قال إنه: محذوف، تقديره: لتبعثن، يدل عليه قوله تعالى:﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾[8]وقيل هو قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾[9]، وقيل هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ

---

(١)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى: ١٨/ ١٥٧، مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: ٢٨/ ٢٨٠-٢٨١.

(٢)ظاهرة النفى فى الحديث الشريف: ٨٨-٩٣.

(٣)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: ٢٨/ ٢٧٧.

(٤)النجم: ٣.

(٥)الفرقان: ٤.

(٦)الفرقان: ٥.

(٧)التحرير والتنوير: ٢٧/ ٩٣.

(٨)ينظر الكشاف: ٦/ ٣٤٦.

(٩)البروج: ١٠، ينظر إعراب القرآن للنحاس: ١/ ١٩١.

بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾[1]، وقيل هو قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾، وحذفت منه اللام، أى لقتل، وفى هذه الحالة تكون جملة الجواب جملة طلبية أو دعاء[2].

ويؤيد الباحث القول بأن الجواب هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ **لعدة أسباب:**

١- **السبب الأول:** أن الخطاب للنبى - صلى الله عليه وسلم - للربط بين ما يلاقيه المؤمنون فى عهده - صلى الله عليه وسلم - وما حدث لأهل الأخدود، فهذه الآية تشير إلى أن العقاب ليس خاصا بأهل الأخدود فقط، وإنما لكل من يؤذى المؤمنين فى كل زمان؛ فالآية تفيد العموم: "أقسم بهذه الأشياء أنهم ملعونون، يعني كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود؛ وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة، وتذكيرهم بما جرى على من تقدّمهم: من التعذيب على الإيمان. وإلحاق أنواع الأذى، وصبرهم وثباتهم، حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرّقين بالنار، ملعونون أحقاء بأن يقال فيهم: قتلت قريش، كما قيل: قتل أصحاب الأخدود وقتل: دعاء عليهم. [3]"، فجاء القسم هنا مناسبا للمقام الذى يعيشه المؤمنون وما يعانونه من تضييق وتعذيب، وذلك للتسرية والتخفيف عنهم، وللتأكيد بأن هذا حال المؤمنين فى كل العصور كما حدث للأمم السابقة، ومنها قصة أهل الأخدود، ويؤكد ذلك أن سورة البروج من السور المكية نزلت فى الفترة التى أوذى فيها المؤمنون كثيرا على أيدى الكفار.

٢- **السبب الثانى:** أن هناك نماذج أخرى لافتتان المؤمنين من قبل غير أهل

---

(١)البروج: ١٢، ينظر مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: ٣٠/ ٨٧، معانى القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/ ٣٠٧.

(٢)ينظر البحر المحيط: ٨/ ٤٤٣، معانى القرآن للفراء: ٣/ ٣٥٣، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ٥٠٧، اللباب فى علوم الكتاب: ٢٠/ ٢٤٧.

(٣)الكشاف: ٦/ ٣٤٦-٣٤٧، اللباب فى علوم الكتاب: ٢٠/ ٢٤٧.

الأخدود، كما حدث من تعذيب قوم موسى عليه السلام على يد فرعون ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1]، وورد ذكر صور من العذاب لقوم فرعون فى سياق السورة فى قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾[2]، أى أن الله - عز وجل - لا يترك الذين يعتدون على عباده ويعذبونهم بلا عقاب، ولم يرد فى القرآن الكريم من اعتدى على عباده المؤمنين ولم يعاقب أو يتوعده الله بالعقاب، فى الدنيا أو فى الآخرة.

٣- **السبب الثالث**: لأن هذا الجواب فيه إشارة إلى أن الفرصة مازالت سانحة لكل من عذب المؤمنين والمؤمنات ليتوبوا إلى الله.

٤- **السبب الرابع**: ما رآه كثير من علماء التفسير من أن قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ ليس جوابا للقسم؛ لأنه دعاء عليهم باللعن "كل شيء في القرآن « قُتِلَ» فهو: لُعِنَ، والأخدود الشقُّ العظيم المستطيل الغائص في الأرض[3]."، وقيل إن قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ﴾ هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول: " ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ قيل: هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول،... وقيل: تقديره لقد قتل وأيا ما كان فالجملة خبرية والأظهر أنها دعائية دالة على الجواب كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء أنهم أي كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود.[4]"

٤- **السبب الخامس**: أن هذا الجواب ذكره كثير من المفسرين "الجواب هو جملة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[5] فيكون الكلام الذي بينهما اعتراضا

---

(١)القصص: ٤.

(٢)البروج: ١٧ - ٢٠.

(٣)الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/ ١٨٣، اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى:٢/ ٢٤٧، التبيان فى أيمان القرآن:١٤٣، والكشاف: ٦/ ٣٤٧، ومعالم التنزيل:٥/ ٢٣٣.

(٤)إرشاد العقل السليم إلى مزايا ما فى الكتاب الكريم: ٥/ ٥٠٧.

(٥)البروج: ١٠.

وتوطئة على نحو ما قررناه في كلام الزجاج. وقوله: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ صيغته تشعر بأنه إنشاء شتم لهم شتم خزي وغضب وهؤلاء لم يقتلوا ففعل قتل ليس بخبر بل شتم نحو قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴾[1].وقولهم قاتله الله، وصدوره من الله يفيد معنى اللعن ويدل على الوعيد لأن الغضب واللعن يستلزمان العقاب على الفعل الملعون لأجله[2]."

٥- **السبب السادس**: أن قصة أصحاب الأخدود كانت معروفة لدى العرب؛ فلا تحتاج إلى توكيد[3].

٧- **السبب السابع**: تأكيد الخبر بـ (إن) "للرد على المشركين الذين ينكرون أن تكون عليهم تبعة من فتن المؤمنين. والذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات: هم مشركو قريش وليس المراد أصحاب الأخدود لأنه لا يلاقي قوله: (ثم لم يتوبوا) إذ هو تعريض بالترغيب في التوبة[4]."، أما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ فهو تعليل لجواب القسم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾، وهي مؤكدة بـ (إن) أي لأن بطش الله شديد: "جملة: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ علة لمضمون قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾[5] ، أي لأن بطش الله شديد على الذين فتنوا الذين آمنوا به. فموقع (إن) في التعليل يغني عن فاء التسبب. وبطش الله يشمل تعذيبه إياهم في جهنم ويشمل ما قبله مما يقع في الآخرة وما يقع في الدنيا قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[6]ووجه الخطاب للنبيء (صلى الله عليه

---

(١)الذاريات: ١٠.

(٢)التحرير والتنوير:٣٠/ ٢٤٠.

(٣)ينظر التحرير والتنوير:٣٠/ ٢٤٠، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:٨/ ٤٨٤.

(٤)التحرير والتنوير:٣٠/ ٢٤٥.

(٥)البروج: ١٠.

(٦)الدخان : ١٦.

وسلم) لأن بطش الله بالذين فتنوا المؤمنين فيه نصر للنبيء (صلى الله عليه وسلم) وتثبيت له.[1]"

أما قوله تعالى:﴿ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ ﴾ فهو قسم آخر، واتفق العلماء على أن المقصود باليوم الموعود هو يوم القيامة، والموعود نعت لليوم، وحذف الضمير، أى: الموعود به، وقيل ربما يكون يوم خروج الناس من قبورهم، أو يوم طى السجل للكتب، وكلها أمور تدخل فى يوم القيامة: "وقيل لعله اليوم الذي يخرج الناس فيه من قبورهم فقد قال سبحانه ﴿ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾[2]أو يوم طى السماء كطى السجل للكتب وقيل يمكن أن يراد به يوم شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم على ما أشار إليه قوله تعالى:﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[3]ولا يخفى أن جميع ذلك داخل في يوم القيامة[4]."، واختلف العلماء فى قوله تعالى: ﴿ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴾[5]إلى **سبعة وعشرين قولا**، وهذا قسم آخر جاء نكرة للإيهام فى الوصف أو للمبالغة فى كثرة ما يشاهد: "﴿ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴾ ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما أحضر فيه من العجائب، وتنكيرهما للإيهام في الوصف أي ﴿ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴾ لا يكتنه وصفهما، أو المبالغة في الكثرة كأنه قيل: ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود، أو النبي عليه الصلاة والسلام وأمته، أو أمته وسائر الأمم، أو كل نبي وأمته، أو الخالق والخلق، أو عكسه فإن الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده، أو الملك الحفيظ والمكلف أو يوم النحر، أو عرفة والحجيج، أو يوم الجمعة والجمع فإنه يشهد له أو كل يوم وأهله[6]."، واختلفوا فى المقصود بالشهادة، بمعنى الحضور ضد المغيب أو الشهادة على الخصم أو له.

---

(١)التحرير والتنوير:٣٠/ ٢٤٧- ٢٤٨.
(٢)المعارج: ٤٣ - ٤٤.
(٣)الإسراء : ٧٩.
(٤)روح المعانى:٣٠٠/ ٨٦.
(٥)البروج: ٣.
(٦)أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٥/ ٣٠، روح المعانى:٣٠/ ٨٦.

٤- **المقسم عليه (جواب القسم) فى أول سورة الطارق:** اختلف العلماء فى جواب القسم، فقيل إن الجواب هو قوله تعالى:﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴾[1]، وقيل هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴾[2]"وعلى كل تقدير فـ«إن» وما في خبرها: جواب القسم سواء جعلها مخففة أو نافية. وقيل: الجواب: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴾ وما بينهما اعتراض[3]."

ومن الملاحظ أن (إنْ) بمعنى (ما) النافية و(لما) بمعنى (إلا)، ويكون التقدير: ما كل نفس إلا عليها حافظ، أو أن (إنْ) هى المخففة من الثقيلة، واسمها محذوف (ضمير الشأن) و (اللام) فى (لما) فارقة، والتقدير أن الشأن كل نفس لعليها حافظ: "وإن نافية، ولما بمعنى إلا ما كل نفس إلا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴾[4] وقيل: هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا ﴾[5] الآية وقوله تعالى: ﴿ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً ﴾[6]وقوله تعالى:﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ ﴾[7]وقرىء (لما) مخففة على أن (إن) مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة أي أن الشأن كل نفس لعليها حافظ[8]."

وأخذًا برأى من رجح أن الجواب هو قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴾

---

(١)الطارق: ٤، انظر الكشاف: ٦/ ٣٥٢.

(٢)الطارق: ٨.

(٣)اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى:٢٠/ ٢٦١، الدر المصون:١٠/ ٧٥٢، البحر المحيط:٨/ ٤٤٩.

(٤)الأحزاب: ٥٢.

(٥)الانفطار: ١٠ - ١١.

(٦)الأنعام: ٦١.

(٧)الرعد: ١١.

(٨)إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٥/ ٥١٤،روح المعانى:٣٠٩٥-٩٦، أنوار التنزيل:٥/ ٣٠٣.

واستبعد الجواب الآخر، فإن جملة جواب القسم جملة اسمية مؤكدة بـ (إن) سواء أكانت المخففة من الثقيلة أو النافية لتأكيد النفى بأن تكون هناك نفس خلقت بلا حافظ، والغرض من القسم هنا تأكيد البعث؛ لذلك فإن التصريح بأن لكل نفس حافظ يراقبها ويعلم ما تفعل فى السر والعلن؛ مما يعنى أنها ستبعث وتحاسب على أعمالها، وهذا التركيب فيه معنى التأكيد الشديد، فهو يعنى: ما من نفس إلا عليها حافظ يحفظ عليها ويراقبها، حفظ بمعنى حرس وراقب، والحفيظ هو الله – عز وجل – الذى حفظ أعمال عباده من خير أو شر، وحفظ السماوات والأرض بقدرته، والحفظة هم الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد، واللوح المحفوظ هو القرآن الكريم، الحفظ "يقال تارة لهيئة النفس التي بها يثبت ما يؤدي إليه الفهم، وتارة لضبط شيء في النفس ويضاده النسيان، وتارة لاستعمال تلك القوة فيقال: حفظت كذا حفظا، ثم يستعمل في كل تفقد وتعهد ورعاية... وعندنا كتاب حفيظ أي حافظ لأعمالهم، فيكون حفيظ بمعنى حافظ نحو الله حفيظ عليهم أو معناه محفوظ لا يضيع[1]." واختيار كلمة (نفس) أولا بدلا من كلمة الإنسان له دلالته فى السياق؛ لأن الله أتبعها باختيار كلمة الإنسان، حيث قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ يعنى أن الرقيب على الجوهر والمظهر؛ ولأن النفس إما أن تكون (أمارة، أو لوامة، أو مطمئنة، أو ملهمة) [2]، ومع كل نفس حفظة يحفظونها بأمر الله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[3]، ومجيء كلمة (نفس) نكرة يفيد العموم، وقد جاء قبلها ما يؤكد هذا العموم، أى أنه لا توجد نفس بلا حافظ، كما أن هذا العموم يعنى

---

(١)ينظر المفردات فى غريب القرآن، مادة (حفظ):١٢٤، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٣/ ١١٧٢، لسان العرب:٧/ ٤٤٠، تاج العروس:١٠/ ٢١٩.

(٢)وردت هذه الأنواع الأربعة للنفس فى القرآن الكريم بنفس ترتيبها فى سور (يوسف:٥٣– القيامة:٢ – الفجر:٧ – الشمس:٨).

(٣)الرعد: ١١.

أنها للإنسان وغير الإنسان؛ لأن كل مخلوق سيحاسب على أعماله، كما قال النبى – صلى الله عليه وسلم – "عن أبى هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء[١]."، وقيل إن التعبير بهذه الصيغة ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ فيه معنى التوكيد الشديد، أى "ما من نفس إلا عليها حافظ. يراقبها، ويحصى عليها، ويحفظ عنها، وهو موكل بها بأمر الله. ويعين النفس لأنها مستودع الأسرار والأفكار. وهي التي يناط بها العمل والجزاء. ليست هنالك فوضى إذن ولا هيصة! والناس ليسوا مطلقين في الأرض هكذا بلا حارس. ولا مهملين في شعابها بلا حافظ، ولا متروكين يفعلون كيف شاءوا بلا رقيب. إنما هو الإحصاء الدقيق المباشر، والحساب المبني على هذا الإحصاء الدقيق المباشر[٢]."

٥- المقسم عليه (جواب القسم) فى أول سورة الفجر: اختلف العلماء فى جواب القسم فى هذا الموضع، فقيل إنه محذوف، تقديره: "ليصبن ربك على مكذبيك سوط عذاب كما صب على عاد وثمود وفرعون.[٣]"، وحذف الجواب بدلالة ما جاء قبل هذه السورة، فى آخر سورة الغاشية: "والذي يظهر أن الجواب محذوف يدل عليه ما قبله من آخر سورة الغاشية، وهو قوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ وتقديره: لإيابهم إلينا وحسابهم علينا. [٤]"، وقيل:" الجواب محذوف، تقديره: ليعذبن، بدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾[٥]، إلى قوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[٦]."[٧]

---

(١)صحيح مسلم،(٢٥٨٣) باب ما جاء لا تقبل صلاة بغير طهور:٤/ ١٩٩٧، والجامع الصحيح – سنن الترمذى، باب ما جاء فى شأن الحشر:٤/ ٦١٤.

(٢)فى ظلال القرآن:٣/ ٨٧٨.

(٣)التحرير والتنوير :٣٠/ ٣١٧.

(٤)البحر المحيط: ٨/ ٤٦٤، والآيات من سورة الغاشية: ٢٥ – ٢٦.

(٥)الفجر: ٦.

(٦)الفجر: ١٣.

(٧)اللباب فى علوم الكتاب:٢٠/ ٣١٤.

أقسم الله بخمسة أقسام فى أول هذه السورة (الفجر- وليال عشر - والشفع والوتر - والليل إذا يسر) **وهو ثانى أطول قسم فى القرآن الكريم بعد قسم سورة الشمس التى أقسم الله فيها بسبعة أقسام** - مما يزيد فى التشويق إلى الجواب، وتعددت الأقسام فى هذه السورة، وحذف الجواب ليلقى الروع والقلق فى النفس البشرية، وتذهب فيه النفس كل مذهب توسعا فى المعنى "أما المقسم عليه بذلك القسم، فقد طواه السياق، ليفسره ما بعده، فهو موضوع الطغيان والفساد، وأخذ ربك لأهل الطغيان والفساد، فهو حق واقع يقسم عليه بذلك القسم في تلميح يناسب لمسات السورة الخفيفة على وجه الإجمال. [(١)]"وعرض نماذج من إهلاك الأمم السابقة من المتجبرين منهم، مثل عاد وثمود وفرعون.

٦- **المقسم عليه (جواب القسم) فى أول سورة الشمس**: اختلف العلماء فى المقسم عليه فى هذا الموضع، فقيل هو قوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ وحذفت اللام لطول الكلام: "المعنى لقد أفلح، لكن اللام حذفت لأن الكلام طال فصار طوله عوضاً منها[(٢)]."، والجواب هنا جملة فعلية فعلها ماض سبق بـ (قد) لإفادة تحقيق وقوع الفعل - على الرغم من أن الحساب لم يقع بعد - وكأنه وقع الفلاح فعلا؛ لأن الله - عز وجل - عندما يخبر عن فعل فى المستقبل بصيغة الماضى فإن ذلك دليل على التحقق ودليل على القدرة الإلهية، وأكد الحدثين الفلاح والخيبة بالفعل الماضى، وهناك علاقة بين حدث تحقق الفعل فى الماضى وهو (هلاك قوم ثمود) وحدث سيحدث فى المستقبل، ولكن تحدث عنه بالماضى للدلالة على تحقق الحدثين.

وقيل إن الجواب محذوف تقديره: لتبعثن[(٣)]، والمقصود هنا أن الله وضع فى النفس الإنسانية ما يعينها على التمييز بين الخير والشر، ولم يجبرها على فعل شىء

---

(١)فى ظلال القرآن:٦/ ٣٩٠٣.

(٢)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٣١/ ١٩٠.

(٣)ينظر البحر المحيط: ٨/ ٤٧٥.

معين، ومن هذا الإلهام فإنه يبعثها ويحاسبها على أعمالها. وقيل إن الجواب محذوف تقديره: "ليدمدمنّ الله عليهما، أي: على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحاً. وأما ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[1] فكلام تابع لقوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾[2]على سبيل الاستطراد، وليس من جواب القسم في شيء.[3]"

٧- **المقسم عليه (جواب القسم) فى أول سورة الليل**: الجواب هنا هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾[4]وهى جملة اسمية مؤكدة بـ (إن واللام)، وجاءت كلمة ﴿ سَعْيَكُمْ ﴾ بصيغة المصدر للدلالة على عموم السعى، قد يكون المراد بالجواب هنا السعى فى الأعمال الدنيوية من زراعة وتجارة وصناعة... وقد يكون المراد بالسعى أمرًا غير مرئى خاص بالنفس الإنسانية واعتقاد الإنسان، وقد يكون المعنيان مرادين فى الوقت نفسه، والدليل على ذلك ما ورد عقب الجواب فى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾[5]وحذف مفعول (أعطى، واتقى، وبخل، واستغنى) للجمع بين الأمرين (المحسوس والغيبى). والسَّعْى عدْوٌ دون الشَّدِّ، ويكون في الصلاح، ويكون في الفساد: "وسَعَى إذا مَشَى وسَعَى إذا عَمِلَ وسَعَى إذا قَصَد وإذا كان بمعنى المُضِيِّ عُدِّيَ بإلى وإذا كان بمعنى العَمَل عُدِّي باللام والسَّعيُ القَصْدُ...أَصلُ السَّعْيِ في كلام العرب التصرُّف في كل عَمَلٍ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[6]معناه إلاَّ مَا عَمِلَ.[7]"

---

(١)الشمس: ٩.
(٢)الشمس: ٨.
(٣)الكشاف: ٦/ ٣٨٣.
(٤)الليل: ٤.
(٥)الليل: ٥ - ١١.
(٦)النجم: ٣٩.
(٧)لسان العرب، مادة (سعا) :٣/ ٢٠١٩، القاموس المحيط: ١٢٩٥، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٦/ ٢٣٧٦، المعجم الوسيط:١/ ٤٣١.

وشتّى: جمع شتيت على وزن فَعْلَى، مشتق من الشتِّ، وهو التفرق الشديد، والمراد به هنا التنوع والاختلاف في الأحوال "الشَّتُّ الافتراق والتَّفْريقُ شَتَّ شَعْبُهم يَشِتُّ شَتًّا وشَتاتاً وانْشَتَّ وتَشَتَّتَ أَي تَفَرَّقَ جمعُه.(١)"، قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي بكر - رضي الله عنه - وأبي سفيان.(٢)"

٨- **المقسم عليه (جواب القسم) فى أول سورة الضحى**: ورد الجواب هنا فى قوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾(٣)وجملة الجواب هنا جملة فعلية فعلها ماض؛ لذلك سبقت بـ (ما) النافيـة، وعطـف عليها جملة أخرى منفية أيضا بـ (ما) وهى نافية غير عاملة، تفيد نفى حدوث الفعل فى الزمن الماضى، ردًا على كلام الكفار عندما انقطع الوحى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - فقـالوا ودعه ربه وقـلاه، فجاء القرآن يؤكد أن الله لم يدع رسوله فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل فى سياق السورة نفسها فى قوله تعالى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾(٤).

ومن معانى ودع: التوديع عند الرحيل، والاسم الوداع بالفتح، وسائر القُرّاء قرؤوه ودّعك بالتشديد وقرأ عروة بن الزبير(٥)ما وَدَعَك ربك بالتخفيف والمعنى فيهما واحد أَي ما تركك ربك، العرب لا تقول ودَعْتُهُ فأَنا وادعٌ أَي تركته ولكن

---

(١)لسان العرب، مادة (شتت): ٤/ ٢١٩٢، المفردات فى غريب القرآن: ٢٥٥، اللباب فى علوم الكتـاب لابن عادل الحنبلى:٢٠/ ٣٧١، التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٨٠.

(٢)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى:٢٠/ ٣٧١.

(٣)الضحى: ٣.

(٤)الضحى: ٤ - ٥.

(٥)أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بـن كـلاب القـرشي الأسدي،...؛ هو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ... وأبـوه الـزبير بـن العـوام أحـد الـصحابة العـشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن صفية عمة النبي، صلى الله عليه وسلم. وأم عروة المذكور أسماء بنـت أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، ..، وعروة شقيق أخيه عبد الله ابن الزبير، بخلاف أخيهما مصعب فإنـه لم يكن من أمهما، وقد وردت عنه الرواية في حروف القرآن، وسمع خالته عائـشة أم المـؤمنين، رضي الله عنها. ينظر وفيات الأعيان :٣/ ٢٥٥.

يقولون في الغابر يَدَعُ وفي الأَمر دَعْه وفي النهي لا تَدَعْه[1]. وقد ورد هنا الفعل (ودع) بدلا من (ترك) وهذا ما يسميه علماء أصول النحو بـ (علة الاستغناء)، حيث استغنى بـ (ودع) عن (ترك) لعلة لغوية "وعلة الاستغناء كاستغنائهم بـ "ترك" عن "ودع".[2]"، وعطف الله جملة (وما قلى) على جملة (ما ودعك) لأن المشركين منهم من قال: ودعه ربه، ومنهم من قال: قلاه[3].

من معانى قلى (البغض الشديد: "قَلَيْتُه قِلًى وقَلاء ومَقْلِيةً أَبغضته وكَرِهْتُه غاية الكَراهة فتركته[4]."واختيار لفظ سجى لما فيه من معان خاصة، حيث إن في سجى "ثلاثة أوجه متقاربة: سكن وأظلم وغطى[5]."

٩- **المقسم عليه (جواب القسم) فى أول سورةالتين**: ورد الجواب فى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[6]، والجواب مكون من جملتين فعليتين فعلهما ماض مثبت، أكد الأول بـ (اللام وقد) وعطف القسم الثانى بحرف العطف (ثم) وفيها معنى الترتيب والتراخى فى رد الإنسان إلى أسفل سافلين، مما يفيد إمهال الله للعبد إذا انخرط فى المعاصى، كما أن فى عطف (رددناه) على (خلقنا الإنسان) وإضافتهما إلى (نا الفاعلين) دلالة على القدرة والعظمة لله - عز وجل - وتفيد ضعف الإنسان أمام قدرة الخالق الذى خلقه فى أحسن تقويم القادر على رده إلى أسفل سافلين، وجاء هذا الجواب ردًّا على منكرى البعث. واختلف فى المقصود بالإنسان، فمن العلماء من قال هو الكافر، ومنهم من قال هو المؤمن: "قوله: ﴿لَقَدْ

---

(١)ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (ودع) :٣/ ١٢٩، لسان العرب:٨/ ٣٨٠، المعجم الوسيط: ١/ ٤١٨.

(٢)الاقتراح للسيوطى: ١٠٧.

(٣)ينظر أسباب النزول للسيوطى: ٢٩٦، وأسباب النزول للواحدى:٤٨١.

(٤)ينظر الصحاح تاج اللغة صحاح العربية، مادة (قلا): ٦/ ٢٤٦، لسان العرب:١٥/ ١٩٨.

(٥)مفاتيح الغيب - التفسير الكبير:٣١/ ٢٠٨.

(٦)التين: ٤ -٦.

خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾، هذا جواب القسم [وأراد بالإنسان الكافر... وقيل: المراد بالإنسان]: آدم - عليه الصلاة والسلام - وذريته. [1]"، وتعددت آراء العلماء بالمقصود بقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ فقال فريق إن المقصود بأحسن تقويم، أى: من حيث بنيانه الذى ميزه الله به من حيث ارتفاع القامة خلافا لغيره من المخلوقات الأخرى وكرم الله الإنسان فقال تعالى:﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلًا ﴾[2]، كما خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم من حيث الفطرة السليمة ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[3]، قومت الشىء عدلته: "تقويم الشيء تثقيفه، قال ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ وذلك إشارة إلى ما خص به الإنسان من بين الحيوان من العقل والفهم وانتصاب القامة الدالة على استيلائه على كل ما في هذا العالم[4]."

واستخدام أفعل التفضيل فى قوله تعالى: ﴿ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ يعنى أن ليس هناك أفضل من الإنسان من حيث الخلق فى أفضل بنيان والفطرة السليمة والمعنيان مرادان ويفهمان من السياق ومن الواقع الذى لا يخفى على كل ذى بصيرة، واختيار قوله تعالى: ﴿أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ أفضل من قولنا (تقويم حسن) لأن هذا يعنى أنه من جملة ما خلق الله فى تقويم حسن وهو كثير وبديع، وهذا التعبير ينفى أن يكون هناك تقويمًا أحسن من تقويم الإنسان وفطرته التى فطره الله عليها، ومن جملة هذه الفطرة العقل الذى منحه الله للإنسان، واختيار كلمة ﴿تَقۡوِيمٖ ﴾يعنى التعديل؛ لأنها بمعنى (عدل)؛ لأن الله خلق الإنسان فعدله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦

(١)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى: ٢٠/ ٤٠٨.
(٢)الإسراء: ٧٠.
(٣)الروم: ٣٠.
(٤)انظر المفردات فى غريب القرآن، مادة (قوم):٤١٨، لسان العرب: ١٢/ ٤٩٦.

ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[1]، ولم ترد كلمة ﴿تَقْوِيمٍ﴾ فى القرآن الكريم إلا فى هذا الموضع.

العلاقة بين الاستثناء والقسم:

جاء الاستثناء فى أسلوب القسم فى سورة التين فى قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ فأكد هذا الاستثناء أن المقصود بحسن التقويم ليس البنيان فقط، وإنما يعنى الفطرة السليمة، والخصائص الروحية التى ترفع الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى الدرجات العلى بأجر غير ممنون.

وفى العطف بـ (ثم) دلالة على الترتيب والتراخى، أى أن الإنسان لا يرد إلى أسفل سافلين فجأة وإنما هذا مترتب على تراخيه وتخاذله وتثاقله فيما أمر به ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]، الرد كالرجع، وهو "صرف الشيء بذاته أو بحالة من أحواله ، يقال رددته فارتد[3] ".

والمراد بـ (أسفل سافلين)، أى سفل فى علمه وخلقه قل حظه فيه فهو سافل، وجمعها أسافل: "وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ؛ قِيلَ: مَعْنَاهُ إِلى الهَرَم، وَقِيلَ إِلى التَّلَف، وَقِيلَ رَدَدْناه إِلى أَرْذل العُمُر كأَنه قَالَ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ مَنْ سَفَلَ وأَسْفَلَ سافِلٍ، **وَقِيلَ إِلى الضَّلَالِ، لأَن كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرة فَمَنْ كَفَرَ وَضَلَّ فَهُوَ الْمَرْدُودُ إِلَى أَسفل السَّافِلِينَ**[4]."

واستثنى الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المردودين أسفل سافلين باستثناء متصل "وعُطف (وعملوا الصالحات) لأن عمل الصالحات من أحسن

---

(١)الانفطار: ٦ – ٨.

(٢)الأنفال: ٥٣.

(٣)المفردات فى غريب القرآن، مادة (رد):١٩٢، لسان العرب:٣/ ١٧٢، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٢/ ٤٧٣، المعجم الوسيط:١/ ٣٣٧.

(٤)لسان العرب، مادة (سفل):١١/ ٣٣٧، المفردات فى غريب القرآن:٢٣٤، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٥/ ١٧٣٠، المعجم الوسيط،:١/ ٤٣٤، تاج اللغة وصحاح العربية:٢٩/ ٢٠٤.

التقويم بعد مجيء الشريعة لأنها تزيد الفطرة رسوخاً وينسحب الإيمان على الأخلاق فيردها إلى فضلها ثم يهديها إلى زيادة الفضائل من أحاسنها[1]."

١٠- **المقسم عليه (جواب القسم) فى سورة العصر**: ورد الجواب هنا فى قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[2]وأكد الجواب بـ (إن واللام)، وبالجملة الاسمية الدالة على الثبوت، وأفادت كلمة الإنسان عموم الناس؛ لأن (أل) فيها استغراقية، **والمراد بالخسر: الانتقاص سواء فى الأمر المعنوى أو المادى**: "الخسر والخسران انتقاص رأس المال وينسب ذلك إلى الإنسان فيقال خسر فلان، وإلى الفعل فيقال خسرت تجارته، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[3]ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر، وفي المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب، وهو الذي جعله الله تعالى الخسران المبين...وكل خسران ذكره الله تعالى في القرآن فهو على هذا المعنى الأخير دون الخسران المتعلق بالمقتنيات الدنيوية والتجارات البشرية. [4]"، والمراد بالخسر هنا عقوبته بذنبه فى الدنيا "لفي عقوبة بذنبه وأَن يَخْسَر أَهله ومنزله في الجنة[5]."

وتواصى من تفاعل، أى وصى بعضهم بعضا "الوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ من قولهم أرض واصية متصلة النبات، ويقال أوصاه ووصاه...وتواصى القوم إذا أوصى بعضهم إلى بعض[6]."وردت كلمة (تواصوا) خمس مرات فى ثلاثة مواضع فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:﴿ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ

---

(١)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٢٩.

(٢)العصر: ٢-٣.

(٣)النازعات: ١٢.

(٤)المفردات فى غريب القرآن :١٤٧، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢/ ٦٤٥.

(٥)لسان العرب: ٤/ ٢٣٨.

(٦)المفردات فى غريب القرآن، مادة (وصى): ٥٢٥، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦/ ٢٥٢٥، لسان العرب: ١٥/ ٣٩٤.

قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾[3] وورد الاستثناء للذين آمنوا وعملوا الصالحات ففتح الباب للتوبة والعمل الصالح، والجواب هنا يعد الصورة المقابلة للجواب فى سورة التين؛ حيث كان الجواب فيها هو قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ من حيث الفطرة السليمة ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ فى الانتكاس عن هذه الفطرة، وجاء الاستثناء للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم قلة وكان جزاؤهم أجرًا غير ممنون، **أما فى سورة العصر فالجواب على أن الإنسان فى خسر**، وليس فى أحسن تقويم، وهى صورة مقابلة لها، ثم استثنى القلة، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعطف على وصفهم بأنهم تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وهم أقل ممن هم فى سورة التين لازدياد الشرط بالتواصى بالحق والتواصى بالصبر، وقلة هؤلاء ربما لأنهم مستثنون من الخاسرين، وللاستثناء هنا فائدة كبيرة فى أسلوب القسم ففيه نجاة للذين آمنوا وعملوا الصالحات...

من الملاحظ أن الجواب يشمل أمرين:

الأول: خسران الذين يفرطون فى جنب الله ولا يدركون قيمة الوقت والعمر، ويعرفون أن أنفس الأوقات التى تكون فيها النية متوجهة إلى العمل لله.

الثانى: ربح وفوز الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وبكل هذه المعطوفات التى تتابعت فى سياق الجواب للدلالة على أن الحصول على الأجر غير الممنون مقيد بهذه القيود الأربعة [الإيمان - العمل الصالح - التواصى بالحق - التواصى بالصبر].

- اقترن الظرف (فى) بـ (اللام) فأفاد تأكيد انغماس الإنسان فى الخسر، وهى

---

(١) الذاريات: ٥٣.

(٢) البلد: ١٧.

(٣) العصر: ٣.

ظرفية مجازية تفيد التجسيد والخسران العظيم، ويؤكد هذا الخسران تنكير كلمة (خسر) للتعظيم، والخسران العظيم لا يراد به الخسران فى المتاجر والمساعى، وإنما خسران الآخرة؛ لأن هذا هو الخسران العظيم: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[1]، واختيار كلمة (خسر) من (خسران)؛ لأن خسر تأتى مع الأمور المعنوية، أما خسران فتأتى مع الأمور المادية، "وهو يتفاوت، فأعظمه إنكار الإيمان بوحدانية الله وبرسوله، ثم يكون بعد ذلك على مراتب حسب ارتكاب الإنسان للآثام والكبائر. والخاسرون خسرانا مطلقًا هم المشركون. وسيستثنى الله ممن يلحقهم بالخسران المؤمنين وبذلك يجعل الناس فريقين: فريقًا يلحقه الخسران فى الآخرة وهم الضالون عن هدى الإسلام، وفريقا رابحا حسن عاقبته فى الدار الآخرة، وهم المؤمنون بما ذكر لهم من صفات، إذ استثناهم قائلا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[2]."ويؤكد السياق أن المراد بالخسر: الخسران فى الدين لأن الذين آمنوا لا يعنيهم كثيرًا الخسران فى الأمور المادية؛ لآن من علامات الإيمان ألا تكون الدنيا هى أكبر هم العبد المؤمن ولا مبلغ علمه.

- ربطت (إن) فى جواب القسم بين القسم وجوابه، وربطت (واو العطف) بين الجمل فى المستثنى فى قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

عوارض التركيب.

١ - عوارض التركيب فى أول سورة الطور:

- **حذف فعل القسم:** حذف فعل القسم مع الواو وتقديره: أقسم، واختلف فى الواو الثانية، فقيل إنها واو العطف، وبذلك فليس هناك تقدير أو حذف، وقيل هى واو القسم[3].

---

(١)العنكبوت: ٦٤.

(٢)القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف: ٩٨.

(٣)ينظر البحر المحيط: ٨/ ١٤٤، وروح المعانى: ٢٧/ ٢٩، إعراب القرآن وبيانه - محيى الدين درويش: ٧/ ٣٠٧.

- **المطابقة**: جاءت جملة واحدة على غير التركيب الذى بدأ به القسم، وهى قوله تعالى: ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ ﴾؛ حيث جاءت نكرة وباقى الجمل معرفة ؛ ولعل الحكمة من ذلك لكونه كتاب مخصوص، والذى اختلف فيه العلماء بين اللوح المحفوظ وما كتبه الله لسيدنا موسى وهو يسمع صرير القلم، أو هو القرآن الكريم: "ونكر لأنه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب، كقوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾[1]."، وقيل نكر للتعظيم "ونكر الكتابَ تفخيماً وتعظيماً[2]."، ومن العلماء من قال إن التنكير للإفراد نوعًا أو شخصًا، واختصاصه من جنس الكتب، وبذلك يكون فيه كمال التعريف سواء أنكر أو عرف "والتنبيه على أن ذلك الكتاب لا يخفى نكر أو عرف. ومن هذا القبيل التنكير فى قوله تعالى: ﴿ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾[3]."

- **أما فى الربط بين الجمل**: فجاءت الواو العاطفة (على رأى من يرى أن الواو للعطف) رابطة بين الجمل، حيث تكررت الواو خمس مرات متتالية، وجمع السياق أكثر من مؤكِّد:

المؤكد الأول: أسلوب القسم، وهو نوع من أنواع التوكيد.

المؤكد الثانى: تأكيد الجواب بـ (إن واللام).

المؤكد الثالث: الجملة الاسمية المنفية بـ (ما) النافية لدفع العذاب من أى أحد وبأى وسيلة.

- **تناسب الفواصل**: مجىء قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾ على غير الفواصل السابقة واللاحقة للآيات، والتى انتهت بحرف (الراء)، وكما تناسبت الآيات فى فواصلها فإن هناك تناسبا فى خاتمة السورة السابقة (سورة الذاريات) مع افتتاح

(١)الكشاف: ٥/ ٦٢١، والآية من الشمس: ٧.
(٢)اللباب فى علوم الكتاب: ١٨/ ١١٣.
(٣)روح المعانى:٢٧/ ٢٧.

سورة الطور؛ حيث انتهت سورة الذاريات بقوله تعالى: ﴿ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴾[1]، وافتتحت سورة الطور بالقسم على وقوع هذا العذاب، بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴾، فانتهت سورة الذاريات بالحديث عن العذاب، وبدأت سورة الطور فى سياق متصل بتأكيد وقوع هذا العذاب بالقسم.

٢- عوارض التركيب فى أول سورة النجم:

- **حذف مفعول الأفعال التى ذكرت فى جواب القسم**: فلم يرد فى السياق الأمر المضل عنه، أو الأمر المغوى عنه، كما لم يرد عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه نطق بأمر كان لهوى فى نفسه، أو لأمر غير ما أراد الله؛ للدلالة على العموم فى عدم الضلال أو الغى أو النطق عن هوى نفسه، وأكد هذا النفى بقوله تعالى: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ فكيف يضل أو يغوى أو ينطق عن الهوى، وهو وحى من عند الله.

- **حذف الفاعل** فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ الفاعل مقدر لدلالة السياق عليه فى قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ ﴾ وتقديره: هو، أى النبى - صلى الله عليه وسلم - ومثله ما ورد فى سورة الضحى، فى قوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[2]؛ أى: وما قلاك ربك؛ لأن القسم لنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم: "لم يقسم الله على الوحدانية ولا على النبوة كثيراً، أما على الوحدانية فلأنه أقسم بأمر واحد في سورة الصافات، وأما على النبوة فلأنه أقسم بأمر واحد في هذه السورة وبأمرين في سورة الضحى **وأكثر من القسم على الحشر وما يتعلق به** فإن قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾[4] وقوله تعالى:

---

(١) الذاريات: ٦٠.
(٢) الضحى: ٣.
(٣) الليل : ١.
(٤) الشمس : ١.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴾[1] إلى غير ذلك، كلها فيها الحشر أو ما يتعلق به، وذلك لأن دلائل الوحدانية كثيرة كلها عقلية[2]."

- **التكرار**: تكررت (ما النافية) غير العاملة لتأكيد نفى الضلال والغواية عن النبى - صلى الله عليه وسلم - وأنه لا ينطق عن الهوى، ولهذا الترتيب والتكرار معنى بديع: "فإن قيل ما ذكرت من الترتيب الأول على صيغة الماضي في قوله ﴿ مَا ضَلَّ ﴾ وصيغة المستقبل في قوله ﴿ وَمَا يَنطِقُ ﴾ في غاية الحسن، أي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون في صغره ﴿ وَمَا غَوَىٰ ﴾ حين اختلى بنفسه ورأى منامه ما رأى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ الآن حيث أرسل إليكم وجعل رسولاً شاهداً عليكم ، فلم يكن أولاً ضالاً ولا غاوياً، وصار الآن منقذاً من الضلالة ومرشداً وهادياً[3]."

- **تقديم الضلال على الغواية**: قدم الضلال على الغواية للتعرف على أحواله قبل البعثة وبعدها، وللدلالة على أنه صلى الله عليه وسلم ما عدل عن طريق الحق "﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾ أي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة فهو استعارة وتمثيل لكونه عليه الصلاة والسلام على الصواب في أقواله وأفعاله (وَمَا غوى) أي وما اعتقد باطلاً قط لأن الغي الجهل مع اعتقاد فاسد وهو خلاف الرشد فيكون عطف هذا على (مَا ضَلَّ) من عطف الخاص على العام[4]."

- **العدول من صيغة الماضى إلى المضارع**: عدل بالفعل الماضى إلى المضارع فى جواب القسم فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾ لأن صيغة الماضى فى قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾ تتناسب مع معرفتهم له من قبل؛ فهو منهم، ولم يعرفوا عنه الضلال، وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والتجدد، وأنها صفة ملازمة للنبى صلى الله عليه وسلم.

---

(١)البروج : ١.
(٢)مفاتيح الغيب - التفسير الكبير:٢٨/ ٢٧٧.
(٣)مفاتيح الغيب - التفسير الكبير:٢٨/ ٢٨٠-٢٨١.
(٤)روح المعانى:٢٧/ ٤٥.

٣- عوارض التركيب فى أول سورة البروج:

- **حذف الضمير** فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ ﴾، والتقدير: الموعود به:"«الموعود»: نعت لليوم، وثمَّ ضمير محذوف به تتم الصفة، تقديره: الموعود به، ولولا ذلك ما صحَّت الصفة؛ إذ لا ضمير يعود على الموصوف من صفته[١]."

- **الاعتراض بالنكرة فى سياق المعرفة**: جاءت الجمل فى سياق القسم متوافقة ومتطابقة إلا جملة واحدة، هى قوله تعالى: ﴿ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴾، جاءت نكرة لإفادة العموم: "﴿ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴾: هذان منكران، وينبغي حملهما على العموم لقوله : ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴾[٢]، وإن كان اللفظ لا يقتضيه، لكن المعنى يقتضيه، إذ لا يقسم بنكرة ولا يدري من هي. فإذا لوحظ فيها معنى العموم، اندرج فيها المعرفة فحسن القسم.[٣]"، لذلك فهو من الاعتراض بالنكرة فى سياق المعرفة.

- **الاعتراض بالدعاء**: اعترض القسم بجملة دعائية فى قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾؛ لأنها ليست جوابًا للقسم، وإنما دعاء على أصحاب الأخدود؛ لأن " قتل" بمعنى "لعن": "هو دعاء على أصحاب الأخدود بالقتل كقوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴾[٤] والقتل مستعار لأشد العذاب كما يقال : أهلكه الله، أي أوقعه في أشد العناء، وأيا ما كان فجملة (قتل أصحاب الأخدود) على هذا معترضة بين القسم وما بعده[٥]."

- **الاعتراض بالعطف**: اعترض بالعطف بـ(ثم) فى سياق جواب القسم فى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ ﴾، وقد تضمن معنى الشرط، أى: ثم إن لم يتوبوا؛ لذلك

---

(١)اللباب فى علوم الكتاب:٢٠/ ٢٤٥، الدر المصون فى علم الكتاب المكنون:١٠/ ٧٤٤، البحر المحيط:٨/ ٤٤٣.

(٢)التكوير: ١٤.

(٣)البحر المحيط:٨/ ٤٤٣، الكشاف:٦/ ٣٤٦.

(٤)عبس: ١٧.

(٥)التحرير والتنوير:٣٠/ ٢٤٠.

دخلت الفاء فى خبر إن فى قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: "وجملة: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ معترضة. و﴿ثُمَّ﴾ فيها للتراخي الرتبي لأن الاستمرار على الكفر أعظم من فتنة المؤمنين. وفيه تعريض للمشركين بأنهم إن تابوا وآمنوا سلموا من عذاب جهنم. والفتن: المعاملة بالشدة والإيقاع في العناء الذي لا يجد منه مخلصا إلا بعناء أو ضر أخف أو حيلة، وتقدم عند قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[1] في سورة البقرة. ودخول الفاء في خبر (إن) من قوله: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ لأن اسم (إن) وقع موصولا والموصول يضمن معنى الشرط في الاستعمال كثيرا: فتقدير: إن الذين فتنوا المؤمنين ثم إن لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم، لأن عطف قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ مقصود به معنى التقييد فهو كالشرط. وجملة: ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ عطف في معنى التوكيد اللفظي لجملة: (لهم عذاب جهنم). واقترانها بواو العطف للمبالغة في التأكيد بإيهام أن من يريد زيادة تهديدهم بوعيد آخر فلا يوجد أعظم من الوعيد الأول. مع ما بين عذاب جهنم وعذاب الحريق من اختلاف في المدلول وإن كان مآل المدلولين واحدا. وهذا ضرب من المغايرة يحسن عطف التأكيد[2]."

٤- عوارض التركيب فى أول سورة الطارق:

- **حذف المبتدأ:** فى قوله تعالى: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾، والتقدير: هو النجم الثاقب.

- **الاعتراض بالاستفهام** بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾، وهى جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب، وهذه الجملة الاعتراضية أطالت الكلام بين القسم وجوابه مما زاد التشوق إلى الجواب وزاده من تفخيمه، وتكرر الاستفهام بهذه الصيغة: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فى القرآن الكريم **اثنتى عشرة مرة**، وبصيغة: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ ثلاث مرات، وبصيغة: ﴿وَمَا أَدْرِى﴾ مرة واحدة، وقيل "إن كل شيء فى القرآن فيه ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فقد أدراه إياه وعلمه إياه، وكل شيء قال فيه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فهو ما لم يعلمه

---

(١) البقرة: ١٩١.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٦.

إياه.[1]" ، وجاء تركيب (ثم ما أدراك يوم الدين) فى سورة الانفطار فى الآية ١٨ عطفا على التركيب السابق فى الآية ١٧ فى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ﴾.

- **تكرار كلمة (الطارق) مرتين فى المقسم به** والاستفهام عنها يلفت الانتباه إلى المقسم به وجواب القسم، وجاءت هى و(الثاقب، حافظ، دافق، قادر، ناصر) على وزن اسم الفاعل للدلالة على الحدث وصاحبه "الأصل فى (فاعل) قصد الحدوث وقصد الثبوت طارئ[2]."

- **العلاقة بين القسم والاستفهام**: اعتراض بالاستفهام هنا لزيادة لفت انتباه السامع؛ حيث افتتحت السورة بأمور مهمة:

أولا: بالقسم؛ مما يعنى أن الحديث أمر يسترعى الانتباه.

ثانيا: القسم بشىء غريب، وهو (الطارق)، حيث يحتاج إلى تفسير له فيفسره بسؤال عنه: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾؟ وجاءت الإجابة بأنه﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ وبهذا الاستفهام وجوابه طال الكلام بين القسم وجوابه الذى لم يأت بعد وازداد شوق السامع والقارئ إليه، وهى من المواضع التى أضفى فيها كل أسلوب من أسلوبى القسم والاستفهام بظلاله على السياق والمقام اللذان وردا فيه، حيث جاء القسم لإثبات البعث فى الآخرة وهو شىء معنوى غيبى، والاستفهام عن الطارق للفت الانتباه إلى أمر حسى مرئى، وهو النجم الثاقب.

عوارض التركيب فى القسم فى أول سورة الفجر:

- **حذف الموصوف**: حذف المعدود (الموصوف) فى قوله تعالى:﴿ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ﴾ والتقدير: وليال أيام عشر "فحذف الموصوف وهو المعدود وفي مثل ذلك يجوز التاء وتركها في العدد ومنه وأتبعه بست من شوال[3]."

---

(١)النكت والعيون:٦/ ٧٦.

(٢)حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك:٢/ ٣١٤.

(٣)روح المعانى:٣٠/ ١٢٠.

- **حذف الياء: حذفت (الياء)** من الفعل المضارع (يسرى) فى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ لتناسب الفواصل فى الآيات والتى تنتهى بـ (الراء) المكسورة، وقيد الليل بـ (إذا) للإشارة إلى وقت معين "ومعنى يسري: يمضي سائرًا في الظلام، أي إذا انقضى منه جزء كثير، شُبه تقضي الليل في ظلامه بسير السائر في الظلام وهو السُّرى كما شبه في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾[1] وقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[2]، أي تمكن ظلامه واشتد. وتقييد (الليل) بظرف (إذا يسر) لأنه وقت تمكن ظلمة الليل فحينئذ يكون الناس أخذوا حظهم من النوم فاستطاعوا التهجد قال تعالى:﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾[3] وقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا﴾[4]."[5]

- **حذف جواب القسم**: حذف الجواب توسعا فى المعنى لتعدد صور المحذوف، أى تعدد صور العذاب التى ذكر منها إهلاك (إرم، وثمود، وفرعون) وبذلك يتضح أن صور العذاب متعددة، حتى ترتدع النفس وتتوب إلى الله: "واعلم أن في جواب القسم وجهين **الأول**: أن جواب القسم هو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ وما بين الموضعين معترض بينهما **الثاني**: قال صاحب «الكشاف»: المقسم عليه محذوف وهو لنعذبن الكافرين، يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ إلى قوله ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ وهذا أولى من الوجه الأول لأنه لما لم يتعين المقسم عليه ذهب الوهم إلى كل مذهب، فكان أدخل في التخويف، فلما جاء بعده بيان عذاب الكافرين دل على أن المقسم عليه أولاً هو ذلك[6]."

---

(١)المدثر: ٣٣.
(٢)الضحى: ٢.
(٣)المزمل: ٦.
(٤)الإنسان: ٢٦.
(٥)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣١٥.
(٦)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: ٣١/ ١٦٦.

٦- **عوارض التركيب فى القسم فى أول سورة الشمس:**

- **حذف جواب القسم**: الجواب محذوف، تقديره: "ليدمدمنّ الله عليهم، أي: على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحاً[1]."، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴾، أو أن تقديره: لتعذبن.

- **حذف اللام فى جواب القسم** (على رأى من قال إن الجواب هو قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾، إذ التقدير: لقد أفلح "المعنى لقد أفلح، لكن اللام حذفت لأن الكلام طال فصار طوله عوضًا منها[2]."

- **حذف المضاف**: قيل إن القسم بـ (رب) هذه الأشياء، وبذلك يكون المضاف لهذه الأشياء محذوف تقديره: ورب الشمس، ورب القمر ..."يكون على حذف مضاف، اى ورب - أو بانى بناء السماء ونحوه[3]."

- **تقديم الجواب على القسم**: وقيل إن الجواب لم يحذف وإنما هناك تقديم وتأخير بغير حذف "والمعنى: قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها، والشمس وضحاها. وفاعل «زكّاها» و«دسّاها»، الظاهر أنه ضمير «مَنْ». وقيل: ضمير الباري تعالى، أي: أفلح وفاز من زكاها بالطاعة، وقد خاب من دساها أي: خسرت نفسٌ دسها الله تعالى بالمعصية[4]."

- **تقديم الفجور على التقوى**: تقدم الفجور على التقوى فى قوله تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾؛ لأن الله فطر نفوس الناس على الإسلام وما خالف ذلك فهو حادث عليها: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ

---

(١)الكشاف:٦/ ٣٨٣، روح المعانى: ٣٠١٤٤.

(٢)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٣١/ ١٩٠، اللباب فى علوم الكتاب:٢٠/ ٣٦٢، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ٥٣٨، روح المعانى:٣٠/ ١٤٣، التحرير والتنوير:٢٠/ ٣٧٢.

(٣)الدر المصون:١١/ ١٩، اللباب فى علوم الكتاب:٣٠/ ٣٩٥.

(٤)اللباب فى علوم الكتاب:٢٠/ ٣٦٢.

لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]"بدأ بالفجور لأنه أعجب، فأعجب أمور النفس هو الفجور مع أن فطرتها هي الإسلام وتوالى ظهور النعم والإحسان فكيف غلب عليها المعاصى والشهوات مع وجود صحيح النقل ووفور العقل، ولهذا بدأ فى الآية التالية بأهل التقوى لشرفهم وليس لأهل الفجور لخبثهم فقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[2]."

- **تقديم القسم بالنهار على القسم بالليل، والقسم بالسماء على القسم بالأرض،** حيث قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾ ويأتى ذلك لمناسبة المقام؛ فالسياق الذى تجرى فيه السورة بدأ بالقسم بـ ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴾، ثم أقسم بـ ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾؛ لذلك ناسب أن يأتى بالنهار أولا الذى تشرق فيه الشمس وأن يأتى بالليل مع ما يناسبه وهو القمر، كما قدم من قبل الشمس على القمر، وذلك لأن "ظلمة الليل كانت غالبة لضوء النهار وأن النهار يعقبها والظلمة هي أصل أحوال أهل الأرض وجميع العوالم المرتبطة بالنظام الشمسي وإنما أضاءت بعد أن خلق الله الشمس ولذلك اعتبر التاريخ في البدء بالليالي ثم طرأ عليه التاريخ بالأيام[3]."

وكذا فى **تقديم السماء على الأرض**؛ لأن نور الشمس وضوء القمر يسقط من ناحية السماء إلى الأرض:"بدأ بذكر الآيتين الشمس والقمر ثم ذكر ما هما آيتاه وبدأ بهما وظهر أثرهما فيه فقال: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ وبدأ بالنهار لمناسبة ذكر ما قبله وهو تقدم ذكر الشمس على القمر. ثم ذكر الليل التالى فى الذكر: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ لما ذكر محل الوجود (السماء) أتبعه محل التأثير فقال: ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾[4]."

---

(١)الروم: ٣٠.

(٢)دلالة التقديم والتأخير فى القرآن الكريم: ٧٠١.

(٣)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٩٧.

(٤)دلالة التقديم والتأخير فى القرآن الكريم: ٧٠٠.

- **العدول بالفعل المضارع عن الماضى**: وردت ستة أفعال فى الأقسام السبعة كلها ماضية إلا فعلا واحدًا، هو الفعل (يغشى) جاء بصيغة المضارع، فى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ فليس فقط لتناسب الفواصل القرآنية، وإنما جاء بصيغة المضارع لاستواء الأزمنة عند الله عز وجل "ولم يقل غشاها لأنه يحتاج إلى حذف أحد المفعولين لتعديه إليهما فإنه يقال غشيته[1]."

- **العدول فى مرجع الضمير**: الضمير المتصل بالأفعال الستة له مرجع مختلف من فعل إلى آخر، حيث ذكر صاحب البحر أن الضمائر كلها عائدة على الشمس "﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾: أي يغشى الشمس، فبدخوله تغيب وتظلم الآفاق، ونسبة ذلك إلى الليل مجاز. وقيل: الضمير عائد على الأرض، والذي تقتضيه الفصاحة أن الضمائر كلها إلى قوله: ﴿يَغۡشَىٰهَا﴾عائدة **على الشمس**[2]."، من معانى غشى (أظلم، غَشَّيْت الشيءَ تَغْشِية إذا غَطَّيْته، وغِشاءُ كلِّ شيءٍ ما تَغَشَّاه كغِشاءِ القَلْب والسَّرْجِ والرَّحْلِ والسَّيْفِ ونحوِها، واسْتَغْشى ثِيابَه وتَغَشَّى بها تَغَطَّى بها كَيْ لا يُرَى ولَا يُسْمَع "الغِشاءُ: الغِطاءُ. غَشَّيْت الشيءَ تَغْشِية إذا غَطَّيْته[3]."، وقد يعود الضمير فى ﴿جَلَّىٰهَا﴾ **على الشمس**، وقد يعود على الظلمة، أو على الأرض أو على الدنيا أو عائد على الله تعالى: "﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ الظاهر أن مفعول جلاها هو الضمير عائد على الشمس، لأنه عند انبساط النهار تنجلي الشمس في ذلك الوقت تمام الانجلاء. **وقيل: يعود على الظلمة. وقيل: على الأرض**. وقيل: **على الدنيا،** والذي يجلي الظلمة هو الشمس أو النهار، فإنه وإن لم تطلع الشمس لا تبقى الظلمة، والفاعل بجلاها ضمير النهار. قيل: ويحتمل أن يكون عائدًا **على الله تعالى،** كأنه قال: والنهار إذا جلى الله الشمس، فأقسم بالنهار في أكمل حالاته. [4]"، وقيل إن

---

(١)روح المعانى: ٣٠/ ١٤١.

(٢)البحر المحيط: ٨/ ٤٧٣.

(٣)لسان العرب، مادة (غشا): ٥/ ٣٢٦٢، المفردات فى غريب القرآن: ٣٦١، المعجم الوسيط :٢/ ٦٥٣.

(٤)البحر المحيط:٨/ ٤٧٣، الدر المصون:١١/ ١٣، اللباب فى علوم الكتاب :٢٠/ ٣٥٦.

الضمير لم يذكر للعلم به: "وقيل: الضمير للظلمة، أو للدنيا، أو للأرض، وإن لم يجر لها ذكر، كقولهم: أصبحت باردة: يريدون الغداة، وأرسلت: يريدون السماء إذا يغشاها، فتغيب وتظلم الآفاق[1]."، من معانى جلى: (جَلَّى عنه كشَفه وأَظهره، وجَلِيَّةِ الأَمر أَي حقيقته، والجَلِيُّ نقيض الخَفِيِّ، وتَجلَّيت الشيءَ نظرت إِليه، وجَلَوْتُ عني هَمِّي جَلْوًا إِذا أَذهبته، وانْجَلى الظلامُ إِذا انكشف، أَجْلَيْتُ عنه الهمَّ إِذا فرَّجت عنه وانّجَلت عنه الهموم كما تنْجَلي الظلمة) وقوله تعالى:"إِذا جلاَّها إِذا بيَّنَ الشمسَ لأَنها تتَبين إِذا انبسط النهار[2]."

- **تكررت (إذا) ثلاث مرات**، فى قوله تعالى: ﴿ **وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا** ﴾ وهى تدل على الأمر المقطوع بحصوله أو الكثير الحصول، وهذه الأمور يجتمع فيها الأمران، والتكرار يفيد التوكيد، وإذا هنا "في محل نصب على الظرفية متعلقة بكون هو حال من القمر ومن النهار ومن الليل فهو ظرف مستقر، أي مقسما بكل واحد من هذه الثلاثة في الحالة الدالة على أعظم أحواله وأشدها دلالة على عظيم صنع الله تعالى[3]."

- **تكررت (ما) ثلاث مرات**، فى قوله تعالى: ﴿ **وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا** ﴾ وهى إما مصدرية أو موصولة، فالمصدرية "يؤول الفعل بعدها بمصدر فالقسم بأمور من آثار قدرة الله تعالى وهي صفات الفعل الإلهية وهي رفعه السماء وطحوه الأرض وتسويته الإنسان. وعطف (فألهمها فجورها وتقواها) على (سواها)، فهو مقسم به، وفعل (ألهمها) في تأويل مصدر لأنه معطوف على صلة (ما) المصدرية، وعطف بالفاء لأن الإلهام ناشىء عن التسوية، فضمير الرفع في (ألهمها) عائد إلى التسوية وهي المصدر المأخوذ من

---

(١)الكشاف:٦/ ٣٨١، مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٣١/ ١٩١.

(٢)لسان العرب، مادة (جلا): ١/ ٩٦٩، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦/ ٢٣٠٣، المفردات فى غريب القرآن: ٩٦.

(٣)التحرير والتنوير:٣٠/ ٣٦٨.

(سواها) **ويجوز أن تكون (ما) موصولة** صادقة على فعل الله تعالى، وجملة (بناها) صلة الموصول، أي والبناء الذي بنى السماء، والطحو الذي طحا الأرض والتسوية التي سوت النفس.[1]"فهى موصولة للإشارة إلى معنى الوصفية "وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية، كأنه قيل: والسماء، والقادر العظيم الذي بناها، ونفس، والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها، وفي كلامهم: سبحان ما سخركن لنا.[2]"

- **تكرار الأفعال**: ورد فى أسلوب القسم **عشرة أفعال ماضية، وفعل واحد بصيغة المضارع** وهو الفعل (يغشاها)، وسبقت الإشارة إلى سبب ذلك، وهو دلالته على الاستمرار والتجدد، ويشير إلى التعرض للفتن التى تغشى النفس باستمرار، كما يغشى الليل الأرض، وهناك فعلان ماضيان سبقا بـ (قد) فى قوله تعالى: ﴿ **قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** ﴾ للدلالة على التحقق وتأكيد فلاح النفس فى حالة التزكية وخيبتها فى حالة التدسية.

٧- عوارض التركيب فى القسم فى أول سورة الليل:

- **حذف مفعول الفعل**: حذف مفعول يغشى توسعا فى المعنى؛ فمن المحتمل أن يكون المفعول المغشى عنه هو الشمس، وهى المقسم بها فى السورة السابقة (سورة الشمس)، فى قوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤** ﴾، وربما يكون المراد بالمفعول المغشى هو الأرض، وفى كلتا الحالتين فإن الليل عندما يغشى بظلامه فإنه يغشى السماء والأرض، حيث ورد الفعل يغشى تاما فى قوله تعالى:﴿ **أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ** ﴾[3]، وقوله تعالى:﴿ **يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ**

(١)التحرير والتنوير:٣٠/ ٣٦٩.
(٢)الكشاف:٦/ ٣٨٢.
(٣)النور:٤٠.

تَعۡمَلُونَ ﴾[1] وحذف مفعول (يغشى) فى سورة الشمس "لتنزيل الفعل منزلة اللازم لأن العبرة بغشيانه كل ما تغشاه ظلمته. وأسند إلى النهار التجلي مدحا له بالاستنارة التي يراها كل أحد ويحس بها حتى البصراء. والتجلي: الوضوح، وتجلي النهار: وضوح ضيائه[2]."

وحذف حرف التاء من الفعل (تجلى) لأن أصله (تتجلى) للدلالة على الاقتطاع من الحدث، لأن الزيادة فى المبنى تؤدى إلى زيادة فى المعنى – غالبًا – كما أن هذا القصر والاقتطاع من الحدث يتناسب مع السياق؛ لأن النهار "إذا طلعت الشمس ظهر وتجلى وهلة واحدة[3]." وقيل إن متعلق يغشى وتجلى حذفا للفت النظر إلى الغشية والتجلى "من الليل والنهار، هما المقصودان بالتنبيه والالتفات بما أغنى عن ذكر مفعول أو متعلق.. [4]."

– **حذف متعلق الأفعال**: (أعطى – اتقى – بخل – استغنى): حذف مفعول (أعطى) ومفعول (اتقى) للدلالة على عموم العطاء المادى والمعنوى، ثم إن ذكر العطاء والتقوى خاصة من جملة أعمال الإنسان ومن جملة عباداته من صلاة وزكاة وصيام – ليدعو إلى التأمل؛ لأنه يعنى الاهتمام بالبذل والعطاء من كل شىء، خاصة وأن الله تعالى قدم العطاء على التقوى؛ ففى التقديم دلالة على صدق المعطى إذا هو أعطى أولا فأثبت بعطائه تقواه، إذ العطاء دليل محسوس، أما إذا ادعى التقوى ولم تترجم هذه التقوى بالعطاء فلا فائدة لكلامه؛ "لأن الغرض ذكرُ هذه الأحداث دون متعلقاتها. [5]"، وفى حذف مفعول بخل واستغنى ذم للبخل وصاحبه؛ لبيان أن الإنسان لا يستغنى بماله وبما يملك عن الله عز وجل.

– **تكرار (إذا)** فى القَسَم الأول والثانى، للتقييد بحالة معينة.

---

(١)العنكبوت: ٥٥.
(٢)التحرير والتنوير:٣٠/ ٣٧٩.
(٣)التبيان فى أيمان القرآن:٨٦.
(٤)التفسير البيانى للقرآن الكريم:٢/ ١٠٠.
(٥)اللباب فى علوم الكتاب:٢٠/ ٣٧١.

- **العدول من المضارع إلى الماضى**: عدل من الفعل المضارع (يغشى) إلى الفعل الماضى (تجلى) لمناسبة السياق والربط بين المعنوى والحسى: "وأتى بصيغة المضارع لأنه يغشى شيئا بعد شىء، وأما (النهار) فإنه إذا طلعت الشمس ظهر وتجلى وهلة واحدة، ولهذا قال فى سورة الشمس"﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾[1]."

- **العدول من الاسم إلى الحرف**: عدل فى القسم من الأسماء (الليل – النهار) إلى الحرف (ما) التى تأولها العلماء بالمصدرية أو الموصولة بمعنى (من)، أى من خلق الذكر والأنثى، أو على البدل من (ما) "وما خلق الذكر والأنثى، بالجرّ على أنه بدل من محل (مَا خَلَقَ) بمعنى: وما خلقه الله، أي: ومخلوق الله الذكر والأنثى. وجاز إضمار اسم الله لأنه معلوم لانفراده بالخلق. إذ لا خالق سواه[2]."، و(ما) هنا لصفات العقلاء.

- **تقديم الليل على النهار**: قدم الله – عز وجل – الليل على النهار، فى أكثر من موضع، أما تقدم النهار على الليل فلم يأت إلا نادرًا، كما فى قوله تعالى:﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾[3] وقوله تعالى:﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾[4] وقوله تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴾[5]؛ لذلك فتقديم القسم بـ (الليل) على القسم بـ(النهار) يتناسب مع ورود الكلمتين فى القرآن الكريم؛ **فكل الآيات التى وردت فيها هاتان الكلمتان جاء الليل قبل النهار إلا فى سورة الشمس**، وكما ذكر(فى عوارض التركيب فى القسم فى سورة الشمس) أن ذلك لمناسبة السياق والمقام، والله أعلم.

---

(١)التبيان فى أيمان القرآن:٨٦، والآيات من سورة الشمس: ١ – ٤.
(٢)الكشاف:٦/ ٣٨٥.
(٣)الشمس: ٣ – ٤.
(٤)يس: ٤٠.
(٥)الزمر: ٥.

- **تقديم الذكر على الأنثى**: تقدمت كلمة الذكر على الأنثى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾[1] وقوله تعالى:﴿ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾[2] وقوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾[3] واستفهم الله مستنكرا على من جعل لله بنات، فقال تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴾[4] فربما يكون تقديم الذكر على الأنثى لتقديم خلق آدم على حواء، والله أعلم.

- **تقديم العطاء على التقوى** فى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ ﴾ تقديم اهتمام بالعطاء؛ لأنه مجلبة للتقوى، وهو نوع من أنواع التقوى، كما قدم تعالى الإفساد على السرقة فى قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾[5]؛ لأن السرقة نوع من الإفساد.

٨- عوارض التركيب فى القسم فى أول سورة الضحى:

- **حذف المفعول به**: حذف مفعول الفعل (قلى) لعلم المخاطب به من السياق، حيث قال تعالى:﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾، و(الكاف) فى (ودعك) حرف عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلى جانب ما فى هذا الحذف من تناسب للفواصل، ففيه أيضا إعجاز لغوى يفيد بنفى صدور هذا الفعل عن الله عز وجل "﴿وَمَا قَلَىٰ ﴾ أي وما أبغضك وحذف المفعول إما للاستغناء عنه بذكره من قبل أو للقصد إلى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية[6]."، والمعنيان يفهمان معا من السياق: "فائدة الإطلاق أنه ما قلاك ولا (قلا) أحد من أصحابك. ولا أحدا ممن أحبك إلى قيام القيامة[7]."

---

(١)النجم: ٤٥.
(٢)القيامة: ٣٩.
(٣)الليل: ٣.
(٤)النجم: ٢١.
(٥)يوسف: ٧٣.
(٦)إرشاد العقل السليم إلى مزايا العقل: ٥/ ٥٤٢.
(٧)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: ٣١/ ٢١٠.

- **حذف المفعول**: حذف المفعول الثانى فى قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾، فلم يعرف ما هو المعطى لعظم الفائدة للنبى - صلى الله عليه وسلم - ولأمته "فكان مفاد هذه الجملة تعميم العطاء كما أفادت الجملة قبلها تعميم الأزمنة. وجيء بفاء التعقيب في فترضى لإفادة كون العطاء عاجل النفع بحيث يحصل به رضى المعطى عند العطاء فلا يترقب أن يحصل نفعه بعد تربص. وتعريف ربك بالإضافة دون اسم الله العلم لما يؤذن به لفظ (رب) من الرأفة واللطف، وللتوسل إلى إضافته إلى ضمير المخاطب لما في ذلك من الإشعار بعنايته برسوله وتشريفه بإضافة رب إلى ضميره[1]."

- **تقديم الضحى على الليل**: قدم القسم بالضحى على القسم بالليل تأكيدًا لجواب القسم بأن الأصل بأن يؤيد الله رسوله وأنه ما قلاه: "وقدم هنا الضحى، وفي السورة التي قبلها قدم الليل إما لأن لكلَّ منهما أثر عظيمٌ في صلاح العالم، ولليل فضيلة السبق لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾[2]، وللنهار فضيلة النور، فقدم سبحانه هذا تارة وقدم هذا تارة، كالركوع والسجود في قوله تعالى: ﴿ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[4]. قيل: قدم الليل في سورة أبي بكر - رضي الله عنه - لأن أبا بكر سبقه كفر، وقدم الضحى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه نور محض، ولم يتقدمه ذنب[5]."

٩- عوارض التركيب فى القسم فى أول سورة التين:

- **حذف الموصوف**: حذف الموصوف فى قوله تعالى: ﴿ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾،

---

(١)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٩٨-٣٩٩.
(٢)الأنعام: ١.
(٣)الحج: ٧٧.
(٤)آل عمران: ٤٣.
(٥)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى: ٢٠/ ٣٨١، روح المعانى: ٣٠/ ١٥٤.

والتقدير: فى تقويم أحسن، لأنه يجوز أن يكون المضاف هو المحذوف: "وأراد بالتقويم: القوام؛ لأن التقويم فعل، وذاك وصف للخالق لا المخلوق، ويجوز أن يكون التقدير: في أحسن قوام التقويم، فحذف المضاف، ويجوز أن تكون «فِي» زائدة، أي: قوَّمنَا أحسن تقويمٍ انتهى[1]."

- **حذف الموصوف**: فى قوله تعالى:﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾، والتقدير: رددناه مكانا أسفل سافلين: "يجوز في «أَسْفَلَ سافِلِينَ» وجهان: أحدهما: أنه حال من المفعول. والثاني: أنه صفة لمكان محذوف، أي: مكاناً أسفل سافلين[2]."

- **التقديم والتأخير**: قدم الله القسم بالتين والزيتون على باقى الأقسام للإشارة إلى الحنيفية السمحة التى جاء بها سيدنا إبراهيم - عليه السلام - حيث مروره بأرض فلسطين موضع التين والزيتون، وانتهت الأقسام بالبلد الأمين، محل خاتمة الرسالات على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - "فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم عليه السلام ومولد عيسى ومنشأه، والطور هو المكان الذي نودي عليه موسى عليه السلام، ومكة مكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين[3]."، كما أن سيدنا إبراهيم هو أبو الأنبياء الذى قال الله تعالى عنه على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[5] وبذلك فقد افتتحت السورة بالقسم

---

(١)اللباب فى علوم الكتاب:٢٠/ ٤٠٨، البحر المحيط:٨/ ٤٨٦.

(٢)اللباب فى علوم الكتاب:٢٠/ ٤٠٨،إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٥/ ٥٥٠.

(٣)البحر المحيط:٨/ ٤٨٦، الكشاف:٦/ ٤٠١، الجامع لأحكام القرآن:٢٢/ ٣٦٨.

(٤)الأنعام: ١٦١.

(٥)الحج: ٧٨.

بمهاجر الأنبياء، وختمت بخاتم الأنبياء، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وناسب هذا التقديم الفواصل التى انتهت بها الآيات.

وقد يكون تقديم التين للإشارة إلى سيدنا نوح عليه السلام: "فالتين إيماء إلى رسالة نوح وهي أول شريعة لرسول، والزيتون إيماء إلى شريعة إبراهيم فإنه بنى المسجد الأقصى كما ورد في الحديث وقد تقدم في أول الإسراء، وطور سينين إيماء إلى شريعة التوراة، والبلد الأمين إيماء إلى مهبط شريعة الإسلام، ولم يقع إيماء إلى شريعة عيسى لأنها تكملة لشريعة التوراة. وقد يكون الزيتون على تأويله بالمكان وبأن المسجد الأقصى إيماء إلى مكان ظهور شريعة عيسى عليه السلام لأن المسجد الأقصى بناه سليمان عليه السلام فلم تنزل فيه شريعة قبل شريعة عيسى ويكون قوله: وهذا البلد الأمين إيماء إلى شريعة إبراهيم وشريعة الإسلام فإن الإسلام جاء على أصول الحنيفية وبذلك يكون إيماء هذه الآية ما صرح به في قوله تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى [الشورى: ١٣]، وبذلك يكون ترتيب الإيماء إلى شرائع نوح وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام غير جار على ترتيب ظهورها فتوجيه مخالفة الترتيب الذكري للترتيب الخارجي أنه لمراعاة اقتران الاسمين المنقولين عن اسمي الثمرتين، ومقارنة الاسمين الدالين على نوعين من أماكن الأرض[1]."

- **العدول من التعريف بـ (أل) إلى التعريف بـ (الإضافة)**: جاءت كلمتا التين والزيتون فى الافتتاح بالقسم معرفتين بـ (أل) ومتطابقتين فى النوع والعدد والإفراد، ثم عدل فى القسم بالطورالمعرف بالإضافة فى قوله تعالى: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾، وقد أقسم الله بالطور معرفة بـ(أل) فى قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ﴾[2]، وجاءت كلمة الطور معرفة بـ (أل) **ثمان مرات** فى [سورة البقرة :٦٣،٩٣- سورة النساء:١٥٤- سورة مريم:٥٢ – طه:٨٠ – سورة القصص:٢٩، ٤٦ – سورة

(١)التحرير والتنوير:٣٠/ ٤٢٢.
(٢)الطور: ١ - ٢.

الطور:١] وجاءت منكرة ومضافة مرتين، وجاءت إضافتها إلى نفس المضاف إليه (سينين)، ولكن بصيغتين مختلفتين، الأولى فى قوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾[1]، والثانية فى قوله تعالى: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾[2]، وعدل من (سيناء) فى "سورة المؤمنون "إلى (سينين) فى سورة التين لمناسبة الفواصل، أو أنها لغة الحبشة وقيل لغة النبط: "سينين أي: حسن بلغة الحبشة] ... كل جبل فيه شجر وثمر، فهو سينين وسيناء، بلغة النبط[3]."

- **تقديم المردودين أسفل سافلين على الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛** لأن الله خلق الناس على الفطرة السليمة ورسم لهم الطريق الذى يظلون به على هذه الفطرة فى الرسالات الثلاث، وخاتمتها رسالة النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - ولكن من ضل عن هذا الطريق كُثر فقدمهم على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأنه "لما كان الناس في إجابة هذه الدعوة فريقين: منهم من أجاب، ومنهم من أبى ذكر حال الفريقين، فذكر حال الأكثرين، وهم المردودون إلى أسفل سافلين[4]."

- **العدول فى حروف الجر:** عدل فى هذا السياق من حرف الجر (الباء أو اللام) إلى حرف الجر (فى) فى قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾، (فى) هنا دالة على الظرفية: "وحرف في يفيد الظرفية المجازية المستعارة لمعنى التمكن والملك فهي مستعملة في معنى باء الملابسة أو لام الملك، وإنما عدل عن أحد الحرفين الحقيقيين لهذا المعنى إلى حرف الظرفية لإفادة قوة الملابسة أو قوة الملك مع الإيجاز ولولا الإيجاز لكانت مساواة الكلام أن يقال: لقد خلقنا الإنسان بتقويم مكين هو أحسن تقويم[5]."

---

(١)المؤمنون: ٢٠.

(٢)التين: ٢.

(٣)اللباب فى علوم الكتاب: ٢٠/ ٤٠٧.

(٤)التبيان فى أيمان القرآن: ٦٩-٧٣.

(٥)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٢٤.

- **الاعتراض باسم الإشارة:** اختتمت الأقسام باسم الإشارة (هذا) الدال على القرب، وفيه دلالة على قرب هذا البلد ومكانته عند الله - عز وجل - لما خصه به عن سائر البقاع فى الأرض من الكعبة البيت الحرام، ومهبط آخر الرسالات، كما أن فيه أيضا دلالة على التنبيه بـ (هاء التبيه) قبل اسم الإشارة للالتفات إلى هذا البلد لمكانته.

١٠ - عوارض التركيب فى القسم فى سورة العصر:

- **لم يفصل بين القسم وجوابه بفاصل**، حيث جاء القسم بكلمة واحدة ولم تتعدد الأقسام كما تعددت فى مواضع أخرى تناسبا مع المقام والسياق الذى تشير إليه الآيات من أهمية العصر (بكل معانيه) واستغلاله فيما يرضى الله وينال به الأجر غير الممنون. فالاختصار فى هذا المشهد السريع مطلوب ومناسب للسياق والمقام، وجاءت جملة الجواب مؤكدة بـ(إن واللام) لحسم الأمر.

- **تكرار الفعل الماضى** (تواصوا) المسند إلى (واو الجماعة) فى قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ للتأكيد على أهمية التواصى بالحق والصبر، كما أن فى هذا التكرار دلالة على الجمع بين الحق والصبر وأن الحق يحتاج إلى صبر، والمراد بالتواصى بالحق والتواصى بالصبر، أى "بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وهو الخير كله: من توحيد الله وطاعته، واتباع كتبه ورسله، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات، على ما يبلو الله به عباده[١]." ، كما أن اختيار صيغة (تواصوا) بالماضى على وزن تفاعل للدلالة على المفاعلة، أى مبادلة التواصى بين الناس وهى تعنى التقديم إلى الغير بما يعمل به مقرونا بوعظ ونصيحة[٢]."

- **تكرار حرف الجر** (الباء) مع قوله تعالى: ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ و﴿ بِٱلصَّبْرِ ﴾ المذكور

---

(١)الكشاف:٦/ ٤٢٧.

(٢)تفسير حدائق الروح والريحان فى روابى علوم القرآن: ٣٢/ ٣٠٨.

للتأكيد على أهمية كل منهما على حدة، تدخل الباء على الأمر الذى عليه مدار السياق والكلام، وهو الأهم؛ لأن الباء للإلصاق المجازى، وألصقت بالشىء الأهم فى السياق، وهو التواصى بالحق والتواصى بالصبر.

*****

المقسِم (المتكلم) فى القسم بصيغة المفرد فى أوائل السور.

كان المقسم (المتكلم) هو الله عز وجل، حيث أقسم بخلق من خلقه فى حالة معينة وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ وهو قسم بإحدى الظواهر الكونية على بعض الأمور المعنوية، أو **قسم بزمن من الأزمنة**، كما فى القسم فى سورة العصر، كما **أقسم ببعض الأماكن**، ويدل قصر الكلام، وعدم الفصل بين القسم وجوابه على حرص المتكلم على أهمية الوقت، وبهذه الصورة العملية دعوة غير مباشرة على الحث على قيمة الوقت بالإيجاز فى مواطن الإيجاز، والإطناب فى مواطن الإطناب، وبذلك تتحقق البلاغة، أى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والمقام هنا مقام إيجاز، وبذلك تتضح مكانة المتكلم وإعجازه، وهى صورة مطردة مع حرف القسم (الواو) يلاحظ فيه التناسب والاتصال بين الأمور المحسوسة والأمور المعنوية.

المخاطب بالقسم.

يصلح الخطاب فى الأقسام العشرة لكل الناس لما فيه من العظة والعبرة بالغرض الذى أقسم الله من أجله، إلا أنه فى كل موضع كان له مخاطب خاص بهذا الموقف، فيلاحظ مثلا أن **المخاطب بالقسم هو النبى – صلى الله عليه وسلم – فى أول سورة الطور**، حيث يخاطب الله رسوله بكلمات فيها لطف وتسلية بإضافته إليه فى قوله تعالى: ﴿ رَبِّكَ ﴾ ، كما أن الخطاب للكفار فى كل زمان بدليل قوله تعالى فى آخر السورة السابقة (سورة الذاريات) ﴿ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ **وفى أول سورة البروج**، حيث يخاطب الله النبى محمد – صلى الله عليه وسلم – تسلية له بلفظ الرب فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ فى

الوقت الذى يهدد فيه الكافرين بالتهديد والوعيد، **وفى أول سورة الطارق**، حيث يخاطب الله النبى صلى الله عليه وسلم أيضا، كما أنه خطاب عام لكل إنسان، بدليل قوله تعالى فى السياق نفسه: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾ **والمخاطب بالقسم فى أول سورة الفجر**: هو الرسول – صلى الله عليه وسلم – أيضًا تثبيتا له وإنذارا للمكذبين برسالته: "والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ابتداء. ثم هو لكل من تتأتى منه الرؤية أو التبصر في مصارع أولئك الأقوام، وكلها مما كان المخاطبون بالقرآن أول مرة يعرفونه؛ ومما تشهد به الآثار والقصص الباقية في الأجيال المتعاقبة، وإضافة الفعل إلى (ربك) فيها للمؤمن طمأنينة وأنس وراحة. وبخاصة أولئك الذين كانوا في مكة يعانون طغيان الطغاة، وعسف الجبارين من المشركين، الواقفين للدعوة وأهلها بالمرصاد. [1]"، **أما المخاطب بالقسم فى أول سورة النجم** فهم **كفار مكة** "والخطاب لقريش وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان المصاحبة لهم للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة وإحاطتهم خبرًا ببراءته صلى الله تعالى عليه وسلم ومشاهدتهم لمحاسن شئونه العظيمة مقتضية لذلك حتما ففى ذلك تأكيد لإقامة الحجة عليهم[2].."، وكذلك فى سورة الضحى، يصلح الخطاب أيضا لكل منكر للوحى، **أما المخاطب بالقسم فى أول سورة الشمس، وسورة الليل، وسورة التين، وسورة العصر فهو عام لكل من يكذب بآيات الله ونعمه** على مر العصور.

الغرض من القسم.

جاء القسم لإثبات البعث، ووقوع العذاب على المكذبين فى أول سورة الطور، وأول سورة البروج، وأول سورة الطارق، وأول سورة الفجر، وأول سورة التين، وجاء **لتقرير أمر النبوة والإشادة بصدق الكتاب الحكيم** فى أول سورة النجم، **وتقرير أمر النبوة**، وبيان منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أول سورة الضحى،

---

(١)فى ظلال القرآن:٦/ ٣٩٠٣.

(٢)روح المعانى:٢٧/ ٤٥، التفسير الكبير: ٢٨/ ٢٧٧، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ٢١٧.

وكان الغرض من القسم التعرف على أحوال الإنسان فى أول سورة الشمس، وأول سورة الليل، وسورة العصر.

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه.

١- **المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى أول سورة الطور**: أقسم الله – عز وجل – بأقسام خمسة فى أول هذه السورة بعد التهديد بالويل للذين كفروا من هذا اليوم الموعود فى آخر سورة الذاريات، وتأتى "مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث الافتتاح بالقسم وبيان الحشر فيهما، وأول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها، لأن في آخرها قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾[١] وفي أول هذه السورة ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾[٢] وفي آخر تلك السورة قوله: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾[٣]؛ وذلك إشارة إلى العذاب، وقال هَهُنَا: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾[٤]."[٥]، والسياق لا ينقطع فى الحديث عن هذا الوعيد فى أول سورة الطور، حيث جاءت **الأقسام الخمسة** فى سياق واحد متناسبة مع المقام الذى وردت فيه؛ لأن هذه الأقسام فيها من القوة والقدرة ما يتناسب مع قوة العذاب وقدرة الله عليه، كما أن فيها من التناسب بين مفرداتها ومعانيها التى جعلتها تتآلف فى الوصول إلى الغرض من القسم، وهو وقوع العذاب ما يجعلها كالنسيج الواحد المتسق فى ثوب قوى من الكلمات الدالة على المراد، لأن هذه الأماكن الثلاثة "وهي: الطور، والبيت المعمور، والبحر المسجور كانت لثلاثة أنبياء للخلوة بربهم والخلاص من الخلق وخطابهم مع الله. أما الطور فانتقل إليه موسى – عليه الصلاة والسلام – وخاطب الله تعالى هناك وأما البيت المعمور فانتقل إليه محمد – عليه الصلاة والسلام – وقال لربه: "سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين،

---

(١)الذاريات: ٦٠.

(٢)الطور: ١١.

(٣)الذاريات: ٥٩.

(٤)الطور: ٧.

(٥)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى: ١٨/ ١١٣.

لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك". وأما البحر المسجور فانتقل إليه يونس - عليه الصلاة والسلام - ونادى في الظلمات: ﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] فصارت هذه الأماكن شريفة بهذه الأسباب فأقسم الله تعالى بها[2]."

أما **الحكمة من القسم بهذه الأشياء** فهو التناسب بين هذه الأقسام لما فيها من إثبات قدرة الله عز وجل، ويتضح هذا التناسب بينها لما فيه من التعظيم لاختصاص الله لها بالقسم، ولاختصاصها بأمور معينة – كما ورد ذلك فى التعرف على معانيها المعجمية والسياقية – وهذه الأمور تؤكد قدرة الله عز وجل على إنفاذ العذاب ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ ﴾.

٢- المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى أول سورة النجم: ورد فى الدلالة المعجمية للنجم أنه بمعنى النجم، والكوكب، وكل ما طلع وظهر فهو نجم، وقيل من معانيه: نزول القرآن نجمًا بعد نجم، وبمعنى الثريا، أو هو اسم لكل واحد من كواكب السماء، **أما بالنسبة للمقسم عليه** فهو مشهد آخر من مشاهد القرآن المعنوية فى أسلوب القسم، حيث ينفى الله - عز وجل – عن رسوله - صلى الله عليه وسلم – الضلال، وبذلك يمكن أن يقال إن المقصود بالنجم هنا هو النبى – صلى الله عليه وسلم – وأنه لما بعث (ظهر كنبى) بعث كنجم فى ظلمات الجهل والضلال، ومن تبعه فقد اهتدى، كما يتبع السائر بالليل النجم ليصل إلى غايته ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[3]، **ففى الصورة مشهدان:**

الأول: مشهد كونى حسى للنجم فى السماء إذا هوى يتبعه السائرون فيهتدون به.

الثانى: مشهد معنوى: للرسول – صلى الله عليه وسلم – يضيء الدنيا بالرسالة التى أرسله الله بها، ومن تبعه واهتدى بهديه هُدى إلى صراط مستقيم.

---

(١)الأنبياء: ٨٧.

(٢)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى: ١٨/ ١١٥- ١١٦.

(٣)النحل: ١٦.

ويؤكد السياق ذلك؛ حيث قال الله عز وجل (صاحبكم) والمقصود به النبى – صلى الله عليه وسلم – وهذه المشاهد من تمثيل المعقول بالمحسوس، وهى كثيرة فى القرآن الكريم، مع حرف القسم (الواو).

وتتجلى **المناسبة** (العلاقة) بين المقسم به والمقسم عليه أيضًا فى هذا الوحى الممتد من السماء إلى الأرض كما يمتد نور النجم إذا هوى إلى الأرض، هذا النور الذى يسير عليه المصطفى – صلى الله عليه وسلم – كنور النجم يهتدى به السائر ليلا، ومن صاحب النور إلا النبى صلى الله عليه وسلم؟ "اللفت بالواو إلى ظاهرة كونية مشهودة، يراها الناس فى النجم إذا هوى فيلمحون فى الأفق ما يبدو على مد البصر من اتصال السماء بالأرض بخيط النور. ظاهرة كونية تتكرر على مرأى منهم ومشهد، فلا يجدون فيها ما هو موضع جدل أو إنكار ففيم العجب وفيم المماراة والإنكار للظاهرة الغيبية المماثلة، إذ يتجلى نور الوحى من الأفق الأعلى فيدنو ويتدلى حتى يصل إلى المصطفى على هذه الأرض؟[1]"

ويلاحظ التناسب بين المقسم به والمقسم عليه من خلال التقييد الذى قيد الله به المقسم به فى قوله تعالى: ﴿ **وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ** ﴾ فقيده بوقت هويه، وكذلك قيد الجواب بنفى الضلال والغواية عن النبى صلى الله عليه وسلم؛ فهو وحده الذى خصه الله عز وجل بنفى الضلال والغواية عنه فى القرآن الكريم، وكان العرب قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم يلقبونه بالصادق الأمين.

ما الحكمة من القسم بالنجم على أن النبى – صلى الله عليه وسلم – ما ضل وما غوى؟ قد يكون ردًا على من قال أن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى كتب هذا القرآن ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾[2] "كأن قائلاً قال: فبماذا ينطق أعن الدليل أو الاجتهاد؟ فقال لا، وإنما ينطق عن الله بالوحي[3]."

---

(١)الإعجاز البيانى للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق: ٢٥٠.

(٢)الفرقان: ٥.

(٣)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٨/ ٢٨١.

وسواء أكان تفسير النجم بأنه جنس النجم أو القرآن الكريم - فإن هناك علاقة بين المقسم به والمقسم عليه تتناسب مع السياق، هذه العلاقة تتضح لكل ذى بصيرة ألا وهى **(الهداية)** فالعرب كانت تهتدى بالنجوم فى سيرها ليلا: ﴿ **وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ** ﴾[1] ومنهم من عبد هذه النجوم، وهناك قرينة فى الجواب تنفى أن يكون المراد بالنجم شيئا آخر من معانى النجم غير متناسقة مع المقام والسياق، وهذه القرينة هى قوله تعالى: (صاحبكم) أي النبى صلى الله عليه وسلم لمعرفتهم بأحواله وفى هذه القرينة أيضا إقامة الحجة عليهم؛ إذ كيف يتهمونه بالضلال والغواية وهو يصحبهم ليل نهار وكانوا يسمونه الصادق الأمين "والمراد بالصاحب هنا: الذي له ملابسات وأحوال مع المضاف إليه، والمراد به محمد (صلى الله عليه وسلم) ... وإيثار التعبير عنه بوصف (صاحبكم) تعريض بأنهم أهل بهتان إذ نسبوا إليه ما ليس منه في شيء مع شدة إطلاعهم على أحواله وشؤونه إذ هو بينهم في بلد لا تتعذر فيه إحاطة علم أهله بحال واحد معين مقصود من بينهم[2]."، وكاف الخطاب المقصود بها قريش، والترتيب فى قوله تعالى: ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ** ﴾ يؤكد أن النبى - صلى الله عليه وسلم - سائر على الطريق المستقيم ما كان له أن يضل أو ينحرف، بل إن الله تعالى قال عنه: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ** ﴾[3].

٣- المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى أول سورة البروج: يناسب القسم بالسماء فى علوها وبروجها علو المؤمنين بإيمانهم ويجسد الصورة ويقربها إلى الفهم والإقناع، فالغرض من القسم هو تأكيد البعث والحساب على ما مضى من أعمال فى الدنيا، وفى القسم هنا مشاهد حسية معلومة، وأخرى غيبية محكى عنها، فالمقسم به قوله تعالى: ﴿ **وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ** ﴾[4]

---

(١)النحل: ١٦.
(٢)التحرير والتنوير: ٢٧/ ٩٢.
(٣)الشورى: ٥٢.
(٤)البروج: ١ - ٣.

ويلاحظ أن هذه الأقسام بينها تناسب أو اتصال؛ حيث إن من معانى البروج: (الحصون، الارتفاع والظهور والتباعد، تبرجت السماء، أى تزينت بالكواكب، والبروج المقصود بها بروج السماء الاثنى عشر، وقيل هى الكواكب العظام، وقيل القصور)، أما اليوم الموعود فالمقصود به يوم القيامة، والشاهد والمشهود يعنى: (اللسان، والنجم، الشاهد خلاف الغائب، وهو الذى يؤدى الشهادة، والشاهد هو النبى صلى الله عليه وسلم، وبمعنى الحاضر العالم الذى لا يغيب عن علمه شىء) والمشهود أى محضور يحضره أَهل السماءِ والأَرض. يقول الله عز وجل: ﴿ **وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ** ﴾[1]، وفى هذا المشهد المختزل فى هاتين الكلمتين صور كثيرة؛ حيث يشير إلى وجود:

أولا: الشاهد أو الشهود (الأشخاص): "فالشاهد: الرائي، أو المخبر بحق لإلزام منكره. والمشهود: المرئي أو المشهود عليه بحق. وحذف متعلق الوصفين لدلالة الكلام عليه فيجوز أن يكون الشاهد حاضر ذلك اليوم الموعود من الملائكة قال تعالى: ﴿ **وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ** ﴾[2]. ويجوز أن يكون الشاهد الله تعالى ويؤيده قوله: ﴿ **وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ أو الرسل والملائكة. والمشهود: الناس المحشورون للحساب وهم أصحاب الأعمال المعرضون للحساب ... وعلى مختلف الوجوه فالمناسبة ظاهرة بين شاهد ومشهود وبين ما في المقسم عليه من قوله: ﴿ **وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ** ﴾، وقوله: ﴿ **إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ** ﴾ أي حضور.[3]"

ثانيًا: المشهود: أى الشىء أو الأشياء أو الأشخاص المشهود عليهم أو أعمالهم التى تعرض عليهم ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾[4].

---

(١)البروج: ٣.
(٢)ق: ٢١.
(٣)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٣٨،٢٣٩.
(٤)النور: ٢٤.

ثالثًا: الزمان: وهو يوم القيامة بدليل قوله تعالى فى السياق نفسه: ﴿ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ﴾[1].

رابعًا: المكان: ربما يكون المكان فى السماء لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴾[2]، وبذلك ذكر المكان ثم الزمان ثم الأشخاص، فى مشهد من مشاهد يوم القيامة.

- هناك ربط بين السماء بارتفاعها وبروجها (سواء أكانت هذه البروج هى حصونها أو قصورها أو نجومها أو كواكبها العظام) فإنها كلها تدل على الضخامة؛ وكذا يوم القيامة وما فيه من أحداث عظام، وكذلك الأحداث العظام والحشود العظيمة التى تشهده، كل هذا من جهة وفى الجهة الأخرى صورة من صور عذاب الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات، وبهذا الوصف (الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) بلا تحديد لدينهم وملتهم سواء أكانوا كفارا أو مسلمين) ثم لم يتوبوا، ماذا أعد الله لهم؟ أعد لهم ما يتناسب مع مشهد السماء ببروجها واليوم الموعود وأحداثه والحشود الهائلة، ففى هذا القسم وجوابه ربط بين المشهدين: "فتربط بين السماء وما فيها من بروج هائلة، واليوم الموعود وأحداثه الضخام، والحشود التي تشهده والأحداث المشهودة فيه.. تربط بين هذا كله وبين الحادث ونقمة السماء على أصحابه البغاة[3]."

ووجه الارتباط بين المقسم به والمقسم عليه أن "الإقسام بها متناول لكل موجود في الدنيا والآخرة، وكل منها آية مستقلة دالة على ربوبيته وإلهيته. فأقسم بالعالم العلوي، وهي السماء وما فيها من البروج، التي هي أعظم الأمكنة وأوسعها. ثم أقسم بأعظم الأيام وأجلها قدرا، الذي هو مظهر ملكه، وأمره، ونهيه، وثوابه، وعقابه، ومجمع أوليائه وأعدائه، والحكم بينهم بعلمه وعدله. ثم أقسم بما هو أعم من ذلك كله، وهو "الشاهد" و"المشهود". وناسب هذا القسم ذكر أصحاب الأخدود الذين عذبوا أولياءه، وهم شهود على ما يفعلون بهم، والملائكة شهود

---

(١)البروج: ٢.
(٢)البروج: ١.
(٣)فى ظلال القرآن: ٦/ ٣٨٧٣،٣٨٧٢.

عليهم بذلك، والأنبياء، وجوارحهم تشهد به عليهم. وأيضا؛ فـ"الشاهد" هو: المطلع، والرقيب، والمخبر، و"المشهود" هو: المطلع عليه، المخبَر به، المشاهد...فكل ما وقع عليه اسم شاهد ومشهود فهو داخل في هذا القسم فلا وجه لتخصيصه ببعض الأنواع أو الأعيان إلا على سبيل التمثيل[1]."

ارتفع المؤمنون بإيمانهم وعلو السماء ببروجها؛ لأنهم راسخو الإيمان ثابتو العقيدة لا يزحزحهم عن دينهم كيد الكائدين، حتى وإن بلغ الأمر إحراقهم بالنار فى الأخاديد لإيمانهم بالله وبيوم القيامة الذى وعدهم فيه رب العزة بالفوز العظيم ومعاقبة من عذبوهم فى الدنيا بنيران الآخرة، وأن الله على كل شىء شهيد، فالقسم بالسماء فى علوها وبروجها وهى تشبه علو المؤمنين بإيمانهم يجسد الصورة ويقربها إلى الفهم والإقناع، الذى هو غرض من أغراض القسم.

٤- المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى أول سورة الطارق: أقسم الله بالسماء والطارق على أنه لا توجد نفس إلا وعليها رقيب يعلم ما تفعل، وليست مخلوقة بلا محاسبة، مما يدعو إلى حسن العمل وتقديم ما ينفع يوم الحساب.

وكما يثقب النجم الظلام بضوئه يخترق الحافظ كل الحجب والسواتر إلى كل نفس، وكما أن النجم الثاقب من السماء فإن الحافظ أيضا من رب الأرض والسماء: ﴿ **وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ** ﴾[2]، واختيار لفظ الطارق الدال على المجىء ليلا حتى لا تظن نفس أنها بمنأى عن علم الله الذى يعلم السر وأخفى: ﴿ **وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾[3]، ووصف النجم بالثاقب بدلالته على الإضاءة والتوهج للدلالة على أن الحافظ لا يمل ولا يغيب عن كل نفس: ﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾[4]، وربما يراد بالطارق الشاهد؛ لأن الحافظ يأتى يوم القيامة شاهدا

(١)التبيان فى أيمان القرآن:١٤١-١٤٢.
(٢)الأنعام: ٦١.
(٣)طه: ٧.
(٤)ق: ١٨.

على أعمال العباد: "ولعل الطارق هو النجم الذي يسمى الشاهد، وهو نجم يظهر عقب غروب الشمس، وبه سميت صلاة المغرب (صلاة الشاهد)[1]." فالربط هنا بين المقسم به والمقسم عليه صورة من صور الربط بين المعنوى والحسى.

من الملاحظ أن سياق القسم فى هذه السورة جاء امتدادًا لما ورد فى السورة السابقة (سورة البروج)، حيث بدأت كلتاهما بالقسم بما سميت به (البروج، والطارق)، وجاء فى ختام سورة الطارق تكذيب الكفار فى قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ﴾[2]، وكان هذا التكذيب للقرآن الكريم، حيث أنكر الله عليهم ذلك، فقال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾[3] وفى سياق سورة الطارق وصف الله القرآن بأنه قول فصل ردا عليهم، والله أعلم.

من بلاغة القرآن فى جواب القسم هنا أن الله اختار كلمة (حافظ) التى توحى بالحماية والحفظ والصيانة للإنسان؛ لأن النفس - أى نفس - إذا لم تغفل عن أن هناك من يراقب أعمالها وستحاسب عليها فإنها لن تقع فى إثم ولن تفكر فى معصية، ولو ذكرت كلمة أخرى غيرها لما أفادت هذا المعنى: "فإن إقامة الحافظ تستلزم شيئا يحفظه وهو الأعمال خيرها وشرها، وذلك يستلزم إرادة المحاسبة عليها والجزاء بما تقتضيه جزاء مؤخرا بعد الحياة الدنيا لئلا تذهب أعمال العاملين سدى... والحافظ: هو الذي يحفظ أمرا ولا يهمله ليترتب عليه غرض مقصود[4]." واختلف فى الحافظ، فقيل هو الله بدليل قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[5]، "وقيل: الحافظ: هو العقل يرشد الإنسان إلى مصالحه، ويكفه عن مضاره[6]."

---

(١)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٥٩.
(٢)البروج: ١٩.
(٣)البروج: ٢١ – ٢٢.
(٤)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٦٠.
(٥)يوسف: ٦٤.
(٦)اللباب فى علوم الكتاب: ٢٠/ ٢٦١.

يخترق النجم الظلام بضوئه كما يخترق المسمار الحائط، وكذلك يخترق الحافظ إلى النفس فيطلع على أسرارها، فلا تظن نفس أنها بمنأى عن علم الله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2] وقال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[3].

سبحان من يخرق أسرار النفس كما يخرق النجم ظلام الليل بقدرته، وكما يخرج الماء الدافق من عظام فقرات الرجل، وعظام صدر المرأة ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، كذا يخترق الحيوان المنوى جدار البويضة، ولا يعرف أحد ماهية الجنين الناشئ من هذا الاختراق للبويضة إلا الله، وكذا النفس البشرية لا يعلم أسرارها إلا الله، ثم يأتى الجواب بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾.

٥- **المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى أول سورة الفجر**: تتضح المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه من خلال معانيهما المتقاربة فى التوجه إلى مشهد واحد أو مشهدين، كلاهما يجتمعان فى صورة واحدة تتأكد بالربط بين المقسم به والمقسم عليه، من خلال الدلالة المعجمية والسياق المقامى الذى اجتمعت فيه؛ فمن الملاحظ أن هذه الأقسام تجمع بين **ثلاثة أمور**:

الأول: أنها لأزمان متقاربة.

الثانى: أنها أوقات يستحب فيها الإكثار من أعمال البر والتقرب إلى الله.

الثالث: أنها تجمع بين متقابلين أو متضادين.

---

(١)الحديد: ٤.

(٢)ق: ١٦ - ١٨.

(٣)يوسف: ٦٤.

وترتبط هذه الأقسام فيما بينها من خلال السياق الذى يشير إلى أن المقصود بالفجر هو عموم الفجر؛ لدلالة (أل) على الجنس، فهو وقت انفجار الصبح، والذى يفصل بين الليل والنهار، والفجر جزء من الليالى العشر، وللفجر - كما ذكر علماء التفسير، وكما ورد فى كتب الحديث – فوائد كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا ﴾[1]، وفى الحديث الشريف:" ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها[2]."

فمن لا يفرق بين نور الفجر وبركته، والليل إذا يسر، أى النور والظلام، أى الحق والباطل، فسيكون مصيره مصير عاد وفرعون وثمود...

وهناك تناسب بين كل قسم منفردا والمقسم عليه؛ فهناك تشابه بين تفجر الضوء وانتشار الخلق فى طلب الرزق ونشور الموتى من قبورهم يوم القيامة ﴿ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴾[3]، ووقت الفجر وقت مبارك يأتى بعد ظلمة الليل التى تشبه ظلمة الكفر، وقد أقسم الله بالفجر (ليعذبن) كل من لا يؤمن بالنور الذى أرسل الله به رسوله الواضح وضوح نور الفجر الذى لاشك فيه.

وأقسم الله – عز وجل - بالليالى العشر لخصوصية أعمال البر فيها، ولو كان المقصود بها العشر الأواخر من رمضان ففيها ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر، ولو كان المقصود بها العشر الآوائل من ذى الحجة، فهذه الأوقات من الأوقات المنجيات؛ فالأعمال فيها مضاعفة الثواب، وكما فضل الله بعض النبيين على بعض فقد فضل بعض الأوقات على بعض، ومن حرم الثواب فيها حرم الخير الكثير.

٦- **المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى أول سورة الشمس**: كان للترتيب فى أقْسام سورة الشمس أثره فى السياق، حيث جاءت عناصر القسم فى سياق معجز؛

---

(١)الإسراء: ٧٨.

(٢)صحيح مسلم، ١٤ باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما:١/ ٥٠١.

(٣)القمر: ٧.

فافتتح القسم بالشمس وضحاها، ثم بالقمر التالى فى ظهور ضوئه لضوء الشمس، وكان مناسبا لذلك أن يأتى القسم بالسماء، وهى الإطار والمكان اللذان يطلان منها على الأرض، وجاء سياق القسم مناسبا للمقسم عليه فى المقام الذى يصور مشهدين:

الأول: مشهد الثنائيات الموجودة فى الكون وما فيه من معجزات الشمس والقمر، والنهار والليل، والسماء والأرض.

الثانى: مشهد النفس الإنسانية والمتقابلان اللذان حوتهما من تقوى وفجور وما يقابلهما من التزكية والتدسية، والتشجيع على التزكية والفلاح الذى يناله العبد بذلك والتحذير من التدسية وعواقبها وذكر نماذج عليها من الطغاة السابقين، مثل عاد وثمود وفرعون.

وجاء القسم بالنهار والليل والأرض اللذان يظهر نورهما عليها للمناسبة بينهما وبين النفس: "وابتدئ بالشمس لمناسبة المقام إيماء للتنويه بالإسلام لأن هديه كنور الشمس لا يترك للضلال مسلكا، وفيه إشارة إلى الوعد بانتشاره في العالم كانتشار نور الشمس في الأفق، وأتبع بالقمر لأنه ينير في الظلام كما أنار الإسلام في ابتداء ظهوره في ظلمة الشرك، ثم ذكر النهار والليل معه لأنهما مثل لوضوح الإسلام بعد ضلالة الشرك وذلك عكس ما في سورة الليل لما يأتي. ومناسبة استحضار السماء عقب ذكر الشمس والقمر، واستحضار الأرض عقب ذكر النهار والليل، واضحة، ثم ذكرت النفس الإنسانية لأنها مظهر الهدى والضلال وهو المقصود[1]."

فهناك ترابط وتماسك فى السياق بين نور الشمس وضوء القمر والنهار وعلو السماء من جهة وبين تقوى النفس وتزكيتها بأعمال الخير وبالتالى فلاحها من جهة أخرى، وكذلك بين الليل وتسفل الأرض من جهة وفجور النفس وتدسيتها، وبالتالى الخيبة والخسران من جهة أخرى من جهة أخرى، ومن معانى زكى (نما

(١)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٦٧-٣٦٨.

وزاد، وزَكَّى نفسَه تَزْكِيةً مدَحها، وزَكَّى الرجل نفسَه إِذا وصفها وأَثنى عليها، وتَزَكَّى أَي تصدَّق) "أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية[1]."

هناك تناسب وترابط بين ما هو حسى فى الكون وما هو معنوى فى النفس، هذا التناسب يزيد المعنى وضوحا وتماسكًا، وتعبر مفردات القسم عن المعنى المقصود بهذا التقابل تحت إطار القسم مع حرف القسم (الواو) وأن الله – عز وجل "كما جعل العالم الجسمانى ذا طرفين: ضياء وظلمة وعلو وسفل. وجعل في كل طرف مصلحة. وفي جمع الطرفين مصالح أخر من تربية الإنسان، فإنه طحا الأرض وذللها فأنبت منها متاعا وبلغة، وغشى الليل فجعله سباتا وسكنا. فكذلك في عالم النفس جعل الليل والنهار والأرض والسماء، وجعل فلاحها فى التدبر[2]."

ويلاحظ أن هناك مقابلة بين (الفجور والتقوى) و(التزكية والتدسية)؛ فتزكية النفس بالطاعات تشبه الشمس بضوئها والنهار بوضوحه والسماء بعلوها، والتقوى ومنزلتها. والعكس مع التدسية، ومن معانى دس ودسس (دسَّه يَدُسُّه دَسّاً إِذا أَدخله في الشيءِ بقهر وقوَّة، دَسَّاها جعلها خسيسة قليلة بالعمل الخبيث، الدَّسُّ دَسُّك شيئاً تحت شيء وهو الإِخْفاءُ ودَسَسْتُ الشيء في التراب أَخفيته فيه، والدَّسِيسُ إِخفاء المكر): "الدَّسُّ دَسُّك شيئاً تحت شيء وهو الإِخْفاءُ. ودَسَسْتُ الشيء في التراب: أَخفيته فيه؛ ومنه قوله تعالى أَم يَدُسُّه في التراب؛ أَي يدفنه... والدَّسِيسُ: إِخفاء المكرِ[3]." هناك فرق بين من يسيرعلى ضوء القمر بالليل ومن يسير فى النهار على نور الشمس، ومن تسفل بالمعاصى فى الدرك الأسفل من الأرض ليس كمن ارتفع فى السماء، ومن عاش فى فجوره وأخفى آثامه ليس كمن عاش وقلبه مطمئن بالإيمان والتقوى.

---

(١)المفردات فى غريب القرآن، مادة (زكا): ٢١٣، لسان العرب:٣/ ١٨٤٩، المعجم الوسيط:١/ ٣٩٦.
(٢)تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: ٣١٧-٣١٨.
(٣)لسان العرب، مادة (دسس): ٦/ ٨٢ ، تهذيب اللغة للأزهرى: ١٢/ ١٩٨.

٧- **المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى أول سورة الليل**: بدأت السورة بمتقابلات مختلفة، وجاء القسم فى سياق معجز بين متقابلات من الكون والنفس البشرية وأعمال الإنسان، وكذا الآخرة وما فيها من حساب على الأعمال خيرها وشرها، وهذه الأقسام منها ما هو بأمور حسية مدركة ومنها ما جاء بأمور معنوية غير مدركة، فهناك تقابل بين [(الليل والنهار)، (ويغشى ويتجلى)، (والذكر والأنثى)، (أعطى واتقى)، (وبخل واستغنى)، (صدق بالحسنى، وكذب بالحسنى)، (لليسرى وللعسرى)، (الآخرة والأولى)، (الأشقى والأتقى)] فشتان بين هذه المتقابلات، وكأن هذه المتقابلات فى المقسم به بين الليل والنهار، ويغشى وتجلى، والذكر والأنثى من المحسوسات تتضح مع المتقابلات المعنوية فى جواب القسم مع السعى الذى أكد الله أنه شتى فى الصلاح والفساد، وذكر الله نموذجًا عليهما متمثلا فى العطاء والبخل والأتقى الذى يصدق بملة الإسلام أو بالجنة أو الأشقى الذى يصلى النار لأنه كذب بالحسنى، فهناك صورة للخير والشر تقابل النور والظلام المحسوس المتمثل فى الليل والنهار، والذكر والأنثى، كل ذلك تحت **مظلة القسم وجوابه** الذى أضاف للمعنى اللغوى للقسم تأكيدًا آخر من خلال الغرض البيانى الذى وضحته هذه الصورة من المتقابلات الحسية والمعنوية. "**ومناسبة المقسم به للمقسم عليه** أن سعي الناس منه خير ومنه شر وهما يماثلان النور والظلمة وأن سعي الناس ينبثق عن نتائج منها النافع ومنها الضار كما ينتج الذكر والأنثى ذرية صالحة وغير صالحة. وفي القسم بالليل وبالنهار التنبيه على الاعتبار بهما في الاستدلال على حكمة نظام الله في هذا الكون وبديع قدرته... واختير القسم بالليل والنهار لمناسبته للمقام لأن غرض السورة بيان البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة. وابتدئ في هذه السورة بذكر الليل ثم ذكر النهار عكس ما في سورة الشمس لأن هذه السورة نزلت قبل سورة الشمس بمدة وهي سادسة السور وأيامئذ كان الكفر مخيما على الناس إلا نفرا قليلا، وكان الإسلام قد أخذ في التجلي فناسب تلك الحالة بالإشارة إلى تمثيلها بحالة الليل حين

يعقبه ظهور النهار، ويتضح هذا في جواب القسم بقوله: إن سعيكم لشتى إلى قوله: إذا تردى [الليل: ٤- ١١] ... وقد كان القسم في سورة الشمس بتسوية النفس، أي خلق العقل والمعرفة في الإنسان، وأما القسم هنا فبخلق جسد الإنسان واختلاف صنفيه، وجملة: إن سعيكم لشتى جواب القسم. والمقصود من التأكيد بالقسم قوله: ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾[1]."

٨- **المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى أول سورة الضحى**: تضافرت عناصر السياق اللغوى والمقامى لرسم صورة مترابطة بين المقسم به والمقسم عليه، صورة حسية بين الحسيات المتمثلة فى الضحى ونوره الذى يعم الآفاق ونور الإيمان والإسلام الذى حل على الأرض فأزال الظلم والظلمات وحل فى القلب فجلَّى ما به من بغضاء وأمراض، والصورة التى تقابل هذه الصورة هى صورة الليل عندما يغطى الأرض بظلمته الساكن الراكد على الأرض لغياب النور؛ فما غاب نور الضحى عن الأرض كما لم يغب تأييد الله لرسوله ولم يدعه حتى يغيب عنه، ولم يبغضه حتى يكون فى هذا الموقف الذى ظن كفار مكة أن ربه ودعه وقطع الوحى عنه فجاء الرد بالقسم بنفى هذا الزعم.

القسم هنا يقصد به التأمل فى الصورة الحسية، والانتقال منها إلى الصورة المعنوية المجسدة فى سياق القسم، فهناك نوعان من الإعجاز يسترعيان التأمل الداعى إلى الإيمان بالله وبخلقه فى الصورة الحسية بالضحى والليل إذا سجى، وبالصورة المعنوية، وهى أن الله ما ودع النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - وما قلاه :"ومناسبة القسم بـ (الضحى والليل) أن الضحى وقت انبثاق نور الشمس فهو إيماء إلى تمثيل نزول الوحي وحصول الاهتداء به، وأن الليل وقت قيام النبيء صلى الله عليه وسلم بالقرآن، وهو الوقت الذي كان يسمع فيه المشركون قراءته من بيوتهم القريبة من بيته أو من المسجد الحرام. ولذلك قيد الليل بظرف إذا سجى فلعل ذلك وقت قيام النبيء صلى الله عليه وسلم قال تعالى:﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢

(١)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٧٨-٣٨٠.

نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾[1]. والضحى تقدم بيانه عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴾[2]."[3] كما أن هناك تناسبا بين الافتتاح بالقسم فى هذه السورة والسورة السابقة (سورة الليل)؛ لأن "الله سبحانه وتعالى لما ذكر فى السابقة قوله ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ﴾ وكان صلى الله عليه وسلم سيد الأتقياء وصفى الأصفياء .. عقب سبحانه بذكر نعمه عز وجل عليه صلى الله عليه وسلم[4]."

٩- المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى أول سورة التين: أقسم الله بأربعة أقسام تشير إلى رسالة سيدنا نوح، وسيدنا إبراهيم، وسيدنا موسى، وسيدنا عيسى، وخاتم الأنبياء سيدنا محمد عليهم السلام، هذه الرسالات ما جاءت إلا لترشد الإنسان ليكون فى أحسن تقويم من حيث الفطرة السليمة التى خلقه الله عليها، وأن يرتفع إلى أعلى عليين باتباع أوامر الله والامتثال المبنى على الحب والرضا لأوامر الله وتجنب نواهيه.

وإذا قيل إن التين والزيتون هما النباتان المعروفان، وكذا طور سينين المعروف بمصر، والبلد الأمين هو مكة، فإن المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه تتعدد وتتجه إلى الناحية الحسية التى يقتنع بها غير المؤمنين، فيلاحظ أن هذا التعدد جاء فى الأقسام الأربعة، فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[5] أقسم الله بهذه الأقسام فى افتتاح هذه السورة على أن الله خلق الإنسان فى أحسن تقويم من حيث تمام الخلق وتناسب الأعضاء، وانتصاب القامة، وكثير من النعم الظاهرة والباطنة ما لا يحصى، كما خلق الله التين والزيتون وجعل فيهما كثيرًا من الفوائد حتى إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما أهدى إليه التين مدحه وقال عنه إنه من فاكهة الجنة، وكما خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم من

---

(١)المزمل: ٢ - ٣.
(٢)الشمس: ١.
(٣)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٩٤-٣٩٥.
(٤)الشمس: ١.
(٥)التين: ١ - ٣.

حيث الدين وفطرة الله التى فطر الناس عليها، ومن خالف هذه الفطرة يرد إلى أسفل سافلين من عذاب فى الدنيا والآخرة، والأمر الأهم فى صفات الإنسان هى الصفات الروحية؛ "فهي التي تنتكس إلى أسفل سافلين حين ينحرف عن الفطرة ويحيد عن الإيمان المستقيم معها. إذ إنه من الواضح أن خلقته البدنية لا تنتكس إلى أسفل سافلين. وفي هذه الخصائص الروحية يتجلى تفوق التكوين الإنساني. فهو مهيأ لأن يبلغ من الرفعة مدى يفوق مقام الملائكة المقربين. كما تشهد بذلك قصة المعراج . . حيث وقف جبريل عليه السلام عند مقام، وارتفع محمد بن عبد الله الإنسان إلى المقام الأسنى[1]."

١٠- المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى سورة العصر: إذا كان المراد بـ (العصر)، عصر الإسلام وهو نهاية الرسالات؛ لأن العصر قرب نهاية اليوم، فإن الدلالة واضحة إلى أن الإنسان إن لم يستغل عمره فى طاعة الله باتباع خاتم الرسالات فقد خسر خسرانا مبينا، واختيار العصر للدلالة على معنى العصر الذى يخلص روح المعصور "فإن العصر يخلص المعصور ويميز صفاوته. ولذلك كان وصف هذا النبى الخاتم، الذى هو خلاصة الخلق صلى الله عليه وسلم وقت العصر وكانت صلاة العصر هى أفضل الصلوات[2]."

وهناك مناسبة بين هذه السورة والسورة السابقة (سورة التكاثر)؛ لأن من أكبر الخسران أن يشتغل الإنسان بكل ما يلهى عن طاعة الله وغيرها من المعانى الذميمة التى أشارت إليها هذه السورة، ثم جاءت سورة العصر لتلفت الانتباه بالقسم إلى خسران من اشتغل بعمل لا يرضى فيه الله عز وجل، وتتناسب أيضا مع السورة التالية لها (سورة الهمزة)؛ لأن سورة الهمزة توضح صورة من صور الخاسرين الذين اهتموا بجمع المال على حساب الطاعات ظنا منهم أن المال يخلد صاحبه. ويتضح التناسب أيضا فى قسم الله - عز وجل - بوقت من الأوقات، وهو وقت العصر،

---

(١)فى ظلال القرآن: ٦/ ٣٩٣٣.

(٢)مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور:٣/ ٢٤٦.

وسواء أكان هذا المقسم به (العصر) هو وقت العصر المعروف الذى هو قبل غروب الشمس، أو كان المقصود به الدهر، فإن المقصود به الوقت سواء بمفهومه الحقيقى فى إضاعة الوقت فيما يغضب الله لأهمية الوقت فى حياة الإنسان (المؤمن والكافر)، ولأن الوقت هو العمر وأقسم الله – عز وجل – بعمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأنه هو الوحيد الذى لم يضع من وقته شيئًا، فقد كان كل وقته للدعوة ولتبليغ الرسالة فاستحق أن يقسم الله بعمره، واستثنى الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، لأن هذا هو الغرض الذى خلق الإنسان من أجله، وهو روح العبادة فى قوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1].

– اختيار كلمة الإنسان فى جواب القسم للعموم (المؤمن والكافر، والذكر والأنثى) ثم استثنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات، بهذا الإجمال، وبهذا الجمع بين الإيمان والعمل الصالح وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وهو من الإجمال أيضا، أى الحق فى كل شىء والصبر على أو عن كل شىء.

*****

الدليل على صدق الجواب فى القسم بصيغة المفرد فى أوائل السور.

أولا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة الطور: ذكر الله – عز وجل – أدلة صدق جواب القسم (على وقوع العذاب) فى قوله تعالى:﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ ﴾، وهو دليل لاحق للجواب فى سياق السورة نفسها فى قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾[2]، ومن هذه الأدلة أيضًا قوله تعالى:﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

(١)الذاريات: ٥٦.

(٢)الطور: ٩ – ١٤.

سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾[1]. **ومن الأدلة السابقة للقسم** على وقوع العذاب قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[2].

ثانيًا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة النجم: الغرض من القسم فى أول هذه السورة هو إقرار النبوة بنفى الضلال والغواية عن النبى – صلى الله عليه وسلم – وجاء الدليل على صدق الجواب سابقا للقسم هنا ولاحقا له فى سياق القرآن الكريم، ومن الأدلة على صدق الجواب ما ذكره الرازى **بقوله**: "ويمكن أن يقال ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ دليل على أنه ما ضل وما غوى، تقديره: كيف يضل أو يغوى وهو لا ينطق عن الهوى، وإنما يضل من يتبع الهوى، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[ص: ٢٦] فإن قيل ما ذكرت من الترتيب الأول على صيغة الماضي في قوله (مَا ضَلَّ) وصيغة المستقبل في قوله ﴿ وَمَا يَنطِقُ ﴾ في غاية الحسن، أي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون في صغره ﴿ وَمَا غَوَىٰ ﴾ حين اختلى بنفسه ورأى منامه ما رأى وما ينطق عن الهوى الآن حيث أرسل إليكم وجعل رسولاً شاهداً عليكم، فلم يكن أولاً ضالاً ولا غاوياً، وصار الآن منقذاً من الضلالة ومرشداً وهادياً[3]."، **ومن الأدلة اللاحقة** قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[4]، وذلك لنفى زعمهم بأن القرآن أساطير الأولين:﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[5].

ثالثا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة البروج: ورد فى سياق القرآن الكريم أكثر من دليل على أن الله ينصر عباده المؤمنين فى كل زمان ومكان، ويعاقب الكافرين، سواء بتعذيبهم بالنار التى كانوا يعذبون بها المؤمنين أو بغيرها من سبل

---

(١)الطور: ٤٤.
(٢)الكهف: ٤٧.
(٣)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: ٢٨/ ٢٨٠-٢٨١.
(٤)النجم: ٤- ٥.
(٥)الفرقان: ٥.

التعذيب التى تتناسب معهم، وليست هذه هى المرة الأولى التى يتعرض فيها عباد الله للإحراق بالنار، فقد تعرض سيدنا إبراهيم – عليه السلام – للإحراق بالنار، ولكن الله نجاه منها ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾[1] وقال الله تعالى فيهم بعد أن دعاهم سيدنا إبراهيم للإيمان: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[2]، وفى نهاية الأمر تذكير وتأييد للمؤمنين بأنه سينجيهم من العذاب، فالله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾[3].

– **دليل آخر**: ما ذكر فى السورة نفسها فى قصة فرعون وجنوده، وقصة ثمود، وقد وردت هاتان القصتان فى سياقات أخرى فى القرآن الكريم، ولكن ذكرهما هنا فى هذا السياق لحكمة "وهما نموذجان لفعل الإرادة، وتوجه المشيئة. وصورتان من صور الدعوة إلى الله واحتمالاتها المتوقعة، إلى جانب الاحتمال الثالث الذي وقع في حادث الأخدود.. وكلها يعرضها القرآن للقلة المؤمنة في مكة، ولكل جيل من أجيال المؤمنين[4]." ونماذج افتتان المؤمنين التى ذكرت فى القرآن الكريم كثيرًا، فمنها ما حدث لعاد: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ٥١ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ٥٢ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾[5] وخسف الله بقارون وداره الأرض، حيث قال تعالى: ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴾[6].

رابعًا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة الطارق: أقسم الله على أن كل نفس عليها حافظ يراقبها، ولم تخلق نفس هكذا عبسا أو هملا بلا محاسبة، أى أن

---

(١)الأنبياء: ٦٨.
(٢)العنكبوت: ٢٣.
(٣)الحج: ٣٨.
(٤)فى ظلال القرآن: ٦/ ٣٧٨٥.
(٥)النجم: ٥٠ – ٥٤.
(٦)القصص: ٨١.

الإنسان سيحاسب على أعماله، وجواب القسم فى هذه الصورة يؤكد وجود الحافظ على كل نفس، بهذا العموم، وذكر القرآن فى أكثر من موضع وجود الحفظة، ويأتى الدليل السابق فى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[2]، وذكر انتفاء الحفظة والحماة للخلق من المجرمين، فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴾[3] "يعني أن الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء على المؤمنين، يحفظون عليهم أحوالهم ويتفقدون ما يصنعونه من حق أو باطل، فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالا، بل إنما أمروا بإصلاح أنفسهم."[4]، وإنما سيحاسب هؤلاء المجرمين على ما قدموا؛ فليسوا بأوصياء على المؤمنين ولا على أنفسهم.

ويأتى **الدليل اللاحق** فى قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾[5]، الخطاب هنا للإنسان خاصة؛ لأنه هو الذى يعقل وهو المكلف، وخلق الله كثيرًا من المخلوقات مسخرة للإنسان؛ لذلك اختص ذكره بعد الإجمال لكل نفس ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ والله أعلم.

ومن مقاصد السورة إقامة الأدلة على قدرة الله فى بعث الخلق، فذكر الله ما يؤكد ذلك، فقال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾[6]، ووجه الاتصال بين هذه الآية وجواب القسم هو أن ينظر الإنسان إلى بداية خلقه

---

(١)الأنعام: ٦١.
(٢)الانفطار: ١٠ – ١٢.
(٣)المطففين: ٣٣.
(٤)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: ٣١/ ١٠٣.
(٥)الطارق: ٥ – ١٠.
(٦)الطارق: ٥ – ١٠.

حتى يعلم أنه عند موته ورجوعه إلى الله سوف يحاسب على أعماله "فإن قلت: ما وجه اتصال قوله (فَلْيَنظُرِ) بما قبله؟ قلت: وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظاً، أتبعه توصية الإنسان بالنظر في أوّل أمره ونشأته الأولى، حتى يعلم أنّ من أنشأه قادر على إعادته وجزائه، فيعمل ليوم الإعادة والجزاء[1]."

خامسا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة الفجر: جاء الدليل هنا فى قوله تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾[2] فهى "جملة معترضة بين القَسم وما بعده من جوابه أو **دليل جوابه**، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾[3] والاستفهام تقريري، وكونه بحرف (هل) لأن أصل (هل) أن تدل على التحقيق إذ هي بمعنى (قد)، وجاءت (هل) فى الاستفهام بدلا من الهمزة؛ لأنها أقوى وآكد من الهمزة. واسم الإشارة عائد إلى المذكور مما أقسم به، أي هل في القسم بذلك قَسم. وتنكير (قسمَ) للتعظيم أي قسم كافٍ ومُقنع للمُقْسم له. إذا كان عاقلاً أن يتدبر بعقله، **فالمعنى**: هل في ذلك تحقيق لما أُقسم عليه للسامع الموصوف بأنه صاحب حِجر.

وفى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾[4] **دليل آخر** على القسم ولا يصلح أن يكون جوابا له "إذ يدل على أن المقسم عليه من جنس ما فعل بهذه الأمم الثلاث وهو الاستئصال الدال عليه قوله: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾، فتقدير الجواب ليصبن ربك على مكذبيك سوط عذاب كما صب على عاد وثمود وفرعون. وإما تمهيد للجواب ومقدمة له إن جعلت الجواب قوله: إن ربك لبا لمرصاد وما بينه وبين الآيات السابقة اعتراض جعل كمقدمة لجواب القسم. **والمعنى**: أن ربك لبا لمرصاد للمكذبين لا يخفى عليه أمرهم، فيكون تثبيتا للنبيء صلى الله عليه وسلم كقوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ

---

(١)الكشاف:٦/ ٢٥٣.

(٢)الفجر: ٥.

(٣)الواقعة: ٧٦.

(٤)الفجر: ١٤.

تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1]."[2]، بالإضافة إلى **دليل آخر** فى سياق السورة نفسها هو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ ﴾.

سادسًا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة الشمس: جاء الدليل على صدق الجواب لهذه الصورة من القسم فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم؛ حيث عرضت السورة مشهدا من مشاهد تدسية النفس وبينت عاقبة مرتكبيه، وهم قوم ثمود الذين عقروا ناقة سيدنا صالح ـ عليه السلام ـ فكانت عاقبتهم أن دمدم الله عليهم بهذا الذنب، ولم يرد فى السورة مشهد لعاقبة التقوى للترهيب من الفجور وأثره: "وإن كانت جملة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ جواب القسم فجملة ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴾ فى موقع الدليل لمضمون جملة ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ خاب كخيبة ثمود[3].". والنماذج على جزاء تزكية النفس وتدسيتها فى القرآن الكريم كثيرة جدًّا، منها ما ذكر فى السورة نفسها فى قصة ثمود، واختيار ثمود بالذات من بين كثير من الطغاة هنا؛ لأن الله عز وجل قال عنهم: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[4] فذكرهم الله فى هذا الموضع" وقد يظهر فى تخصيص ثمود بالذكر ههنا ـ دون غيرهم ـ معنى آخر، وهو أنهم ردوا الهدى بعدما تيقنوه وكانوا مستبصرين به، قد ثلجت له صدورهم، واستيقنته أنفسهم، فاختاروا عليه العمى والضلالة[5].". وهذا مثال لعذاب قوم عقروا ناقة الله فأخذهم بهذا الذنب "هذا ـ والله أعلم ـ من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، فإنه لم يكن فى الأمم المكذبة أخف ذنبًا وعذابًا منهم، إذ لم يذكر عنهم من الذنوب ما ذكر عن عاد، ومدين، وقوم لوط وغيرهم[6].

---

(١)إبراهيم: ٤٢.
(٢)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣١٧.
(٣)السابق: ٣٠/ ٣٧١.
(٤)فصلت: ١٧.
(٥)التبيان فى أيمان القرآن: ٣٩، ٣٨.
(٦)السابق: ٣٧.

وهناك من القصص القرآنى ما يدل على أن الإيمان وتزكية النفس تنفع وتنجى أصحابها نحو قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1] "روي أن يونس – عليه السلام – بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه، فذهب عنهم مغاضباً، فلما فقدوه خافوا نزول العذاب، فلبسوا المسوح، وعجوا أربعين ليلة، وقيل: قال لهم يونس: "إن أجلكم أربعون ليلة"، فقالوا: إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك، فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم، ويسوّد سطوحهم، فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم، وصبيانهم، ودوابهم، وفرّقوا بين النساء والصبيان، وبين الدواب وأولادها، فحنّ بعضها على بعض، وعلت الأصوات والعجيج، وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا، فرحمهم الله وكشف عنهم، وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة[2]." والأمثلة لمن لم يتبع طريق الله وينجو بنفسه من أهوائه كثيرة، منها ما ورد فى قصة قارون بعد أن خسف الله به وبداره الأرض قال الذين نجوا: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[3].

سابعًا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة الليل: ذكر الله بعد جواب القسم تفصيل المساعى المختلفة للسعى بين العطاء والبخل، وجاء الفعل (أعطى) بدون ذكر مفعوليه لتذهب فى تأويله النفس مذاهب مختلفة من العطاء والبذل، وكذلك ذكر الفعل (بخل) بدون مفعول لتنفر النفس من البخل بأى شىء ينفع الناس. وللاهتمام بالمعطِى لا بالمعطَى "يدل عليه قوله عليه السلام: (الناس غاديان: فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها)[4].

---

(١)يونس: ٩٨.

(٢)الكشاف :٣/ ١٧٥.

(٣)القصص:٨٢.

(٤)صحيح مسلم – كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء: ١/ ٢٠٣، وجامع الأحاديث للسيوطى: =

وهناك دليل فى سياق السورة جاء بعد الجواب، فى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾[1]. ولا تستوى مساعى الناس جميعا فى العمل وفى الثواب، ووردت آيات كثيرة تؤكد اختلاف هذه المساعى واختلاف عواقبها، منها قوله تعالى:﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2]، وقوله تعالى:﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾[3].

ثامنا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة الضحى: نفى الله أن يكون قد ترك نبيه أو قلاه، وأكد هذا النفى بأدلة جاءت تالية للجواب فى سياق سورة الضحى، فى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾[4] فدل السياق على أن الله لم يدع رسوله – صلى الله عليه وسلم – حتى قبل بعثته؛ حيث أواه صغيرا يتيما، والمعنى اللغوى لكلمة يتيم يؤكد ذلك: "وَقَدْ يَتِمَ الصبيُّ، بالكسر، يَيْتَمُ يُتْماً ويَتْماً، بِالتَّسْكِينِ فِيهِمَا. وَيُقَالُ: يَتَمَ ويَتِمَ وأَيْتَمَه اللهُ، وَهُوَ يَتِيمٌ حَتَّى يبلغَ الحُلُم[5]." وقد مات أبوه قبل أن يولد، ثم ماتت أمه – صلى الله عليه وسلم – بعد ولادته بعامين، وكيف يضل وقد أرسله الله بالهدى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ

= ٥/ ١٨، ونص الحديث: " سبحان الله نصف الميزان والحمد لله تملأ الميزان ولا إله إلا الله تملأ ما بين السماء والأرض والطهور نصف الإيمان والصلاة نور والزكاة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو بائعها فموبقها".

(١)الليل: ٥ – ١١.

(٢)المائدة: ١٠٠.

(٣)النجم: ٣٩ – ٤١.

(٤)الضحى: ٦ – ٨.

(٥)لسان العرب، باب يتم:١٢/ ٦٤٥، والمعجم الوسيط:٢/ ١٠٦٣.

كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[2]، وقال تعالى عنه:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3] فلم يضل قبل بعثته ولا بعدها.

تاسعًا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة التين: يعتقد الباحث أن الرأى الراجح فى جواب القسم فى هذا الموضع هو قوله تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[4] والمقصود هنا الخصائص الروحية والصلة برب العباد والتى ترفع الإنسان إلى أعلى عليين أو تحط به إلى أسفل سافلين، ويشمل الجواب أمرين (خلق الإنسان فى أحسن تقويم - ورده إلى أسفل سافلين) وجاء الدليل فى سياق القرآن الكريم على هذين الأمرين أيضا، **فمن الأدلة على خلق الإنسان فى أحسن تقويم، أى على الفطرة السليمة وعلى ملة الإسلام قوله تعالى:** ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5] وهذه الفطرة والدين الحنيف الذى جاء به سيدنا إبراهيم - عليه السلام - والذى قال الله سبحانه وتعالى فيه:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[6] ومن يحد عن هذه الفطرة والصراط المستقيم يرد إلى أسفل سافلين، ووصفهم الله بأنهم كالأنعام، بل هم أضل، حيث قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا

---

(١)التوبة: ٣٣.
(٢)الفتح: ٢٨.
(٣)الشورى: ٥٢.
(٤)التين: ٤ -٦.
(٥)الروم: ٣٠.
(٦)النساء: ١٢٥.

لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[1] ومن الأدلة على صدق الجواب أن الله لم يجعل لأحد من خلقه أجرًا غير ممنون إلا للنبى محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا وعملوا الصالحات فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾[2] وقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[3]، والله أعلم.

عاشرًا: الدليل على صدق الجواب فى سورة العصر: الأمر الذى يقع فيه كثير من السابقين واللاحقين هو ضياع الوقت، والمقصود بضياع الوقت هنا عدم العمل فيه لطاعة الله بالعبادات والمعاملات، لذلك استثنى فى القسم الذين آمنوا وعملوا الصالحات فالوقت هو العمر واستغلال الوقت فى طاعة الله هو الحياة، فالإسلام يوضح لنا الصراط المستقيم الذى به نستغل الوقت وعمل الصالحات والتواصى بالحق والتواصى بالصبر كما فى الآية الثالثة من السورة "إنها تضع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار. وتصف الأمة المسلمة: حقيقتها ووظيفتها. في آية واحدة هي الآية الثالثة من السورة.. وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله[4]."

وكما أن الجواب قد اشتمل على أمرين (الخسران والربح) فإن الأدلة على صدق الجواب جاءت مناسبة لهذين الأمرين فى سياق متصل لآيات القرآن الكريم، ومن الأدلة على الخسران فى أمور عامة وأمور خاصة، أو﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[5]، أو ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[6]

---

(١)الأعراف :١٩٥.
(٢)القلم: ٣.
(٣)فصلت: ٨، الانشقاق: ٢٥، التين: ٦.
(٤)فى ظلال القرآن :٦/ ٣٩٦٣.
(٥)الكهف: ١٠٤.
(٦)الزمر: ١٥، الشورى: ٤٥.

وغيرها من الآيات التى توضح الخسران للمرء أو إنزال الخسران بغيره كأن يغش فى الوزن، كما فى قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[2]، وتعددت أنواع الخسران فى القرآن الكريم بين **الخسران المادى** فى البيع والشراء كما ذكر فى سورة الرحمن، والمطففين، ومنها خسران معنوى فى الدنيا والآخرة[3]. وذكر الله عز وجل أنواعًا مختلفة من النعيم والأجر الذى يناله الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى الدنيا والآخرة فى سياق القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[5]، وغيرها من الآيات التى تبين ما ينالون فى الدنيا والآخرة بأن الله يدخلهم ظلا ظليلا، ولهم مغفرة وأجر عظيم "ووردت مادة خسر فى القرآن الكريم فى **أربعة وستين موضعًا** منها ثلاثة مواضع للدلالة على الخسر بمعناه المادى فى التعامل التجارى مع الوزن والكيل ... **والغالب أن يأتى الخسر بالمعنى الدينى**، فى سياق النذير بسوء العقبى وعذاب الآخرة: للكافرين، والضالين، والمنافقين، ... ويؤذن السياق بأن الخسر يتعلق بالنفس والمال والأهل والعمل، فهو خسر الدنيا والآخرة[6]."

---

(١)الرحمن: ٩.

(٢)المطففين: ٢ – ٣.

(٣)كما فى سور البقرة: ٢٧، ١٢١، آل عمران: ٨٥، الأنعام: ٣١، الأعراف: ٩، ٩٩، ١٧٨، الأنفال: ٣٧، يونس: ٩٥، الزمر: ١٥،٦٣، ٦٥، فصلت: ٢٥، الشورى: ٤٥، الأحقاف: ١٨، المجادلة: ١٩، المنافقون:٩.

(٤)البقرة: ٢٥.

(٥)البقرة: ٨٢.

(٦)التفسير البيانى للقرآن الكريم: ٢/ ٨٢.

الموضع الثانى: القسم بصيغة المفرد داخل السور.

يتناول هذا الموضع من المبحث الثانى **القسم بصيغة المفرد داخل السور، وجاء القسم موصوفا باسم ظاهر، كما** جاء فى سورة الذاريات فى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾[1]، وفى سورة الطارق فى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾[2]، وجاء القسم باسم من أسماء القسم (عمر) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[3].

وجاءت عناصر التركيب فى هذه المواضع كالتالى:

١-**حرف القسم**: جاء حرف القسم الواو فى الموضعين الذى جاء معهما المقسم به مضافا إلى اسم ظاهر.

المقسم به موصوفا باسم ظاهر فى سورة الذاريات: أقسم الله بالسماء فى قوله تعالى:﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾، وهو أول قسم بالسماء فى القرآن الكريم، **والقسم بالمفرد هو قسم بالسواكن**، وجاء القسم هنا بصيغة المفرد (السماء)، ووصفها الله بذات الحبك، وللحبك فى اللغة معان كثيرة، منها: الشد - الحبك من الشعر: الجعد المتكسر- أو تكسر كل شىء - الطرائق - الخُلق الحسن "الحَبْك: الشَّدُّ. واحْتَبك بإزاره: احْتبَى بِهِ وشدَّه إِلى يَدَيْهِ ... وحُبُك السَّمَاءِ: طَرَائِقُهَا. وَفِي التَّنْزِيلِ: وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ؛ يَعْنِي طَرَائِقَ النُّجُومِ، وَاحِدَتُهَا حَبِيكة[4]."

٢-**المقسم به موصوفا باسم ظاهر فى سورة الطارق**: أقسم الله هنا أيضا بالسماء فى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾[5]، ووصفها بأنها (ذات الرجع) بعد أن ذكر الله - عز وجل - الدليل على وجود الحفظة وأن الإنسان

---

(١)الذاريات: ٧.

(٢)الطارق: ١١.

(٣)الحجر: ٧٢.

(٤)لسان العرب، مادة (حبك):١٠/ ٤٠٧، المعجم الوسيط :١/ ١٥٣، الصحاح تاج اللغة وسر العربية:١/ ١٥٧٨.

(٥)الطارق: ١١ - ١٢.

سيحاسب على أعماله، بعد ذلك أكد هذا القسم بقسم آخر، وكما أقسم بالسماء فى أول السورة أقسم بها أيضا داخل السورة، ولكن فى مشهد آخر، وفى أمر متعلق بثبوت البعث، وأنه لا جدال فيه ولا هزل، إنما هو قول فصل: "وافتتح الكلام بالقَسم تحقيقاً لصدق القرآن في الإخبار بالبعث وفي غير ذلك مما اشتمل عليه من الهدى. ولذلك أعيد القَسَم بـ (السماء) كما أقسم بها في أول السورة، وذكر من أحوال السماء ما له مناسبة بالمقسم عليه، وهو الغيث الذي به صلاح الناس، فإن إصلاح القرآن للناس كإصلاح المطر[1]."

أقسم الله بالسماء ووصفها بوصف له علاقة بسياق الكلام السابق واللاحق، حيث أقسم الله فى أول السورة على أن كل نفس عليها حافظ، أى أنه سيحاسب على أعماله، أما هنا فقد أقسم الله بشىء من لوازم السماء وله علاقة بسياق الكلام فى رجوع الإنسان إلى ربه ومحاسبته على أعماله، ووصف السماء بأنها (ذات الرجع)، ووصف الأرض بـ (ذات الصدع)، ومن معانى الرجع كما ذكر كثير من المفسرين (المطر – ذات النفع)، وقيل الرجع، والصدع، أى: الأب والأم "وكلاهما من النعم العظام؛ لأن نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء متكررًا، وعلى ما ينبت من الأرض كذلك[2]."، وقيل المراد بـ (الرجع: المطر أو الملائكة، "الرجع مصدر رجوع الشمس والقمر والكواكب من حال إلى حال ومن منزلة إلى منزلة، تذهب وترجع، وقيل: الرجع: المطر... وقيل: الرجع: الملائكة، سموا بذلك لرجوعهم بأعمال العباد[3]."

ومن معانى الرجع: (الرجوع، النفع، السحاب)، (ذات الرجع: ذات النفع، وذات المطر)، (الرجع فى كلام العرب: الماء) "رَجَع يَرْجِع رَجْعاً ورُجُوعاً ورُجْعَى ورُجْعاناً ومَرْجِعاً ومَرْجِعةً: انْصَرَفَ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰ﴾[4]، أَي

(١)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٦٦.
(٢)اللباب فى علوم الكتاب: ٢٠/ ٢٦٩.
(٣)البحر المحيط: ٨/ ٤٥١-٤٥٢.
(٤)العلق: ٨.

الرُّجوعَ والمَرجِعَ، مَصْدَرٌ عَلَى فُعْلى؛ وَفِيهِ: إِلَى اللهَّ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً، أَي رُجُوعكم... والسماء ذاتِ الرَّجْع. ويقال: ذات النفْع...الرَّجْع في كلام العرب، الماء[1]."ومن معانى الرجع: الملائكة.

أما الصدع فقيل: "هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات أو مصدر من المبني للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل، فإن وصف السماء والأرض عند الإقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للإيماء إلى أنهما في أنفسهما من شواهده وهو السر في التعبير بالصدع عنه وعن المطر بالرجع وذلك في تشقق الأرض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواقع من التنزيل لا في تشققها بالعيون[2]."

من معانى الصدع (الشَّقُّ في الشيءِ الصُّلْبِ، صدع الشىء شقه نصفين، ما تتصدع عنه الأرض من النبات)، (ذات الصدع: أى ذات الانشقاق: النبات، ذات الحرث، ذات الطرق تصدعها المشاة، ذات الأموات لانصداعها عنهم يوم النشور)[3].

تنبيه: إذا كانت جملة القسم وجملة الجواب كالمبتدأ والخبر، والشرط والجزاء فمعنى ذلك أنه يمكن أن يتعدد الجواب كما يتعدد الخبر، كما فى مثل هذه السورة:

أولا: أقسم الله – عز وجل – فى أول السورة (سورة الطارق) بـ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ ﴾، واختلف فى الجواب، فقيل هو قوله تعالى:﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾، وقيل هو قوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾، **ولذلك فقد يكون للمقسم به الأول: جوابان:**

الأول: قوله تعالى:﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾.

---

(١)لسان العرب، مادة (رجع): ٨/ ١١٤، البحر المحيط: ٨/ ٤٥١– ٤٥٠.

(٢)إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٥/ ٥١٥، وانظر الدر المنثور فى التفسير بالمأثور: ١٥/ ٣٥٣–٣٥٤.

(٣)ينظر لسان العرب، مادة (صدع): ٨/ ١٩٤، القاموس المحيط: ٧٣٦.

الثانى: قوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾ ﴾وما بين القسم والجواب **اعتراض**، وبتعدد الخبر يتأكد جواب القسم، ويتضح التماسك بين المقسم به والمقسم عليه.

وقد يتعدد القسم كما فى سورة الطارق فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴾؛ فكل من الآيتين قسم مستقل بذاته:" ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴾ قسمٌ آخر، أي: تتصدع عن النبات، والشجر، والثمار، والأنهار، نظيره:﴿ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴾[1]. والصَّدعُ: بمعنى الشق؛ لأنه يصدع الأرض، فتصدع به، وكأنَّه قال: والأرض ذات النبات الصادع للأرض[2]."

القسم هنا من صور القسم بصيغة المفرد، ولكنه موصوف بوصف تكررت صورته دون مفرداته **ثلاث مرات، الأولى** فى سورة الذاريات، فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾، **والثانية** فى سورة البروج، فى قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴿١﴾ ﴾ **والثالثة** فى سورة الطارق، فى قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ ﴾.

أما فى الصورة الثانية من القسم فى سورة الذاريات، فبعدما أقسم الله فى أول السورة على إثبات البعث وما يتبعه من جزاء جاء القسم لتأكيد اضطراب أقوالهم وطعنهم فى الدين"وهو كالتذييل لما قبله لأن ما قبله خاص بإثبات الجزاء. وهذا يعم إبطال أقوالهم الضالة فالقسم لتأكيد المقسم عليه[3]."، ويندرج القسم بالسماء ذات الحبك تحت القسم بصيغة المفرد.

* * *

٢- جواب القسم فى المقسم به بصيغة المفرد داخل السور.

أولا: جواب القسم فى القسم الثانى من سورة الذاريات: ورد الجواب بقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ﴿٨﴾ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ﴾ جواب القسم جملة اسمية مثبتة مؤكد بـ (إنَّ واللام)، اختلف العلماء فى المقصود بالقول المختلف، فقيل هو

---

(١)عبس: ٢٦.

(٢)اللباب فى علوم الكتاب:٢٠/ ٢٦٩.

(٣)التحرير والتنوير:٢٦/ ٢٤٠.

أمر القيامة؛ لأن من الكفار من أنكره، ومنهم من شك فيه: "أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق، ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه، فمنهم شاكّ، ومنهم جاحد[1]." أو أن القول المختلف فيما قالوه عن الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم قالوا عنه إنه شاعر وقالوا ساحر، أو مجنون، وقيل إن المقصود بالقول المختلف هو القرآن "يقولون فيه إنه سِحْرٌ وكَهَانَة وأساطير الأولين. وقيل: قَوْلٌ مختلف أي مصدّق ومكذب. وقيل: غير ثابتين على أمر. وقيل: متناقض، تارة يقولون: لا حَشْرَ ولا حَيَاةَ بعد الموت، ثم يقولون: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا على أُمَّةٍ [2]."، وتعبر العناصر التركيبية للسياق عن الحال التى هم فيها؛ حيث اشتمل الجواب على أكثر من مؤكد:

الأول: التأكيد بـ (إنَّ واللام).

الثانى: التأكيد بالظرف (فى)؛ حيث يدل على الانغماس فى التخبط فى الأقوال المختلفة مما يدل على كذبهم وضلالهم، كما يدل على أن أعمالهم سيئة لا يريدون المحاسبة عليها فلذلك ينكرونها.

الثالث: التعبير بالمفرد عن أمر واحد (أمر القيامة) فقال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ ولم يقل أقوالا مختلفة؛ لأنه أمر واحد واختلفوا فيه، وهذا تأكيد آخر؛ **لأن أمر القيامة ليس فيه أقوال مختلفة، إنما هو قول واحد**، وربما يكون تنكير كلمة (قول) لإفادة عموم أقوالهم.

ثانيا: المقسم عليه (جواب القسم) فى القسم الثانى فى سورة الطارق: ورد الجواب فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾، والجواب جملة اسمية مثبتة مؤكدة بـ (إن واللام)، وجاءت كلمة (قول) نكرة لإفادة العموم، والضمير فى قوله تعالى (إنه) **قد يعود** على القسم السابق فى أول السورة وجوابه؛ وما يتبعه من البعث والحساب، وأن هذا الكلام لا هزل فيه، **وقد يعود** على القرآن الكريم، أى أنه كلام الله المنزل

---

(١)الكشاف :٥/ ٦١٠.

(٢)اللباب فى علوم الكتاب: ١٨/ ٦٢.

على رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولأن القرآن تناول البعث من جملة القضايا التى تناولها، وبالتالى يكون كلاهما صحيح.

وتبع الجواب جملة اسمية مثبتة معطوفة بـ (الواو) على جملة الجواب، ولكنها منفية بـ (ما)، وبذلك يكون جواب القسم مؤكدًا بـ (إن واللام) فى الجملة الاسمية المثبتة الأولى، ومؤكدًا بالنفى بـ (ما) فى الجملة المعطوفة عليها، وبذلك يكون الكلام مؤكدًا **بثلاثة مؤكدات**: بـ (إن واللام) والجملة الاسمية الدالة على الثبوت)، "والضمير في (إنه)، قالوا عائد على القرآن. (فصل) أي فاصل بين الحق والباطل، كما قيل له فرقان. وأقول: ويجوز أن يعود الضمير في (إنه) على الكلام الذي أخبر فيه ببعث الإنسان يوم القيامة، وابتلاء سرائره: أي إن ذلك القول قول جزم مطابق للواقع لا هزل فيه، ويكون الضمير قد عاد على مذكور، وهو الكلام الذي تضمن الأخبار عن البعث، وليس من الأخبار التي فيها هزل بل هو جد كله[1]." وعاد الضمير على القرآن فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾[2] "إنه يعنى القرآن (لقول رسول كريم) يعنى جبريل[3]."

٤- عوارض التركيب.

١- عوارض التركيب فى القسم بصيغة المفرد فى القسم الثانى فى سورة الذاريات:

حذف فعل القسم: حذف فعل القسم وتقديره أقسم فى الموضعين (فى سورة الذاريات، وسورة الطارق). ومن الملاحظ عدم الفصل بين القسم وجوابه للدلالة على أن أقوالهم لا تحتاج إلى وقت أو كثير عناء للفصل فيها؛ فهى أقوال متناقضة.

٢- عوارض التركيب فى القسم بصيغة المفرد فى القسم الثانى فى سورة الطارق:

- **تكرر القسم** بالسماء فى هذه السورة مرتين، فى أول السورة أقسم الله بالسماء

(١)البحر المحيط:٨/ ٤٥١، وانظر اللباب فى علوم الكتاب:٢٠/ ٢٦٦، مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٣١/ ١٣٤.

(٢)الحاقة: ٤٠.

(٣)اللباب فى علوم الكتاب:١٩/ ٣٤١، وانظر الكشاف: ٦/ ٢٠٣، وروح المعانى: ٢٩/ ٥٢.

بلا وصف، وفى هذه الصورة وصف الله السماء بأنها ذات الرجع، ووصف الله السماء فى أقسام أخرى بأوصاف مختلفة، حيث وصفها بأنها ذات الحبك، فى سورة الذاريات، ووصفها بأنها ذات البروج فى سورة البروج، وفى هذه الصورة وصف الله السماء بأنها ذات الرجع، فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾[1].أما فى سورة الذاريات فمن جملة التفاسير التى تكررت عند علماء التفسير للحبك والبروج بأنها النجوم بالإضافة إلى تفسيرات أخرى، وهى من ثوابت خلق الله فى السماء العليا، أما فى هذا القسم فالمقصود بالرجع: ما نزل من السماء، سواء كان هذا هو المطر، أو الملائكة. وأقسم الله بالسماء فى سورة الشمس، فى قوله تعالى: ﴿ **وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا** ﴾[2].

- **العدول بالنفى فى جواب القسم**: عدل بالنفى فى جواب القسم فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴾[3]، حيث جاءت جملة الجواب اسمية مثبتة مؤكدة بـ (إن واللام) ثم عطف عليها جملة اسمية منفية بـ (ما) وهذا النفى لزيادة التأكيد. وانتفاء الهزل فى كلام الله عز وجل.

- تكرار قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ ﴾ فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾[4] وفى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾[5] وفى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴾[6] حيث وقعت هذه الجملة جوابًا للقسم فى **المرات الثلاث**، وجمعت بين أكثر من مؤكد:

الأول: أنها جملة اسمية دالة على الثبوت.

---

(١)الطارق: ١١.
(٢)الشمس: ٥.
(٣)الطارق: ١٤.
(٤)الحاقة: ٤٠.
(٥)التكوير: ١٩.
(٦)الطارق: ١٣.

الثانى: أنها مؤكدة ب (إنَّ) و(اللام).

الثالث: أنها أكدت نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

الرابع: أكدت صدق الرسالة وفصلها بين الجد والهزل.

المقسم (المتكلم): المقسم به (المتكلم) فى القسم الثانى فى سورة الذاريات، وفى القسم الثانى فى سورة الطارق: هو الله عز وجل.

المخاطب بالقسم: **يشير المخاطب بالقسم فى القسم الثانى فى سورة الذاريات** إلى كفار مكة خاصة، كما يشمل عامة المسلمين "كما أن جواب القسم السابق يشملهما، واختلافهم كونهم مؤمناً بالرسول صلى الله عليه وسلم وكتابه وكافرًا[1]." **المخاطب بالقسم فى القسم الثانى فى سورة الطارق** هم كفار مكة – أيضًا – وغيرهم بدليل مرجع الضمير فى قوله تعالى: "(إِنَّهُمْ) يعني أهل مكة يعملون المكايد في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق، وأنا أقابلهم بكيدي: من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم[2]."

الغرض من القسم.

الغرض من القسم فى سورة الذاريات: إثبات صدق النبى – صلى الله عليه وسلم – وصدق القرآن وما جاء فيه من إخبار عن يوم القيامة، "أي: يا أهل مكة، (لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) في القرآن وفي محمد صلى الله عليه وسلم، تقولون في القرآن: سحر وكهانة وأساطير الأولين، وفي محمد صلى الله عليه وسلم: ساحر وشاعر ومجنون. وقيل: "لفي قول مختلف" أي: مصدق ومكذب[3]." ، **أما الغرض من القسم فى سورة الطارق فهو** إثبات البعث؛ لأن كل أعمال الإنسان تكتب وسيحاسب عليها يوم القيامة.

---

(١)البحر المحيط: ٨/ ١٣٣.

(٢)الكشاف:٦/ ٣٥٥، وانظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ٥١٥، روح المعانى:٣٠/ ١٠٠.

(٣)معالم التنزيل:٧/ ٣٧٢.

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه.

١- المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى القسم الثانى فى سورة الذاريات: وصف الله السماء فى أقسام القرآن فى مواضع أخرى بأوصاف مختلفة (والسماء ذات البروج – والسماء ذات الرجع)، ووصفها هنا بأنها (ذات الحبك)، فما المناسبة بين القسم وجوابه؟ كما ورد فى الدلالة المعجمية لكلمة الحبك: أنها الطرائق، والجواب قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ فهناك مناسبة بين ارتفاع السماء وطرائقها المختلفة وارتفاع أصواتهم وتعاليها واختلافها سواء فى حكمهم على الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو فى القرآن الكريم أو فى يوم القيامة والحساب، وهذا من الاتساع فى المعنى؛ فقد يكون المراد أنهم كانوا مختلفين ومتناقضين فى أقوالهم فى هذه الأمور كلها "**ومناسبة هذا القسم للمقسم عليه** في وصف السماء بأنها ذات حُبُك، أي طرائق لأن المقسم عليه: إن قولهم مختلف طرائق قِدداً ولذلك وصف المقسم به ليكون إيماء إلى نوع جواب القسم[(١)]."، وقيل إن المناسبة بين القسم وجوابه هو "تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي أغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف هيآتها، أو الإشارة إلى أنها ليست مستوية جيدة، أو ليست قوية محكمة، أو ليس فيها ما يزينها بل فيها ما يشينها من التناقض[(٢)]."، وكأن أقوالهم بعيدة عن الحقيقة بعد السماء عن الأرض.

٢- المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى القسم الثانى فى سورة الطارق: أقسم الله – عز وجل – بالسماء ووصفها هنا بأنها ذات الرجع، أى المطر، وذكر المطر لما فيه من الفوائد لكافة المخلوقات، فهو الغيث الذى يغيث أهل الأرض وبه أخرج الله من الثمرات والرزق ما لا تحصى فوائده، حيث قال تعالى:
– ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾[(٣)].

---

(١)التحرير والتنوير: ٢٦/ ٣٤٠.
(٢)روح المعانى:٢٧/ ٥.
(٣)البقرة: ٢٢.

- ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾[1].

- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[2].

- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[3] فالمقسم به هو الغيث من السماء الذى يحيى الله به الأرض ويخرج منها من النبات والثمار ومما ينفع الناس، فهو غيث من السماء إلى الخلق فى الأرض، والمقسم عليه (القرآن) هو أيضا غيث لأهل الأرض من رب السماء، غيث فى الهداية والمعيشة الطيبة ليس فى الدنيا فقط كغيث المطر وإنما فى الدنيا والآخرة، "وافتتح الكلام بالقسم تحقيقا لصدق القرآن في الإخبار بالبعث وفي غير ذلك مما اشتمل عليه من الهدى. ولذلك أعيد القسم بـ(السماء) كما أقسم بها في أول السورة، وذكر من أحوال السماء ما له مناسبة بالمقسم عليه، وهو الغيث الذي به صلاح الناس، فإن إصلاح القرآن للناس كإصلاح المطر. وفي الحديث: (مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثَلِ الغيث الكثير أصاب أرضا)[4] الحديث. وفي اسم الرجع مناسبة لمعنى البعث في قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾[5] وفيه محسن الجناس التام وفي مسمى الرجع وهو المطر المعاقب لمطر آخر مناسبة لمعنى الرجع البعث فإن البعث

---

(١)النحل: ٦٥.

(٢)الروم: ٢٤.

(٣)الزمر: ٢١.

(٤)صحيح البخارى، كتاب بدء الوحى (٢٠- باب فضل من علم وعلم) : ١/ ٤٢ ، الحديث: "عن أبي بُرْدَةَ عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثم مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقِه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به".

(٥)الطارق: ٨.

حياة معاقبة بحياة سابقة. وعطف (الأرض) في القسم لأن بذكر الأرض إتمام المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه كما علمت من المثل الذي في الحديث. و(الصدع): الشق، وهو مصدر بمعنى المفعول، أي المصدوع عنه، وهو النبات الذي يخرج من شقوق الأرض، قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾[1] ولأن في هذين الحالين إيماء إلى دليل آخر من دلائل إحياء الناس للبعث فكان في هذا القسم دليلان. والضمير الواقع اسما لـ (إن) عائد إلى القرآن وهو معلوم من المقام[2]." "مناسبتها لما قبلها من أوجه:

١- أنه ابتدأ هذه بالقسم بالسماء كما بدأ السابقة بالحلف بها.

٢- أنه ذكر في السابقة تكذيب الكفار للقرآن، وهنا وصف القرآن بأنه قول فصل وما هو بالهزل، ردًا على أولئك المكذبين.

٣- أنه ذكر في هذه وعيد الكافرين بقوله: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تسلية الرسول للنبي - صلى الله عليه وسلم، كما ذكر فى السابقة وعيد أصحاب الأخدود[3]."

٣- الدليل على صدق الجواب.

١- الدليل على صدق الجواب فى القسم الثانى فى سورة الذاريات: كما ذكر كثير من علماء التفسير- رضى الله عنهم أجمعين -أن المقصود بالقول المختلف **ثلاثة أمور** وهى (الرسول صلى الله عليه وسلم - القرآن الكريم - يوم القيامة)، فإنه يتضح أنهم كانوا يعلمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق، فهم الذين سموه الصادق الأمين، ولكنهم ينكرون ذلك: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[4] فجحودهم وعنادهم جعلهم

---

(١)عبس: ٢٥ - ٢٩.

(٢)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٦٦، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ٥١٥.

(٣)تفسير حدائق الروح والريحان فى روابى علوم القرآن: ٣١/ ٣١٥.

(٤)الأنعام: ٣٣.

يقولون هذه الأقاويل، وجاء الدليل على صدق الجواب فى سورة الذاريات سابقا للقسم؛ لأن هذه الصورة من القسم جاءت تالية لقسم سابق فى أول السورة، وكان الغرض منه إثبات البعث "أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق، ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه، فمنهم شاكّ، ومنهم جاحد. ثم قال: يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك[1]."وقال الله تعالى عنهم:﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾[2]، وقال تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾[3]ولكنهم تولوا ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴾[4].

وجاءت أدلة أخرى لاحقة للقسم تثبت صدق الجواب فى السورة نفسها، وأن هذا دأب الأمم السابقة مع أنبيائهم، فى قوله تعالى:﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴾[5] ولكن الله – عز وجل – نفى عن رسوله – صلى الله عليه وسلم – هذه الأكاذيب، فى سياق السورة التالية لسورة الذاريات (سورة الطارق) فقال تعالى:﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴾[6] وقال الله تعالى عن رسوله:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[7] وفى سورة المدثر فى قوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴾[8].

---

(١)الكشاف: ٥/ ٦١٠.
(٢)ص: ٤.
(٣)الصافات: ٣٦.
(٤)الدخان: ١٣ – ١٤.
(٥)الذاريات: ٥٢.
(٦)الطور: ٢٩.
(٧)النجم: ٣ –٤.
(٨)المدثر: ١٨ – ٢٥.

٢- الدليل على صدق الجواب فى القسم الثانى فى سورة الطارق: أقسم الله بالقرآن، فقال تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾[٢] وهنا أقسم الله – عز وجل - على أن القرآن قول فصل، يفصل بين الحق والباطل، هو الجد ليس بالهزل، والأدلة على ذلك كثيرة تبدأ منذ نزول القرآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وجاء سياق القسم بأن القرآن حق، وأن ما فيه قول فصل، بعد أن أنكر الكفار البعث فذكرهم ببداية خلقهم، وأن الإنسان خلق من ماء دافق، وحدد مكان هذا الماء، والتقائه بماء المرأة: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ مما يؤكد أن الله الذى خلق الإنسان هو القادر على أن يبعثه ثم يحاسبه على ما قدم من أعمال، ويخرج ما كان يخفيه من أسرار، وعندئذ فلن يجد الإنسان معينا ولا ناصرا من دون الله ، وأن هذه الحقائق التى كذب بها الكفار، وقالوا عن القرآن ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾[٣]، فرد الله عليهم بأن هذا قول فصل، أى فاصل بين الحق والباطل، مبين لما أنكروه، وأكد ذلك بنفى الهزل عنه، وأن القرآن حق، وما أخبر عنه من البعث والحساب ليس هزلا، وإنما هو حقيقة.

كما جاء القرآن بسؤال عن قول الكفار بأن القرآن سحر، فقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾[٤] وهو رد على استفهام استنكارى كأنهم قالوا هذا سحر فنفى ذلك وجاء بالاستفهام السابق، وكما جاء بالسؤال – جاء بالإجابة على سؤالهم أن البعث مجرد هزل[٥]. فجاء الجواب هنا ردًا على هذه الأسئلة وغيرها ليؤكد البعث والحساب، وجاء للإجابة على

---

(١)يس: ١ – ٢.

(٢)الزخرف: ١ – ٢.

(٣)المدثر: ٢٥.

(٤)يونس: ٧٧.

(٥)ورد إنكار البعث فى أكثر من آية فى القرآن الكريم، كما فى سورة الإسراء:٤٩، ٩٨،وسورة هود:٧، وسورة المؤمنون :١٢– ١٦، ٣٧، وسورة الصافات:١٦–١٧، وسورة الواقعة:٤٧–٥٠، وسورة النازعات:١١–١٢.

استنكارهم أن القرآن حق وكفروا به ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[1]. ومن الأدلة على صدق الجواب، قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾[2] "فبُين للسامع أن عملهم ذلك كيد مقصود. فهم يتظاهرون بأنهم ما يصرفهم عن التصديق بالقرآن إلا ما تحققوه من عدم صدقه، وهم إنما يصرفهم عن الإيمان به الحفاظ على سيادتهم فيضللون عامتهم بتلك التعللات الملفقة، والتأكيد بـ(إنَّ) لتحقيق هذا الخبر لغرابته، وعليه فقوله: (وأكيد كيداً) تتميم وإدماج وإنذار لهم حين يسمعونه. ويجوز أن يكون قوله: (إنهم يكيدون كيداً) موجهاً إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تسلية له على أقوالهم في القرآن الراجعة إلى تكذيب من جاء بالقرآن. أي إنما يدَّعون أنه هزل لقصد الكيد وليس لأنهم يحسبونك كاذباً على نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[3]."[4]

القسم باسم من أسماء القسم (لعمرك).

استعمل العرب فى القسم أسماء كثيرة، منها عمر ويمين، وحق، وذكرها سيبويه تحت عنوان (هذا باب ما يعمل بعضه فى بعض وفيه معنى القسم)[5]، وأشار إليها الدكتور تمام حسان بأنها (ألفاظ) تأتى مثل حروف القسم وضمها إلى حروف القسم: "وأحرف القسم هى الباء والتاء والواو ومعها ألفاظ مثل أيمن وأيم[6]." وورد فى القرآن الكريم (عمر) فى قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[7]،

---

(١)الزخرف: ٣٠ – ٣١، وسورة الأحقاف:٧، ٨، ١٢.
(٢)الطارق: ١٥ – ١٧.
(٣)الأنعام: ٣٣.
(٤)التحرير والتنوير:٣٠/ ٢٦٧.
(٥)الكتاب:٣/ ٥٠٢.
(٦)الخلاصة النحوية للدكتور تمام حسان: ١٤٨.
(٧)الحجر: ٧٢.

"أقسم الله تعالى ها هنا بحياة محمد، صلى الله عليه وسلم، تشريفا له أن قومه من قريش فى سكرتهم يعمهون، وفى حيرتهم يترددون[1]."

العناصر التركيبية:

١- أقسم الله هنا بالاسم (عمر)، وهو كحروف القسم " والعُمُرُ والْعَمْرُ واحد لكن خُصَّ القَسَمُ بِالْعَمْرِ دون العُمُر نحو: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ وعمّرك اللهّ، أي: سألت اللهّ عمرك، وخصّ هاهنا لفظ عمر لما قصد به قصد القسم[2]."

٢- المقسم به: قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ أقسم الله - عز وجل - بذاته، وأقسم بكتابه (القرآن – الكتاب) وأقسم هنا بحياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكلها أقسام جمعت بين التشريف والتعظيم للمقسم به وبين تناسبها مع المقسم عليه، والمقصود به عمر الرسول - صلى الله عليه وسلم – وليس هناك أحد استغل عمره فى الدعوة إلى الله كما فعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - لذا استحق أن يقسم الله - عز وجل - بعمره، ولم يقسم الله بحياة إلا بحياة الرسول - صلى الله عليه وسلم – واللام فيه هى لام القسم، وقيل لام الابتداء، ومعنى (لعمرك) أى لحياتك، وهو مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: قسمى، أى حياتك قسمى، والمراد: أقسم بحياتك، والعَمْر، والعُمْر، والعُمُر) بنفس المعنى، ولا يستعمل فى القسم منه إلا (العَمر) بالفتح"وهو البقاء إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف؛ لأن الحلف كثير الدوران على ألسنتهم، ولذلك حذفوا الخبر كما حذفوا الفعل فى قولهم: تالله[3]." والقسم بعمر النبى فيه ملمح بيانى يؤكد خلود ذكره وبركة عمره - صلى الله عليه وسلم – أبد الدهر، وليس الأمر قاصرًا على حال حياته المعروفة بثلاثة وستين عاما فقط، ولكن بيان قيمة عمره ومكانته إلى يوم القيامة، فليس كما يقسم

---

(١)الجامع لأحكام القرآن للقرطبى: ١٠ / ٢٢٨.
(٢)المفردات فى غريب القرآن، مادة (عمر): ٣٤٧، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢/ ٧٥٦.
(٣)تفسير حدائق الروح والريحان:١٥/ ١٠٢.

بعضنا اليوم بحياة أبيه أو برحمته أو غير ذلك من الأقسام التى نهى عنها النبى صلى الله عليه وسلم.

٣- المقسم عليه(جواب القسم): أقسم الله عز وجل بعمر النبى صلى الله عليه وسلم على أن قومه من قريش فى سكرتهم يعمهون وفى حيرتهم يترددون[١]، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، والجواب جملة اسمية مؤكدة بـ(إن واللام)، والمراد بالضمير (هم) فى قوله تعالى: (سكرتهم) هم قوم سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -لأنه هو المخاطب بالقسم، واختيار الظرف (فى) المسبوق بـ (اللام) للدلالة على انغماسهم فى سكرتهم، وهى ظرفية مجازية، ودلت صيغة الفعل المضارع (يعمهون) على الاستمرار والتجدد، أى استمرار دعوة النبى - صلى الله عليه وسلم - لهم واستمرارهم فى العناد وعدم الاستجابة، والسَّكر بفتح السين: الغيظ والغضب، وهى حالة تحول بين المرء وعقله: السكر حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب، وقد يعتري من الغضب والعشق.[٢]" تكررت مادة (سكر) فى القرآن **الكريم سبع مرات فى ستة مواضع**[٣]. **والعَمَهُ**: "التَّرَدُّدُ في الضلالة والتحير في مُنازعة أَو طريق...العَمَهُ في البصيرة كالعمى في البصَر. ورجل عَمِهٌ عامِهٌ أَي يتَرَدُّدُ مُتَحيِّراً لا يهتدي لطريقه ومَذْهَبِه، والجمع عَمِهون وعُمَّهٌ. وقد عَمِه وعَمَه يَعْمَهُ عَمَهاً وعُمُوهاً وعُمُوهةً وعَمَهاناً إذا حادَ عن الحق[٤]."

---

(١)ينظر الجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ٢٢٨.

(٢)المفردات فى غريب القرآن، مادة (سكر): ٢٣٦، لسان العرب:٤/ ٣٧٢، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢/ ٦٨٧.

(٣)فى سورة النساء: ٤٣، الحجر: ١٥ ، الحجر: ٧٢ ،الحج: ٢، النحل: ٦٧ ،ق: ١٩.

(٤)لسان العرب، مادة (عمه):١٣/ ٥١٩، المفردات فى غريب القرآن:٣٤٨، تكرر الفعل (يعمهون) فى القرآن الكريم سبع مرات فى سبعة مواضع، فى سورة البقرة: ١٥، الأنعام: ١١٠، الأعراف: ١٨٦، يونس: ١١، الحجر: ٧٢، المؤمنون: ٧٥، النمل: ٤.

عوارض التركيب:

- القسم هنا من الأقسام التى لم يفصل فيها بين المقسم به وجوابه بفاصل، وهو يشبه القسم بالعصر؛ لأن كلايهما قسم بالزمان.

- حذف الخبر وجوبًا، وتقديره: حياتك أو عمرك قسمى.

- القسم وجوابه هنا جملة اعتراضية فى قصة قوم لوط "للعبرة في عدم جدوى الموعظة فيمن يكون في سكرة هواه. [1]" وللاعتراض هنا أكثر من معنى، حيث يعنى أن الأمر المعترض به فى قصة قوم لوط أمر مهم، وزاد من أهميته أنه قسم وقسم بعمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – مما يزيد انتباه السامع.

– **المقسم (المتكلم)**: المقسم فى هذا الموضع هو الله عز وجل، ويتضح من اختيار القسم بعمر الرسول – صلى الله عليه وسلم أن الله (المتكلم) يحظى عنده المخاطب بمكانة عالية، ويتضح أيضا علمه بحاله فأقسم بعمره تسلية وتثبيتًا له؛ وليعلمه أن ما يفعله كفار قريش معه هو دأب الظالمين على مر العصور، واختيار القسم فى سياق قصة قوم لوط يعنى أن كفار قريش لا يختلفون كثيرا عنهم فى بشاعة المعاملة مع رسولهم.

– **المخاطب بالقسم**: هو الرسول – صلى الله عليه وسلم – لقرينة لفظية، وهى كاف الخطاب؛ لأن جملة القسم هنا معترضة فى سياق قصة سيدنا لوط – عليه السلام –"أكثر المفسرين من السلف والخلف – بل لا يعرف عن السلف فيه نزاع – أن هذا قسم من الله بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم." [2]، ويؤكد سياق السورة على أن الخطاب للنبى محمد صلى الله عليه وسلم، حيث وصفه قومه فى أول السورة بالجنون وطلبوا منه أن يأتيهم بالملائكة: ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ

(١)التحرير والتنوير:١٤/ ٦٧.
(٢)التبيان فى أيمان القرآن:٦٤٩.

إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴾[1] "وكان التقدير أنهم في خبط بعيد عن السنن في طلبهم إتيان الملائكة كما كان قوم لوط عليه السلام يقصدون الالتذاذ بالفاحشة بمن مكن من هلاكهم، فشتان ما بين القصدين! وهيهات لما بين الفعلين! فصار المعنى أن ما قذفوك به أول السورة بهم لا بك، لأن من يطلب إتيان الملائكة - مع جواز أن يكون حاله حال قوم لوط عليه السلام عند إتيانهم هو المجنون."[2]، ويبين السياق فى منتصف السورة الأنباء التى ذكرها الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - حيث قال تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾[3]، ثم تفصل الآيات قصة قوم لوط، ثم قصة أصحاب الأيكة تسلية للنبى - صلى الله عليه وسلم - حتى يخفف عنه إيذاء قومه له، ومما يؤكد أن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم هو **التنوع فى صيغ الأفعال فى السياق نفسه، حيث جاءت** صيغة الفعل المضارع (يعمهون) الدال على الاستمرار والتجدد، فى إشارة إلى قوم النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - أما ما فى الحديث عن قوم لوط فجاء بصيغة الماضى فى قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴾[4]، فالأفعال الماضية (فأخذنا - فجعلنا - وأمطرنا) هنا تؤكد انتهاء الحدث بالنسبة لقوم لوط وإنما ورد القسم فى سياق قصتهم مع الفعل المضارع للدلالة على استمرار عناد قوم سيدنا محمد وللعبرة من قصة قوم لوط.

- **الغرض من القسم**: تقرير أمر النبوة، واستغلال العمر فيما يرضى الله عز وجل، والله أعلم.

- **المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه**: أقسم الله - عز وجل - بحياة الرسول -

---

(١)الحجر: ٦ - ٨.

(٢)نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور: ٤/ ٢٣١.

(٣)الحجر: ٤٩ - ٥١.

(٤)الحجر: ٧٣ - ٧٤.

صلى الله عليه وسلم - على انغماس قوم لوط ومن شاكلهم على مر العصور فى التخبط والتحير لعدم استغلال عمرهم فى طاعة الله، بل كانوا فى سكرة، واختيار لفظ (سكرة، ويعمهون) معبر عن المقام الذى هم فيه "لأن العشق له سكرة مثل سكرة الخمر وأشد.[1]" ، ومن لم يستغل عمره فى الطاعة فهو فى سكرة سواء أكان من قوم لوط أم من غيرهم **"والمناسبة بين طرفى القسم** من هذا الوجه تقوم على التضاد بين الرفعة والشرف والنقاء والطهارة والخلق العظيم، وهو ما يعبر عنه المقسم به، والانحطاط والخسة والحقارة والخلق الدنىء وهو ما يشير إليه المقسم عليه[2]."

- **الدليل على صدق الجواب**: ورد فى سياق السورة ما يدلل على أن كفار قريش لا يزالون فى تخبطهم وترددهم، فورد فى السياق نماذج من الأمم السابقة التى أهلكهم الله بذنوبهم، حتى يرجعوا عما هم فيه من إيذاء للنبى - صلى الله عليه وسلم - فذكر الله قصة أصحاب الأيكة، فقال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[3] إلى أن قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4]، وهو قسم آخر فى سياق السورة تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم، وتهديدا لهؤلاء الذين لا يزالون فى سكرتهم يعمهون.

---

(١)التبيان فى أيمان القرآن: ٦٥٠.

(٢)القسم فى القرآن الكريم – دراسة بلاغية: ٢/ ٤٧٤-٤٧٥.

(٣)الحجر: ٧٨ - ٨٤.

(٤)الحجر: ٩٢ - ٩٣.

المبحث الثالث

القسم بصيغة المفرد بعد الحروف المقطعة وعلاقته بالسياق

يلاحظ فى **القسم بصيغة المفرد بعد الحروف المقطعة** أن المقسم به هو (القرآن، والكتاب، والقلم) **فهل** هذا يشير إلى أن الحروف المقطعة - وهى أربعة عشر حرفا – هى وباقى الحروف الأخرى هى التى جاءت بها كلمات القرآن المقروء أو الكتاب المكتوب بالقلم الذى أقسم به الله - عز وجل – ليتحدى الله به العرب وغيرهم أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور أو بآية من مثله؟ الله أعلم.

كما يلاحظ أيضًا أن المقسم به حاء موصوفا بصفات مطابقة للموصوف (المقسم به)، حيث جاءت كلها معرفة بـ (أل) ومذكرة، ومجرورة، ومفردة، فى أربعة مواضع فى سورة (يس)، فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[1] وفى سورة (ص) فى قوله تعالى: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾[2] وفى سورة (الزخرف، وسورة الدخان) فى قوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾[3]، كما جاء معرفا بـ (ذى الذكر) فى سورة (ص) وبقوله تعالى: (وما يسطرون) فى سورة (القلم).

ويلاحظ فى الأقسام التى جاءت بصيغة المفرد بعد الحروف المقطعة أن المقسم به فيها هو (القرآن، والكتاب، والقلم) فى المواضع الستة، مما يشير إلى أن الأقسام التى أقسم بها الله – عز وجل - فى هذه المواضع بينها تناسب فالقرآن هو الكتاب ويكتب بالقلم، فإلى جانب تشريف هذه الثلاثة بالقسم ففيها أيضا تحد واضح لكتابة مثل

---

(١)يس: ٢.

(٢)ص: ١.

(٣)الزخرف: ١ – ٢، وسورة الدخان.

هذا الكتاب، أو وجود كلام مكتوب يقرأ بمثل أحكامه فى القراءة مع توفر الأدوات اللازمة لذلك، وهى الحروف مثل (يس، و ص، وحم، وق، ون) ووجود القلم الذى يكتب به، كما يشمل كل ما ينفع الخلق فى الدنيا والآخرة. والله أعلم.

ويلاحظ أيضًا أن هذه الأقسام جاءت متفقة مع المقام والسياق الذى وردت فيه، حيث كان الغرض منها إثبات أمر النبوة، وأن النبى - صلى الله عليه وسلم – مرسل من ربه، أو إثبات صدق الكتاب، فأقسم الله - عز وجل - بما هو مناسب لما ينكرونه ليتحداهم وليثبت عظمة الكتاب ومكانة النبى صلى الله عليه وسلم.

وجاءت العناصر التركيبية فى هذه الأقسام كما يلى:

حرف القسم: اتفقت هذه الأقسام فى أن جاء معها حرف قسم واحد، هو الواو.

١ - المقسم به فى أول سورة يس: أقسم الله - عز وجل - فى أول هذه السورة بالقرآن الحكيم بعد حرفين من الحروف المقطعة هما (يس)، وسميت هذه السورة بهذين الحرفين، وسبب نزول الآيات الأولى منها ما ورد "عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في السجدة فيجهر بالقراءة حتى تأذى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم وإذا بهم عمى لا يبصرون فجاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ننشدك الله والرحم يا محمد. فدعا حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[1] إلى قوله: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠﴾ قال فلم يؤمن من ذلك النفر أحد[2]."

وورد فى المراد بهذين الحرفين أقوال كثيرة، منها أن "معناه يا إنسان في لغة طيىء والله أعلم بصحته وإن صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين فكثر النداء به على

---

(١)يس: ١ - ٢.

(٢)أسباب النزول للسيوطى:٢١٨.

ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم: م الله في أيمن الله «الحكيم» ذي الحكمة. أو لأنه دليل ناطق بالحكمة كالحي. أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به[1]."

المقسم به هو قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[2] أقسم الله - عز وجل - بلفظ القرآن فى ثلاثة مواضع فى القرآن الكريم، فى قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾[5] وبلفظ الكتاب فى موضعين، فى قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾[6]، وفى القسم فى (سورة يس) وصف الله القرآن بـ(الحكيم)، كما وصف ذاته وكتابه بـ(الحكيم) أيضًا فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم[7]، وجاء القسم بالقرآن موصوفا بوصف من الأوصاف الآتية: بـ (الحكيم) فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[8] وبـ (ذى الذكر) فى قوله

---

(١)الكشاف:٥/ ١٦٤.

(٢)يس: ٢.

(٣)يس: ١ - ٢.

(٤)ص: ١.

(٥)ق: ١.

(٦)الزخرف: ١ - ٢، الدخان: ١ - ٢.

(٧)تكررت كلمة حكيم والحكيم فى القرآن الكريم منكرة ومعرفة **سبعا وتسعين مرة** فى (سورة البقرة:٣٢، ١٢٩، ٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٦٠- آل عمران :٦، ١٨، ٥٨، ٦٢، ١٢٦- النساء: ١١، ١٧، ٢٤، ٢٦، ٥٦، ٩٢، ١٠٤، ١١١، ١٣٠، ١٥٨، ١٦٥، ١٧٠- المائدة: ٣٨، ١١٨ - الأنعام: ١٨، ٧٣، ٨٣، ١٢٨، ١٣٩ - الأنفال: ١٠، ٤٩، ٦٣، ٦٧، ٧١- التوبة: ١٥، ٢٨، ٤٠، ٦٠، ٧١، ٩٧، ١٠٦، ١١٠ - يونس: ١- هود: ١- يوسف: ٦، ٨٣، ١٠٠- إبراهيم: ٤- الحجر: ٢٥- النحل: ٦٠ - الحج: ٥٢، النور: ١٠، ١٨، ٥٨، ٥٩ - النمل: ٦، ٩ - العنكبوت: ٢٦، ٤٢ - الروم:٢٧ - لقمان:٢، ٩، ٢٧ - الأحزاب:١ - سبأ: ١، ٢٧فاطر:٢ - يس :٢ - الزمر:١- غافر:٨ - فصلت:٤٢- الشورى:٣، ٥١ -الزخرف:٤، ٨٤ - الدخان:٤ - الجاثية:٢، ٣٧- الأحقاف:٢ - الفتح:٤، ٧، ١٩- الحجرات: ٨ - الذاريات: ٣٠ - الحديد: ١ - الحشر: ١، ٢٤، الممتحنة: ٥، ١٠- الصف:١- الجمعة:١، ٣- التغابن:١٨- التحريم:٢- الإنسان:٣٠)..

(٨)يس: ٢.

تعالى: ﴿ صٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾[1] وبـ (المجيد) فى قوله تعالى: ﴿ قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾[2]، ولم أجد فى القرآن الكريم أن كلمة (الحكيم) جاءت وصفا إلا للقرآن ولله عز وجل[3].

ووردت كلمة الحكيم **وصفا للكتاب** فى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[7] ويوصف الله بالحكيم لأنه يعرف الأشياء وأوجدها فى غاية الإحكام، وقد يوصف الإنسان بالحكمة لمعرفته بالموجودات وفعل الخيرات، وخص الله بعض خلقه بأن آتاه الحكمة، مثل آل سيدنا إبراهيم عليهم السلام: ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا ﴾[8]، وغيره من الأنبياء الذين وصفوا بالحكمة[9].

ووصفت **سنة الرسول** – صلى الله عليه وسلم – بالحكمة فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ

---

(١)ص: ١.

(٢)ق: ١.

(٣)ووصف الله ذاته بالحكيم فى القرآن الكريم فى سورة البقرة فى الآيات ٣٢، ١٢٩، ٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٦٠، وفى سورة آل عمران فى الآيات ٦، ١٨، ٦٢.

(٤)آل عمران: ٥٨.

(٥)يونس: ١.

(٦)لقمان: ٢.

(٧)الزخرف: ٤.

(٨)النساء: ٥٤.

(٩)كما فى المواضع التالية فى القرآن الكريم (البقرة: ١٥١، ١٢٩، ٢٥١، آل عمران: ٤٨، ١٦٤، المائدة: ١١٠، النحل: ٢٥، لقمان: ١٢، ص: ٢٠، الزخرف: ٦٣، الجمعة: ٢).

نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1].كما أن الله يؤتى الحكمة من يشاء من عباده: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[3].

والحكيم: ومن معانى الحكيم (المنع والإصلاح): "منع منعا لإصلاح... والحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله عز وجل ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾[4] ونبه على جملتها بما وصفه بها. فإذا قيل في الله تعالى هو حكيم فمعناه بخلاف معناه إذا وصف به غيره، ومن هذا الوجه قال الله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[5] وإذا وصف به القرآن فلتضمنه الحكمة نحو ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[6]." [7]ويأتى بمعنى حاكم، ومُحْكِم: "فَهو فعِيلٌ بِمَعْنَى فاعِلٍ، أَوْ هُوَ الَّذِي يُحْكِمُ الأَشياءَ وَيُتْقِنُهَا، فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفْعِلٍ، وَقِيلَ: الحَكِيمُ ذُو الحِكمة، والحِكْمَةُ عِبَارَةٌ عَنْ مَعْرِفَةِ أَفْضَلِ الأَشياء بِأَفْضَلِ العُلُوم. وَيُقَالُ لِمَنْ يُحْسِنُ دَقَائِقَ الصِّناعات ويُتقنها: حَكِيمٌ، والحَكِيمُ يَجُوزُ أَن يَكُونَ بِمَعْنَى الحاكِمِ مِثْلَ قَدِير بِمَعْنَى قَادِرٍ وعَلِيم بِمَعْنَى عالِمٍ... وَرَجُلٌ حَكِيمٌ: عَدْلٌ حَكِيمٌ. وأَحْكَمَ الأَمر: أَتقنه، وأَحْكَمَتْه التجارِبُ عَلَى المَثَل، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذا كَانَ حَكِيمًا: قَدْ أَحْكَمَتْه التجارِبُ. وَالْحَكِيمُ: المُتْقِنُ

---

(١)البقرة: ٢٣١.
(٢)البقرة: ٢٦٩.
(٣)فصلت: ٤٢.
(٤)لقمان: ١٢.
(٥)التين: ٨.
(٦)يونس: ١.
(٧)المفردات فى غريب القرآن، مادة (حكم): ١٢٦-١٢٧.

للأُمور... وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1] فإن التَّفْسِيرَ جَاءَ: أُحْكِمَتْ آياتُهُ بالأَمر وَالنَّهي والحلالِ والحرام ثُمَّ فُصِّلَتْ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، قَالَ: وَالْمَعْنَى، وَاللهُ أَعلم، أَن آيَاتِهِ أُحْكِمَتْ وفُصِّلَتْ بِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِليه مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى تَوْحِيدِ اللهَّ وَتَثْبِيتِ نُبُوَّةِ الأَنبياء وَشَرَائِعِ الإِسلام، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللهَّ عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾[2] وقال بعضهم في قول الله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ إنه فَعِيل بمعنى مُفْعَلٍ[3]." **ووصف القرآن بالحكيم** يعنى أنه صفة للمتكلم به: "الحكيم ذي الحكمة، أو لأنه دليل ناطق بالحكمة كالحي، أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به[4]." وتعريف الحكيم بـ (أل) يعنى أنه حكيم فى بدايات السور ونهاياتها ووسطها وفى أساليبه وموضوعاته، وقصصه، ومناهجه، وفى المتشابهات منه، وفى أحكامه، وأنه معجز وحكيم فى كل وجوهه.

والقرآن مصدر قرأ، وهو اسم علم على القرآن الكريم، أما الكتاب فيطلق على القرآن وعلى كتب أخرى غيره: "وسمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها وقوله تعالى ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾[5]... وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران. قال: وقد يطلق على الصلاة لأن فيها قراءة، تسمية للشيء ببعضه، وعلى القراءة نفسها، يقال: قرأ يقرأ قراءة وقرآنا. والاقتراء. افتعال من القراءة. قال: وقد تحذف الهمزة منه تخفيفا، فيقال: قران، وقريت، وقار، ونحو ذلك من التصريف[6]." وهو الكتاب الذى اختص بالقراءة بلا كتاب: "والمعنى:

---

(١)هود: ١.

(٢)الأنعام: ٣٨.

(٣)لسان العرب، مادة (حكم):١٢/ ١٤٠ - ١٤٣، المفردات فى غريب القرآن:١٢٦.

(٤)الكشاف:٥/ ١٦٤.

(٥)القيامة: ١٧ - ١٨.

(٦)لسان العرب، مادة (قرأ):١/ ١٢٨، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:١/ ٦٥، تاج العروس: ١/ ٢٧٠.

أنه مقروء دون حضور كتاب فيقتضي أنه محفوظ في الصدور ولولا ذلك لما كانت فائدة للإخبار بأنه مقروء لأن كل كتاب صالح لأن يقرأ. والإخبار عن الكتاب بأنه قرآن مبالغة في كون هذا الكتاب مقروءا، أي ميسرا لأن يقرأ لقوله: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾[1] وقوله: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[2] وقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3] فحصل بهذا الوصف أن الكتاب المنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) جامع لوصفين: كونه كتابا، وكونه مقروءا على ألسنة الأمة. وهذا مما اختص به كتاب الإسلام[4]."

"«والقرآن» إما قسم مستأنف إن لم تجعل ما تقدم قسما وإما عطف على ما قبله إن كان مقسما به وقد تقدم كلام عن الخليل في ذلك أوائل البقرة فاعتبره هنا فإنه حسن جدا[5]."

٢- المقسم به فى أول (سورة ص): ورد فى أسباب نزول الآيات من ١- ٨ من (سورة ص) أن أبا طالب مرض فجاءته قريش وجاءه النبى صلى الله عليه وسلم فشكوه على أبى طالب فقال: يا ابن أخى ما تريد من قومك؟ قال "أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدى إليهم العجم الجزية كلمة واحدة" قال ما هى؟ قال: "لا إله إلا الله" فقالوا: إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب فنزل فيهم: ﴿ صَٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾إلى قوله: ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾[6]."، وسميت السورة بما افتتحت به من الحروف المقطعة (ص)، ثم جاء القسم بالقرآن ووصفه الله عز وجل بذى الذكر، وجاء التركيب كالتالى: **الحروف المقطعة + واو القسم + المقسم به + جواب القسم**.

---

(١)القمر: ١٧.
(٢)القيامة: ١٧.
(٣)الحجر: ٩.
(٤)التحرير والتنوير: ٢٥/ ١٦٠-١٦١.
(٥)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى: ١٦/ ١٦٤.
(٦)أسباب النزول للسيوطى: ٣٦٧.

- **والمقسم به هو القرآن** فى قوله تعالى: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾[1]، تعددت آراء العلماء فى المقصود بهذا الحرف (ص) فقيل هى مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد، وقيل معناه صدق الله: "وروي عن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل معناه أن القرآن مركب من هذه الحروف وأنتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضته[2]."، وقيل: "معناه عرض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه[3]."، وأقسم الله بالقرآن وقيد هذا القسم بقوله تعالى: (ذى الذكر)، أى الذكر الذى جاءهم وأخبرهم عن كفرهم، والبدء بالقسم هنا **مناسب لسياق السورة السابقة لها**، حيث انتهت سورة الصافات بقوله تعالى: ﴿ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[4] فجاءهم الكتاب الذى أنكروه، حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾[5]، وذى الذكر، أى ذى الشرف الباقى المخلد، وذى التذكرة، أو ذكر الأمم السابقة: "ذي الذكر: ذي الشرف الباقي المخلد. وقال قتادة: ذي التذكرة، للناس والهداية لهم. وقيل: ذي الذكر، للأمم والقصص والغيوب والشرائع[6]."، وقيد القسم بالقرآن فى (سورة يس) بـ(الحكيم)، وفى (سورة ص) بذى الذكر"ووصف بذي الذكر لأن ذي تضاف إلى الأشياء الرفيعة فتجري على متصف مقصود التنويه به[7]." ، وأخبر الله عن القرآن بالذكر ووصفه بالحكيم فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم، كما فى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[8].

---

(١)ص: ١.

(٢)اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل الحنبلى: ١٦/ ٣٦٤.

(٣)الكشاف: ٥/ ٢٤٠.

(٤)الصافات: ١٦٨.

(٥)فصلت: ٤١ - ٤٢.

(٦)البحر المحيط:٧/ ٣٦٧.

(٧)التحرير والتنوير:٢٣/ ٢٠٣.

(٨)آل عمران: ٥٨، وفى سورة الزخرف: ٤٤، الأنبياء: ٥٠، ص: ١، يس: ٦٩، الأنبياء: ٢،الشعراء: ٥.

ومن معانى (الذكر) فى اللغة: الذكرى، بالكسر: خلاف النسيان... والذكر: الصيت والثناء... القرآن ذى الذكر، أي ذى الشرف، والذكر: الطاعة والشكر والدعاء، والذكر: الصلاة: "والتَّسْبِيح، وقِراءَةُ القرآنِ وتَمْجِيدُ الله وتَسْبِيحُه وتَهْليلُه والثَّنَاءُ عَلَيْه بجَمِيع مَحامِده[1]."وأنكر كفار مكة ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم، كما أنكر قوم صالح من قبلهم فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[2] ووصف الله القرآن هنا بوصف يناسب المقام، حيث تكررت مادة (ذكر) فى سورة الصافات **خمس مرات**، فى قوله تعالى: ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ ﴾، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾، قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾، قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ فجاء القسم فى أول (سورة ص) ردًّا على كلامهم بالقسم بالقرآن الكريم، وصفه الله فى الآيات بأنه (ذى الذكر)[3].

٣- المقسم به فى أول (سورة ق): سميت السورة بما افتتحت به من الحروف المقطعة، وهو حرف (ق) الذى جاء فى أول السورة، وأقسم الله بالقرآن ووصفه بالمجيد وهو المنزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث أراد الله أن يسلى عن الرسول مما ناله من أذى قومه وافترائهم عليه وإنكارهم بأن يكون الرسول منهم ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[4]، واختلف العلماء فى قوله تعالى (ق) إلى **أحد عشر قولا متعارضة**، كما ذكر أبو حيان أنه "لا دليل على صحة شيء منها، فأطرحت نقلها في كتابي هذا[5]."، ومن اللافت للنظر أن افتتاح

---

(١)تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (ذكر):١١/ ٣٦٧، لسان العرب:٤/ ٣٠٨، المعجم الوسيط:١/ ٣١٣.

(٢)الزخرف: ٣١.

(٣)وتكررت مادة (ذكر) فى (سورة ص) اثنتى عشرة مرة فى الآيات [١، ٨، ١٧، ٢٩، ٣٢، ٤١، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٨٧] وتكررت نفس المادة فى السورة التالية لسورة ص (سورة الزمر) ست مرات فى الآيات [٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٧، ٤٥].

(٤)الزخرف: ٣١.

(٥)البحر المحيط:٨/ ١٢٠.

السورة بهذا الحرف من الحروف المقطعة طبع السورة بطابع هذا الحرف، حيث تكرر حرف (ق) فى هذه السورة **ستًا وخمسين مرة**.

- **والمقسم به هو** القرآن فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾[1] ، ووصفه الله بـ (المجيد) كما وصفه بـ (الحكيم) ووصفه بـ (ذى الذكر)، فالمجيد أى الشريف، وهو أشرف الكتب، ذو المجد والفضل والكرم الذى وسع كل ما يحتاجه البشر، المجد: الكرم والشرف، والمجيد: الكريم: "وفى المثل: "في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار، "أي استكثرا منها، كأنهما أخذا من النار ما هو حسبهما. ويقال: لأنهما يسرعان الورى، فشبها بمن يكثر من العطاء طلبا للمجد[2]."

ووصف القرآن بالمجيد فى القسم كوصف منزل القرآن بنفس الوصف (المجيد)، وبينهما تشابه؛ لأن "قولهم في صفة الله تعالى المجيد أي يجري السعة في بذل الفضل المختص به وقوله في صفة القرآن: (ق والقرآن المجيد) فوصفه بذلك لكثرة ما يتضمن من المكارم الدنيوية والأخروية، وعلى هذا وصفه بالكريم بقوله (إنه لقرآن كريم) وعلى نحوه (بل هو قرآن مجيد) وقوله (ذو العرش المجيد) فوصفه بذلك لسعة فيضه وكثرة جوده، وقرئ (المجيد) بالكسر فلجلالته وعظم قدره، وما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما الكرسي في جنب العرش إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة وعلى هذا قوله (لا إله إلا هو رب العرش العظيم) والتمجيد من العبد لله بالقول وذكر الصفات الحسنة، ومن الله للعبد بإعطائه الفضل[3]."

- **ومجيد** صيغة مبالغة على وزن فعيل، وهى أبلغ من ماجد على وزن فاعل: "وفَعِيلٌ أَبلغ مِنْ فاعِل فكأَنه يَجْمع مَعْنَى الجَلِيلِ والوهَّابِ وَالْكَرِيمِ. والمجيدُ: مِنْ

---

(١)ق: ١ – ٢.

(٢)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، فصل (الميم):٢/ ٥٣٦-٥٣٦٧.

(٣)المفردات فى غريب القرآن، مادة (مجد):٤٦٣-٤٦٤، لسان العرب:٣/ ٣٩٥.

صفاتِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ. وَفِي أَسْمَاءِ اللهَّ تَعَالَى: الماجدُ. والمَّجْد فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الشَّرَفُ الْوَاسِعُ[1]."

والمجيد أفضل من الماجد" أما "مجيد" فهو أكثر فى الصفة من "ماجد" فكأنه يجمع معنى الجليل والغني والوهاب الكريم. والمجيد من الأسماء الحسنى[2]." ولم يأت هذا الوصف فى القرآن الكريم إلا لله – عز وجل – فى قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴾[5]، وهنا وصف الله القرآن بالمجيد، فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾، **وتكررت كلمة (مجيد)** فى القرآن الكريم نكرة مرتين ومعرفة بـ(أل) مرتين، فجاء لفظ (المجيد) معرفا بـ(أل) صفة لاسم الجلالة (الله) مرة وصفة للقرآن مرة أخرى، وجاء لفظ (مجيد) نكرة أيضًا صفة لاسم الجلالة (الله) مرة وصفة للقرآن مرة أخرى، فى قوله تعالى:

١. ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾[6].

٢. ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾[7].

٣. ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴾[8].

---

(١)لسان العرب مادة (مجد): ٦/ ٤١٣٨، ٤١٣٩.

(٢)المعجم الاشتقاقى الموصل لألفاظ القرآن الكريم:٤/ ٢٠٣٣.

(٣)هود: ٧٣.

(٤)البروج: ١٥ – ١٦.

(٥)البروج: ٢١.

(٦)هود: ٧٣.

(٧)ق: ١.

(٨)البروج: ١٥.

٤. ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾[١].

وكما لم يوصف بـ (الحكيم) إلا الله وكتابه ورسوله، فإنه لم يوصف بـ (المجيد) إلا الله وكتابه، وهو شرف أى شرف من الله أن يوصف كتابه وهو المجيد أصلا لأنه كتاب الله، ولكن أضاف عليه وصفه وقسمه به بالمجيد فازداد المجد مجدًا وسعة وكرما، فكما قال على ذاته: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾[٢] فإن كتابه أيضًا مجد على مجد.

٤- **المقسم به فى أول سورة الزخرف**: أقسم الله عز وجل فى أول هذه السورة بـ (الكتاب)، أى (القرآن) بعد حرفين من الحروف المقطعة هما (حم)، وهى إحدى السور السبعة التى بدأت بهذين الحرفين المقطعين فى (سورة غافر، سورة فصلت، سورة الشورى، سورة الزخرف، سورة الدخان، سورة الجاثية، سورة الأحقاف) ويتشابه القسم هنا مع القسم فى أول سورة الدخان فى الابتداء بالحرفين المقطعين، ومن حيث المقسم به (الكتاب المبين)، حيث وصفه الله سبحانه وتعالى بالمبين كما وصف الله القرآن فى القسم به بـ(الحكيم، وذى الذكر، والمجيد) فيقول الله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[٣]. والمقسم به هو (الكتاب) قوله تعالى: ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾[٤]، ووصفه بالمبين، والمقصود بالكتاب، أى الكتب المنزلة و(الهاء) فى ﴿ جَعَلْنَٰهُ ﴾ تعود على القرآن، والاثنان (القرآن والكتاب) قد أقسم الله بهما، ولكل منهما مناسبة حسب سياقه "وإطلاق اسم الكتاب على القرآن باعتبار أن الله أنزله ليكتب وأن الأمة مأمورون بكتابته وإن كان نزوله على الرسول (صلى الله عليه وسلم) لفظا غير مكتوب. وفي هذا إشارة إلى أنه سيكتب فى المصاحف، والمراد بـ (الكتاب) ما نزل من القرآن قبل هذه السورة وقد كتبه كتاب الوحي. وضمير (جعلناه) عائد إلى (الكتاب)، أي إنا جعلنا الكتاب المبين قرآنا

---

(١)البروج: ٢١.
(٢)النور: ٣٥.
(٣)اللباب فى علوم الكتاب:١٦/ ٣٦٤، البحر المحيط:٧/ ٣٦٧.
(٤)الزخرف: ٢.

"والجعل: الإيجاد والتكوين، وهو يتعدى إلى مفعول واحد. والمعنى: أنه مقروء دون حضور كتاب فيقتضي أنه محفوظ في الصدور ولولا ذلك لما كانت فائدة للإخبار بأنه مقروء لأن كل كتاب صالح لأن يقرأ. والإخبار عن الكتاب بأنه قرآن مبالغة في كون هذا الكتاب مقروءا، أي ميسرا لأن يقرأ لقوله: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾[1] وقوله: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[2]. وقوله: ﴿ نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3]. فحصل بهذا الوصف أن الكتاب المنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) **جامع لوصفين: كونه كتابا، وكونه مقروءا على ألسنة الأمة.** وهذا مما اختص به كتاب الإسلام[4]."

كما وصف الله – عز وجل كتابه بأنه مبين فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم[5]، ولكن الله – عز وجل – لم يقسم بالكتاب إلا فى قوله تعالى:﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ ﴾ فى سورة الزخرف: ١ – ٢ ، الدخان: ١ – ٢، والمبين، أى الواضح الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلال؛ "البين للذين أنزل عليهم؛ لأنه بلغتهم وأساليبهم. وقيل: الواضح للمتدبرين. وقيل: (المبين) الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة، وأبان ما تحتاج إليه الأمة في أبواب الديانة[6]."، ووصف الكتاب بالمبين تجسيدًا له فى صورة مجازية، لأن المبين هو الله عز وجل "واعلم أن وصفه بكونه مبينا مجاز لأن المبين هو الله تعالى وسمى القرآن بذلك توسعا من حيث إنه حصل البيان عنده[7]."

---

(١)القمر: ١٧.

(٢)القيامة: ١٧.

(٣)الحجر: ٩.

(٤)التحرير والتنوير:٢٥/ ١٦٠.

(٥)(فى سورة المائدة:١٥، فى سورة الأنعام:٥٩، فى سورة يونس:٦١، فى سورة هود:٦، فى سورة النحل:١، ٧٥، فى سورة سبأ:٣) ووصف الله القرآن بالكتاب المبين فى قوله: (فى سورة يوسف:١، فى سورة الشعراء:٢، فى سورة الزخرف:٢، فى سورة الدخان:٢).

(٦)الكشاف:٥/ ٤٢٤-٤٢٥ ، روح المعانى:٢٥/ ٦٤ ، مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٧/ ١٩٣ ، التحرير والتنوير:٢٥/ ١٦٠ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٥/ ٧٥.

(٧)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٧/ ١٩٣.

ووصف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى سياق السورة بالمبين، فى قوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾[1] وفى سياق السورة التالية لها أيضا، فى قوله تعالى:﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾[2].

٥- **المقسم به فى أول سورة الدخان:** هذه هى الصورة الثانية من صور القسم بالكتاب، بعد القسم فى أول سورة الزخرف، ويتفق الموضعان فى المقسم به وما سبقهما من الحروف المقطعة(حم)، ويختلفان فى المقسم عليه، ففى سورة الزخرف كان المقسم عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3] أما المقسم عليه هنا فهو قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[4] والمقسم به والمقسم عليه من واد واحد كما هو الحال فى سورة الزخرف، وقيل إن الجواب هو قوله تعالى:﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ وما بينه وبين القسم اعتراض، وقيل إن قوله تعالى:﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾، وقيل إن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ جملتان فسر بهما جواب القسم، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ ﴾[5] "كأنه قيل: أنزلنا؛ لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب، وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصًا؛ لأنّ إنزال القرآن من الأمور الحكيمة، وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم. والمباركة: الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الأمور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم، ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة، ومعنى (يُفْرَقُ) يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم، وجميع أمورهم منها إلى الأخرى القابلة[6]."، وقيل إن قوله

---

(١)الزخرف: ٢٩.
(٢)الدخان: ١٣.
(٣)الزخرف: ٣.
(٤)الدخان: ٣.
(٥)الدخان: ٣.
(٦)الكشاف:٥/ ٤٦٤.

تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ جواب ثالث للقسم "أو مستأنفٌ، أو بدلٌ من قوله: (إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ)[1]."

٦- **المقسم به فى أول سورة القلم (ن):** افتتحت سورة القلم بحرف من الحروف المقطعة، وهو الحرف (ن)، ومن إعجاز القرآن لهذا الحرف أن طبعت السورة بطابع هذا الحرف، حيث تكرر هذا الحرف (ن) فى هذه السورة **مائة وخمسين مرة**، وتكرر فى كل آياتها إلا فى آيتين فقط هما (الآية٢٠، والآية٤٠)، وتكرر فى بعض الآيات أكثر من مرة، وسميت السورة بها افتتحت به، وهو الحرف (ن)، أو سورة القلم فى قوله تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] والمراد بـ (ن) النون الحرف المعروف "والنون الحوت العظيم وسمي يونس ذا النون في قوله (وذا النون) لأن النون كان قد التقمه[3]." وجمع نون: أنوان ونينان.

والمقسم به هو قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[4] والمقصود بالقلم هنا: "القلم الذى خلقه الله وأمره بكتب الكائنات، وجعل الضمير فى (يسطرون) للملائكة. ومن قال هو اسم جعله القلم المتعارف بأيدى الناس[5]."، وجمع قلم: أقلام "وإنما سمي قلما لأنه قلم مرة بعد مرة ومن هذا قيل قلمت أظفاري وقلمت الشيء بريته[6]." وتعددت آراء علماء التفسير حول المقسم به[7]، فذكروا **أربعة أقسام فى أول هذه السورة:**

---

(١)الدر المصون فى علم الكتاب المكنون:٩/ ٦١٧.

(٢)القلم: ١ - ٤.

(٣)المفردات فى غريب القرآن، مادة (نون): ٥١٠، لسان العرب:١٣/ ٤٢٧، تاج العروس من جواهر القاموس: ٢٦/ ٢٣١، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦/ ٢٢١٠.

(٤)القلم:١.

(٥)الكشاف:٦/ ١٧٩، البحر المحيط:٨/ ٣٠٢.

(٦)لسان العرب، مادة (قلم):١٢/ ٤٩٠، المفردات فى غريب القرآن: ٤١٢، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٥/ ٢٠١٤، تاج العروس من جواهر القاموس:٣٣/ ٢٩١.

(٧)ينظر البحر المحيط:٨/ ٣٠٢، الدر المصون:١٠/ ٤٠٠، اللباب فى علوم الكتاب:١٩/ ٢١٧.

- **القسَم الأول**: القسم بالحرف (ن) على اعتبار أن الحروف المقطعة أقسام أقسم الله تعالى بها.

- **القسَم الثانى**: بالقلم، وهذا القسم عليه إجماع من علماء التفسير، وحذف منه فعل القسم، وهذان الرأيان لصاحب البحر المحيط.

- **القسَم الثالث**: بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾على اعتبار أن (ما) مصدرية، والتقدير: المسطور، والمراد به القرآن الكريم.

- **القسَم الرابع**: بقوله تعالى:﴿ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ﴾ على اعتبار أنه قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة فى انتفاء الوصف الذميم عنه.

وقيل إن القسم هنا بالدواة والقلم "فيكون هذا قسما بالدواة والقلم، فإن المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة[1]."، وقيل إن القسم بالقلم والكتابة يشير إلى العلم: "أُقسم الله فى فاتحة سورة القلم بالقلم والكتابة تنويها بهما فى أول سورة نزلت على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإعلاما بأن دينه سيقوم على القلم والكتابة، وبعبارة أخرى على العلم واعتماده على أداته من القلم، ونوه بجانب الكتابة والقلم فى القرآن بالعلم والعلماء والإسلام - بذلك - دين علم وحضارة ... وإيماء إلى ما سيكون لهما من أثر عظيم فى كتابة القرآن الخالد وبعثه العرب والمسلمين على إحداث نهضة علمية، كان لها أكبر التأثير فى النهضة العلمية الغربية[2]."و(أل) فى (القلم) دالة على الجنس، أى جنس الأقلام، والقسم به تشريف للقلم الذى كتب كلام الله.

وقيل: "الأولى أنه جنس القلم الذى يكتب به. ولعل هذا هو الصواب لقوله تعالى:﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ أى الكتبة – أقسم الله تعالى به لشرفه، إذ يكتب به القرآن والكتب السماوية والعلوم والمعارف وكل مصالح الناس فى المعاش. ويسطرون من

---

(١)التفسير الكبير: ٣٠/ ٧٧.

(٢)القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف: ٥٨-٥٩.

السطر وهو الصف فى الكتابة والضمير فى يسطرون يعود على الكتبة مطلقا، وإن فسر القلم بأنه قلم اللوح المحفوظ كان الضمير عائدا على الملائكة الذين يكتبون فيه ما قدِّر على الناس[١]."

- **تكررت كلمة قلم فى القرآن الكريم مرتين**، فى قوله تعالى:﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[٢]، وقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾[٣].

- **وتكررت كلمة أقلام مرتين أيضا، فى قوله تعالى:**﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٥]. أما قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ما: اسم موصول، أى الذى يسطرونه من الكتب، وهم الملائكة "والضمير عائد على من يسطر لدلالة السياق عليه. ولذكر الآلة المكتتب بها[٦]."، ويتناسب هذا القسم مع السياق القرآنى فى السورة السابقة لها (سورة الملك)، حيث أخبر الله – عز وجل – أنه قادر على الخسف بهم فى باطن الأرض، أو يرسل عليهم حاصبا، ذلك لما قالوه عن الرسول بأنه ساحر، وقالوا إنه شاعر، وقالوا إنه مجنون، فجاء القسم ينفى هذه الصفة عن النبى صلى الله عليه وسلم "فبدأ سبحانه وتعالى هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون وتعظيم أجره على صبره على أذاهم وبالثناء على خلقه العظيم[٧]."

---

(١)القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف: ٤٠.
(٢)القلم: ١.
(٣)العلق: ٤.
(٤)آل عمران: ٤٤.
(٥)لقمان: ٢٧.
(٦)الدر المصون: ١٠/ ٣٩٩.
(٧)البحر المحيط: ٨/ ٣٠١.

ويجوز فى (ما) أن تكون "موصولة، أي وما يكتبونه من الصحف، ويجوز أن تكون مصدرية، والمعنى: وسطرهم الكتابة سطورا. ويجوز أن يكون قسما بالأقلام التي يكتب بها كتاب الوحي القرآن، وما يسطرون قسما بكتابتهم، فيكون قسما بالقرآن على أن القرآن ما هو بكلام مجنون[1]." ويجوز أن يكون ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ قسما على اعتبار أن المراد به (القرآن) وهو من الأقسام التى ذكرت من قبل فى سورة الزخرف عندما أقسم الله بالكتاب المبين، فقال تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2].

وسطر بمعنى خط؛ لأن السطر: الخط والكتابة، والسطر: الصف من الشىء، وقوله تعالى: (ن والقلم وما يسطرون)، أي ما يكتبون مما يعنى حفظه لوقت معلوم، وسطر بمعنى قطع، ومنه الساطور، ما يعنى أن ما تكتبه الملائكة مقطوع بصحته ولا جدال فيه "سطر: السطر والسطر الصف من الكتابة ومن الشجر المغروس ومن القوم الوقوف، وسطر فلان كذا كتب سطرا سطرا... وجمع السطر أسطر وسطور وأسطار[3]."

٣- المقسم عليه فى القسم بصيغة المفرد بعد الحروف المقطعة.

١ - المقسم عليه فى أول (سورة يس): ورد الجواب هنا جملة اسمية مؤكدة بـ (إن واللام) فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[4]، والكاف فى قوله تعالى: (إنك) لخطاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأنه من المرسلين[5]، وفى الوقت نفسه يرد على الكفار الذين أنكروا رسالته ويثبت المؤمنين الذين آمنوا به صلى الله عليه وسلم "وكان من المعلوم أن النبي صلى الله

---

(١)التحرير والتنوير:٢٩/ ٦٠.

(٢)الزخرف: ١ - ٣.

(٣)المفردات فى غريب القرآن، مادة (سطر): ٢٣٢، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٢/ ٦٨٤، لسان العرب:٤/ ٣٦٣، تاج العروس من جواهر القاموس:١٢/ ٢٤.

(٤)يس: ٣ - ٥.

(٥)وردت كلمة المرسلين فى (سورة يس) فى ست مواضع فى الآيات (٣، ١٣، ١٤، ١٦، ٢٠، ٥٢).

عليه وسلم وأصحابه يعظمون القرآن فحلفه به هو الذي يوجب ثقتهم به[1]."، وأخبر الله أن الكفار نفوا الرسالة عن النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال الله تعالى عنهم: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2].

وخاطب الله نبيه بالقسم فى ثلاثة مواضع أخرى، فى قوله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾[5]، و(كاف الخطاب) تدل على أنه لا واسطة بين الله ورسوله فى الحديث، كما تدل على مرتبة الإحسان التى يتمتع بها النبى – صلى الله عليه وسلم – فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والله عز وجل يخاطب نبيه بكاف الخطاب التى لا تأتى إلا مع الحاضر.

ومن الملاحظ أن القسم بـ(القرآن – الكتاب) لم يأت إلا بعد الحروف المقطعة للدلالة على أن هذه الحروف هى الحروف نفسها التى تتكون منها كلمات القرآن الكريم، وهى ليست غريبة عن أحد، فمن يستطع أن ينفى إعجاز القرآن الكريم، فهذه بعض حروفه، وهى أربعة عشر حرفًا.

٢- المقسم عليه فى أول (سورة ص): تبدأ هذه السورة بأمور ثلاثة تسترعى الانتباه:

الأمر الأول: الابتداء بحرف من الحروف المقطعة (ص).

الأمر الثانى: الابتداء بالقسم فى أول السورة لأهمية الكلام المقسم عليه.

---

(١)مفاتيح الغيب – مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٦/ ٤١.

(٢)الرعد:٤٣.

(٣)النساء: ٦٥.

(٤)الحجر: ٩٢ – ٩٣.

(٥)مريم: ٦٨.

الأمر الثالث: حذف جواب القسم ، وقدر بأنه كلام معجز.

اختلف العلماء فى تأويل جواب القسم، فقيل إن الجواب هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾[1] ولكن هذا الرأى رده الفراء لتأخره عن المقسم به، وجرت بينهما قصص مختلفة، ورأى الفراء أن الجواب هو قوله تعالى: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ ﴾ وحذفت اللام، وأن قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾ اعتراض بين القسم وجوابه[2].

- وقيل إن الجواب هو قوله تعالى: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾[3].

- وقيل هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾[4].

- وقيل هو قوله تعالى: ﴿ صٓ ﴾ أى أن الله تعالى أقسم بالقرآن ذى الذكر على صدق القرآن، وبذلك يكون الجواب متقدما على القسم.

- وقيل إن الجواب محذوف، تقديره: لقد جاءكم الحق، بدليل قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾[5] ويتناسب حذف الجواب مع ذكر الحرف (ص)، وكأنه قال: "والقرآن ذى الذكر إنه لكلام معجز: "والغرض من حذف جواب القسم هنا الإعراض عنه إلى ما هو أجدر بالذكر وهو وصفه الذين كفروا وكذبوا القرآن عنادا أو شقاقا منهم[6]"، أما (بل) فهى حرف "بمنزلة حرف الاستدراك، والمقصود منه تحقيق أنه ذو ذكر، وإزالة الشبهة التي قد تعرض في ذلك[7]."

- ويرى الباحث أن الجواب محذوف، لأن الجواب بـ (بل) ليس له أصل فى

---

(١)ص: ٦٤.
(٢)معانى القرآن للفراء:٢/ ٣٩٧ بتصرف.
(٣)ص: ١٤.
(٤)ص: ٥٤.
(٥)ينظر اللباب فى علوم الكتاب:١٦/ ٣٦٤، التحرير والتنوير:٢٣/ ٢٠٤، البحر المحيط:٧/ ٣٦٧.
(٦)التحرير والتنوير:٢٣/ ٢٠٤.
(٧)التحرير والتنوير:٢٣/ ٢٠٤.

العربية: "ولا مانع أن يكون الله استعمله فى القرآن بسورة – ص – لأول مرة[1]."، وربما تكون هذه **خصوصية من خصوصيات الاستعمال القرآنى**.

– وقيل إن الجواب هو قوله تعالى: "﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾، وأن (بل) بمنزلة (إن): "لأنه يؤكد ما بعده من الخبر وإن كان له معنى سواه في نفي خبر متقدم فكأنه عز وجل قال: ﴿ صَۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾ كما تقول: والله إن زيدا لقائم قال: واحتج صاحب هذا القول بأن هذا النظم وإن لم يكن للعربية فيه أصل ولا لها رسم فيحتمل أن يكون نظما أحدثه الله عز وجل لما بينا من احتمال (أن يكون) بل بمعنى إنَّ[2]." ويؤيد هذا الجواب الدكتور شوقى ضيف، حيث قال: "وبل فى صدر الصيغة للإضراب الإبطالى الذى يفيد النفى[3]."

الأمر الرابع: أن الجواب محذوف، وقيل هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾[4]وقد يحذف جواب القسم لدلالة السياق؛ لأن فى المقسم به ما يدل على المقسم عليه فلا حاجة للجواب كما ذكر ابن القيم فى التبيان:"وكذلك من حلف لشخص أنه يحبه ويعظمه، فقال: والذي ملأ قلبي من محبتك وإجلالك ومهابتك...ونظائر ذلك – لم يحتج إلى جواب القسم وكان في المقسم به ما يدل على المقسم عليه. فمن هذا قوله تعالى: ﴿ صَۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾[5] فإن في المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذي الذكر– المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه – وللشرف، والقدر ما يدل على المقسم عليه وكونه حقا من عند الله، غير مفترى كما يقوله الكافرون. هذا معنى قول كثير من المفسرين – متقدميهم ومتأخريهم –: إن الجواب محذوف تقديره: إن القرآن لحق وهذا مطرد في كل ما شأنه ذلك[6]."

---

(١)القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف:٧٩.
(٢)التبيان فى أيمان القرآن:١٧-١٨.
(٣)القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف:٧٨-٧٩.
(٤)ص: ٦٤.
(٥)ص: ١.
(٦)التبيان فى أيمان القرآن: ١٥.

٣- المقسم عليه (جواب القسم) فى أول سورة ق: تعددت آراء علماء التفسير فى جواب القسم، فذكر صاحب اللباب فى علوم الكتاب فيه أوجها مختلفة: "أحدهما: أنه قوله تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا نَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ ﴾ الثانى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ الثالث: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾[1] الرابع: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ ﴾[2] الخامس: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ ﴾ وهو قول كوفي، قالوا: لأنه بمعنى قد عجبوا. السادس: أنه محذوف، فقدره الزجاج والأخفش والمبرد: لتبعثن، وغيرهم: لقد جئتهم منذرا[3]."، منذر، أى أنذر بمعنى خوف وحذر "الإنذار إخبار فيه تخويف كما أن التبشير إخبار فيه سرور...النذير المنذر ويقع على كل شيء فيه إنذار إنسانا كان أو غيره[4]."

واختلفوا فى تقدير الجواب المحذوف على عدة أقوال، منها أن تقديره: لتبعثن، أو أنه: "محذوف يشعر به الكلام كأنه قيل: والقرآن المجيد إنا أنزلناه لتنذر به الناس، وقدره أبو حيان إنك جئتهم منذرا بالبعث ونحو ما قيل: هو إنك لمنذر؛ وقيل: ما ردوا أمرك بحجة. وقيل: هو مذكور، وهو قوله تعالى:﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا نَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾[5] وحذفت اللام لطول الكلام، وقيل هو قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾[6] قيل: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ ﴾[7]، وقيل: ﴿ مَا يُبَدَّلُ

---

(١)ق: ١٨.

(٢)ق:٣٧.

(٣)اللباب فى علوم الكتاب:١٨/ ٧-٨، البحر المحيط:٨/ ١٢٠، الدر المصون:١٠/ ١٧.

(٤)المفردات فى غريب القرآن مادة (نذر):٤٨٧، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٢/ ٨٢٦، لسان العرب:٥/ ٢٠٠، تكررت كلمة (منذر) فى القرآن الكريم عشرين مرة فى عشرين موضعا، فى سور: البقرة: ٢١٣، النساء: ١٦، الأنعام: ٤٨، يونس: ٧٣، الرعد: ٧، الكهف: ٥٦، الشعراء: ١٧٣ ، الشعراء: ١٩٤ ، الشعراء: ٢٠٨ ، النمل: ٥٨ ، النمل: ٩٢ ، الصافات: ٧٢ ، الصافات: ٧٣ ، الصافات: ١٧٧ ، ص: ٤ ، ص: ٦٥ ، الدخان: ٣ ، الأحقاف: ٢٩ ، ق: ٢ ، النازعات: ٤٥.

(٥)ق: ٤.

(٦)ق: ١٨.

(٧)ق: ٣٧.

ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾[1]، وقيل هو قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾[2]". [3]

وأقرب الأقوال إلى الجواب قوله تعالى فى الآية الثانية: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ ﴾، **وهذا الرأى تؤيده الأدلة الآتية:**

- **المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه،** حيث إنه من المطرد فى الأقسام التى جاءت مع حرف القسم الواو أن هناك مناسبة وعلاقة تربط بين المقسم به والمقسم عليه؛ لأن الله أقسم بالقرآن على تعجب الكفار أن يكون المنذر بهذا القرآن منهم.

- **أن أسلوب القسم نوع من أنواع التوكيد،** وهذا الجواب يشتمل على أكثر من مؤكد، منها: استخدام (بل) وهى بمعنى (إنَّ)، أو بمعنى (قد) وهى من جوابات القسم السبعة التى ذكرها كثير من علماء التفسير[4].

- **الغر ض من القسم** هو تأكيد البعث والرسالة ونفى إنكار الكفار لأن يكون الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو المنذر لهم.

- **تؤكد عناصر التركيب** أيضا هذا الجواب: "فأول ذلك أن فى التعبير عن الكافرين بالإضمار قبل الذكر فى قوله تعالى: (بل عجبوا) إشارة إلى أنه إذا ذكر شيئا خارجا عن سنن الاستقامة انصرف إليهم والعجب من تغير النفس لأمر خارج عن العادة."ثم قال بعده (منهم)؛ لأن العادة عندهم وعند جميع الناس أنه إذا كان لتنذر منهم لم يداخلهم فى إنذاره شك بوجه من الوجوه... [5]"

٤- **المقسم عليه (جواب القسم) فى أول سورة الزخرف:** ورد الجواب هنا جملة

---

(١)ق: ٢٩.

(٢)ق: ٢.

(٣)ينظر روح المعانى:٢٦/ ١٧٢.

(٤)ينظر اللباب فى علوم الكتاب:١٨/ ٨، وهذه الأدوات هى: إنَّ المشددة، مَا، واللام المفتوحة، وإنْ الخفيفة، ولا النافية، قَدْ، وبَلْ.

(٥)نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور:١٨/ ٤٠٣، القسم فى القرآن الكريم – دراسة بلاغية:٢/ ٤٢٣.

اسمية مؤكدة بـ(إنَّ) فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[1] و(جعل) فعل من أفعال التحويل بمعنى (صير) يتعدى إلى مفعولين، وهو بمعنى: سميناه ووصفناه[2]، وتأتى جعل بمعنى (وصف) أو(سمى)، وقال تعالى فى سياق السورة نفسها: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[3]، أى وصفوهم، والضمير فى (جعلناه) يعود على الكتاب وعلى القرآن[4]، ويوضح السياق أن قوله تعالى (جعلناه) بمعنى أنزلناه وبيناه، وأكدت الجملة أيضا بضمير العظمة فى اسمها (إنا) وخبرها (جعلناه)، **جعل**: فعل عام فى الأفعال كلها، وهنا بمعنى قال أو وصف أو حكم: "وجَعَلَ: قال، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾؛...الجَعْل ههنا بمعنى القول والحكم على الشيء كما تقول قد جعلت زيدًا أعلم الناس أَي قد وصفته بذلك وحكمت به[5]."

أما كلمة قرآن "الأَصل فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ الْجَمْعُ، وكلُّ شيءٍ جَمَعْتَه فَقَدَ قَرَأْتَه. وَسُمِّيَ القرآنَ لأَنه جَمَعَ القِصَصَ والأَمرَ والنهيَ والوَعْدَ والوَعِيدَ والآياتِ والسورَ بعضَها إِلَى بعضٍ، وَهُوَ مَصْدَرٌ كالغُفْرانِ والكُفْرانِ. قَالَ: وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الصَّلَاةِ لأَنّ

---

(١)الزخرف: ٣ - ٤.

(٢)ينظر الجامع لأحكام القرآن:١٥/ ٥-٦، ومعالم التنزيل:٧/ ٢٠٥، الكشاف:٥/ ٤٢٥، ولم يتخلص الزمخشرى من براثن فكر المعتزلة عندما ذكر أن (جعل) تتعدى لمفعول واحد، وفسرها بمعنى (خلق)؛ لأن القرآن ليس مخلوقا، وقد فسر الخلق بمعنى الإرادة، أو خلقناه عربيًّا غير أعجمى؛ لأن (جعل) هنا تتعدى لمفعولين؛ لأنها بمعنى صير، ورأى الزمخشرى مرفوض "لأنه يأباه ذوق المقام المتكلم فيه لأن الكلام لم يسبق لتأكيد كونه مخلوقاً وما كان إنكارهم متوجهاً عليه بل هو مسوق لإثبات كونه قرآناً عربياً مفصلاً وارداً على أساليبهم لا يعسر عليهم فهم ما فيه ودرك كونه معجزاً كما يؤذن به قوله تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) أي لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظر الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع أعذاركم بالكلية." ينظر روح المعانى: ٢٥/ ٦٤.

(٣)الزخرف: ١٩.

(٤)الجامع لأحكام القرآن:١٩/ ٦.

(٥)لسان العرب، مادة (جعل):١١/ ١١٠، المفردات فى غريب القرآن:٩٤.

فِيهَا قِراءَةً، تَسْمِيةً للشيءِ ببعضِه، وَعَلَى القِراءَة نَفْسِها، يُقَالُ: قَرَأَ يَقْرَأُ قِراءَةً وقُرآناً"[1].

وجعله الله قرآنا عربيًّا؛ لأن الله - عز وجل - أنزل كتاب كل رسول بلسان قومه، فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[2]، وأكد الله فى أكثر من موضع أن القرآن الكريم نزل عربيًّا[3].

والحكمة من نزول القرآن بلسان عربى التدبر والتقوى، والاحتكام إليه فى كل شئون الحياة...، **ومن جماليات القرآن** فى اختيار لفظ (لعل) فى قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾؛ لأن (لعل) تأتى للترجى فى الأمر المحبوب والإشفاق فى المكروه، كما تدل على التعليل والترجى فى الوقت نفسه؛ فالله يريد لنا تدبر القرآن والعمل به؛ لأن فى ذلك منفعة لنا، وجعله الله قرآنا عربيًّا لكى يسهل علينا تدبره وفهم معانيه[4].

ووصف القرآن فى الجواب بأنه عربى، أى أنه جمع من الشرف والكرم والمعانى السامية التى جعلته يعرب عن نفسه فيبين للناس العربى وغير العربى منهم ما يحتاجون إليه، أو أنه عربى نسبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم والعربى "منسوب إلى النبي العربي، والعربي إذا نسب إليه قيل عربي فيكون لفظه كلفظ المنسوب إليه[5]." فوصف القرآن بأنه عربى يضم معنيين:

الأول: أنه نزل بلغة العرب نسبة إلى النبى.

الثانى: أنه يعرب عما فيه من الهدى والخير ويبين الرشد من الغى، وبذلك لا

---

(١)لسان العرب، مادة (قرأ):١/ ١٢٨، المفردات فى غريب القرآن:٤٠٢.

(٢)إبراهيم: ٤.

(٣)ورد ذلك فى سورة يوسف: ٢، النحل: ١٠٣، طه: ١١٣، الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥، الزمر: ٢٨، فصلت: ٣، ٤٤، الشورى: ٧، الزخرف:٣.

(٤)ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٥/ ٧٦.

(٥)المفردات فى غريب القرآن:٣٢٨.

يحتج غير العربى بأن القرآن لم ينزل بلغته فلا يفهمه؛ لأن العبرة فيه – بالإضافة إلى بيان ألفاظه وعباراته وجمال أسلوبه – بيان ما فيه من أحكام وأوامر ليلتزم بها العربى وغير العربى.

أما قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾، فهو من جواب القسم؛ لأنه معطوف على جملة القسم الأولى بحرف العطف (الواو)، أو جواب ثان للقسم، و(الهاء) فى قوله تعالى: (وإنه) عائدة على القرآن، وقيل: بل المراد أعمال العباد والمقصود بـ (أم الكتاب): اللوح المحفوظ؛ لأن أم كل شىء أصله[1]، واللوح المحفوظ أم الكتب السماوية، والسياق يدعم هذا الرأى؛ لأن الكلام على القرآن. ونزول القرآن عربيًّا ليس غاية فى حد ذاته، إنما الغاية من ذلك التدبر فى القرآن والامتثال لأوامر الله والانتهاء عما نهى عنه.

اشتمل الجواب على أكثر من مؤكد، الأول: التأكيد بـ (إنا) وإضافة ضمير العظمة (نا) لله إلى (إن) وإلى (جعلناه)، وفى قوله تعالى: (لدينا) والتأكيد بـ (لعل) وفسرها الرازى بأنها بمعنى (لكى)، فهى تؤكد مضمون الجملة.

٥- المقسم عليه (جواب القسم) فى أول سورة الدخان: يختلف المقسم عليه فى سورة الزخرف عنه هنا فى سورة الدخان، حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[2]؛ لأن الجواب فى سورة الزخرف على نزول القرآن، أما الجواب هنا فعلى **وقت نزوله وأنه وقت مبارك،** والجواب فى سورة الدخان جملة فعلية مؤكدة بـ (إن)، والغرض من هذا الجواب هو الإشادة بالكتاب (القرآن) ووصفه بأنه مبين، أى مبين فى أسلوبه وصيغه ومفرداته التى تحدى بها العرب، كما أنه مبين للخير من الشر: "ووصَفه الله بأنه – مبين – أى واضح لمن أنزل عليهم إذ هو بلغتهم، وأيضا المبين لطرق الهدى والخير من طرق

(١)ينظر الجامع لأحكام القرآن:١٩/ ٦، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٥/ ٧٦ ، وروح المعانى:٢٥/ ٦٤، مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٧/ ٥٣، والكشاف:٥/ ٤٢٥.

(٢)الدخان: ٣ – ٤.

الضلالة والشر[1]."، وجاء الله بضمير الجمع فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾ للدلالة على العظمة، ومن معانى أنزل: الترتيب - أنزل الله كلامه على أنبيائه، أى: أوحى به - وهناك فرق بين الإنزال والتنزيل فى وصف القرآن: "أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقا ومرة بعد أخرى، والإنزال عام ... وإنما خص لفظ الإنزال دون التنزيل، لما روي أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجما فنجما[2]."، والمراد بأنها ليلة أى موضع الخير الإلهى من البركة والنماء والزيادة: "البركة النماء والزيادة والتبريك الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة يقال بركت عليه تبريكا أي قلت له بارك الله عليك وبارك الله الشيء وبارك فيه وعليه وضع فيه البركة وطعام بريك كأنه مبارك... وهو من برك البعير إذا أناخ في موضع فلزمه وتطلق البركة أيضا على الزيادة[3]."

٦- **المقسم عليه (جواب القسم) فى أول سورة القلم (ن)**: ورد الجواب هنا جملة اسمية منفية بـ(ما) فى قوله تعالى:﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[4]، ذكر الرازى أن هذه الآيات نزلت بعد أن عرف كفار مكة ما أنزل على النبى من الوحى الذى فسره له ورقة بن نوفل، فقالوا إنه لمجنون "فأقسم الله تعالى على أنه ليس بمجنون[5]."، وحكم الله فى هذا الجواب بنفى الجنون عن الرسول - واستخدام الضمير المخاطب (أنت) يفيد القرب بين الله ورسوله، وهو اسم (ما) و(مجنون) خبرها، وقوله تعالى:﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ﴾ بعد النفى يفيد أنه "انتفى عنك الجنون بنعمة ربك، أي حصول الصفة المحمودة، وزال عنك

---

(١)القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف:٢٠.

(٢)المفردات فى غريب القرآن، مادة (نزل): ٤٨٨-٤٨٩، لسان العرب:١١/ ٦٥٦، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٥/ ١٨٢٨-١٨٢٩، والمعجم الوسيط:٢/ ٩١٥، تاج العروس من جواهر القاموس:٣٠/ ٤٧٩-٤٨١.

(٣)لسان العرب، مادة (برك):١٠/ ٣٩٥، المفردات فى غريب القرآن:٤٤، تاج العروس من جواهر القاموس:٢٧/ ٥٩.

(٤)القلم:١-٣.

(٥)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٣٠/ ٧٩.

الصفة المذمومة بواسطة إنعام ربك[1]."، و(الباء) فى قوله تعالى: ﴿ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ﴾ سببية، والمقصود بالنعمة (الرحمة)، **وقيل** "النعمة الحالة الحسنة وبناء النعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة والركبة، والنعمة التنعم وبناؤها بناء المرة من الفعل كالضربة والشتمة، والنعمة للجنس تقال للقليل والكثير[2]." وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ فهما معطوفتان على جواب القسم[3]، وجن، أى أن هناك حائلا بين عقله ونفسه "الجنون حائل بين النفس والعقل[4]."

ومن معانى ممنون من (منَّ): "المنة النعمة الثقيلة ويقال ذلك على وجهين: **أحدهما**: أن يكون ذلك بالفعل فيقال من فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5] – ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾[6]– ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[7] – ﴿ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾[8] – ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ ﴾[9] وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى. **والثاني**: أن يكون ذلك بالقول وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة، ولقبح ذلك قيل المنة تهدم الصنيعة، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل إذا كفرت النعمة حسنت المنة[10]."

---

(١)البحر المحيط:٨/ ٣٠٢.

(٢)المفردات فى غريب القرآن، مادة (نعم):٤٩٩، لسان العرب:١٢/ ٥٧٩، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٥/ ٢٠٤١.

(٣)ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٥/ ٣٧٠.

(٤)المفردات فى غريب القرآن، مادة (جن): ٩٨-٩٩، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٥/ ٢٠٩٣، لسان العرب:١٣/ ٩٢.

(٥)آل عمران: ١٦٤.

(٦)النساء: ٩٤.

(٧)الصافات: ١١٤.

(٨)إبراهيم: ١١.

(٩)القصص: ٥.

(١٠)المفردات فى غريب القرآن، مادة (منن): ٤٧٤، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٦/ ٢٢٠٧، تاج العروس من جواهر القاموس:٣٦/ ١٩٦.

عوارض التركيب.

١ - عوارض التركيب فى أول سورة يس:

- **حذف فعل القسم**: حذف فعل القسم فى هذا الموضع وفى الأقسام التى جاءت مع واو القسم، وتقديره: أقسم.

- **حذف إن واسمها**: حذفت إن واسمها فى قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ والتقدير: "إنك لمن المرسلين إنك على صراط مستقيم[١]."، والصراط المستقيم هو الإسلام، وقد قال الله تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٢].

- **عدم الفصل بين المقسم به والمقسم عليه**، وتميزت جملة القسم بالقصر، مما يعنى انعدام الفواصل بين الله ورسوله؛ للدلالة على منزلة القرب التى أنزلها لرسوله صلى الله عليه وسلم، فهو الذى قال الله عنه: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[٣]. والله أعلم.

- **اختيار حرف الجر (على)** للدلالة على الارتفاع والعلو والتمكن من الصراط المستقيم.

- **تنكير كلمة (صراط)**: جاءت كلمة صراط نكرة للتعظيم: "فإن التنكير فيه دل على أنه أرسل من بين الصرط المستقيمة لا يكتنه وصفه[٤]." وهذا التنكير لا ينفى أن يكون الطريق المستقيم واحدًا.

---

(١)معانى القرآن للزجاج:٤/ ٢٧٨، زاد المسير:٧/ ٤.

(٢)الشورى: ٥٢.

(٣)النجم:٨-١١.

(٤)الكشاف:٥/ ١٦٥.

٢- عوارض التركيب فى أول سورة ص:

- **حذف جواب القسم**: حذف جواب القسم، واختلف العلماء فى تقديره كما ذكر من قبل، ولكن أكثر علماء التفسير على أنه محذوف، "وقالت كثرتهم إن جواب القسم محذوف[١]." وحذف الجواب هنا لتذهب النفس فيه كل مذهب، "والغرض من حذف الجواب هنا الإعراض إلى ما هو أجدر منه بالذكر وهو صفة الذين كفروا وكذبوا القرآن عنادا وشقاقا منهم[٢]."

- **تقديم جواب القسم**: ذكر بعض العلماء أن جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿صٓ﴾ والمقسم به هو قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ وبذلك يكون القسم قد تقدم على جوابه؛ "لأن المعنى والقرآن لقد صدق محمد قاله الفراء وثعلب أيضاً؛ وهذا بناء منهما على جواز تقديم جواب القسم وأن هذا الحرف مقتطع من جملة دالّ هو عليها وكلاهما ضعيف[٣]."، ورأى الفراء أن ص فى معناها بمعنى وجب ونزل وحق والله: "و(ص) فى معناها كقولك: وجب والله، ونزل والله، وحق والله، فهى جواب لقوله ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾[٤]."

- **العدول**: عدل بـ(الذين كفروا) بدلا من (الكافرين) "لما في صلة الموصول من الإيماء إلى الإخبار عنهم بأنهم في عزة وشقاق[٥]."

٣- عوارض التركيب فى أول سورة ق:

- **حذف جواب القسم**: حذف جواب القسم لتذهب النفس فيه إلى تأويلات مختلفة تتفق مع بداية السورة بحرف (ق) وهو حرف من الحروف المقطعة التى اختلف العلماء فى تأويلها، وهو تحد من الله لخلقه أن يأتوا بمثل هذا القرآن: "فيدل

---

(١)القسم فى القرآن الكريم للدكتور شوقى ضيف:٧٨.
(٢)التحرير والتنوير:٢٣/ ٢٠٤.
(٣)الدر المصون: ٩/ ٣٤٥، اللباب فى علوم الكتاب:١٦/ ٣٦٤.
(٤)معانى القرآن للفراء:٢/ ٣٩٦-٣٩٧.
(٥)التحرير والتنوير:٢٣/ ٢٠٥.

عليه ابتداء السورة بحرف (ق) المشعر بالنداء على عجزهم عن معارضة القرآن بعد تحديهم بذلك، أو يدل عليه الإضراب في قوله: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾. والتقدير: والقرآن المجيد إنك لرسول الله بالحق، كما صرح به في قوله: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (يس: ١-٤). أو يقدر الجواب: إنه لتنزيل من رب العالمين، أو نحو ذلك كما صرح به في نحو ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الزخرف: ١ - ٣) ونحو ذلك[(١)]."

- **قدم الله – عز وجل – قوله تعالى: (منذر) على قوله (منهم)** ليبين هذا المنذر: "فإن قيل النبي صلى الله عليه وسلم كان بشيرا ونذيرا والله تعالى في جميع المواضع قدم كونه بشيرا على كونه نذيرا، فلم لم يذكر: عجبوا أن جاءهم بشير منهم؟ نقول هو لما لم يتعين للبشارة موضعا كان في حقهم منذرا لا غير[(٢)]."، وقدم الله عز وجل (تنذر) على (منهم) ولم يقل: "أن جاءهم منهم منذر ليدل على أن ما أنذرهم به هو الباعث الأصلي لتكذيبهم إياه وأن كونه منهم إنما قوى الاستبعاد والتعجب[(٣)]."

٤- عوارض التركيب في أول سورة الزخرف:

- **عدم الفصل بين المقسم به والمقسم عليه**، وكأن المراد أن يكون القسم بالكتاب المبين على أن القرآن عربي فلا تتركوا التدبر فيه؛ لأنه واضح مبين لكل ما تحتاجون إليه.

---

(١)التحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٧٧، مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٩/ ١٤٩.

(٢)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٩/ ١٥٠، ذكر الرازي أنه في كل المواضع التي جاء فيها قوله تعالى: (بشيرا ونذيرا) تقدم البشير على النذير، **وهذا القول فيه نظر**؛ لأن كلمة (نذير) تقدمت على (بشير) مرتين في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٨، وقوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ هود:٢، واجتمعت الكلمتان معا في ثمان آيات من آي القرآن الكريم في سورة البقرة:١١٩، وسورة المائدة ١٩ تكررت تقديم البشير على النذير مرتين في هذه الآية،وسورة سبأ: ٢٨، سورة فاطر:٢٤، وسورة فصلت: ٤، تقدمت كلمة (بشير) على (نذير) ست مرات وتأخرت عنها في المرتين التي ذكرا آنفا.

(٣)التحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٧٩.

- **تكرار كلمة (مبين)** فى سورة الزخرف ست مرات، فى الآيات (٢، ١٥، ١٨، ٢٩، ٤٠، ٦٢) فالكتاب مبين ورسوله صلى الله عليه وسلم مبين لما جاء به ولما فى الكتاب.

٥- عوارض التركيب فى أول سورة الدخان:

- **تنكير كلمة (ليلة) للتعظيم**: "ووصفها بـ "مباركة" تنويه بها وتشويق لمعرفتها. فهذه الليلة هي الليلة التي ابتدىء فيها نزول القرآن على محمد (صلى الله عليه وسلم) في الغار من جبل حراء في رمضان قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ (البقرة: ١٨٥). والليلة التي ابتدىء نزول القرآن فيها هي ليلة القدر قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾(القدر: ١). والأصح أنها في العشر الأواخر من رمضان وأنها في ليلة الوتر. وثبت أن الله جعل لنظيرتها من كل سنة فضلا عظيما لكثرة ثواب العبادة فيها في كل رمضان كرامة لذكرى نزول القرآن وابتداء رسالة أفضل الرسل (صلى الله عليه وسلم) إلى الناس كافة. قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ (القدر:٤، ٥)[١]."

٦- عوارض التركيب فى أول سورة القلم (ن):

- تكرار حرف (النون)، وأطلق بعض العلماء على هذه السورة (سورة ن) وسبقت الإشارة إليه.

- **العدول** بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ عن (المسطور) "ويحتمل أن يكون المراد المسطور والمكتوب، وعلى التقديرين فإن حملنا القلم على كل قلم في مخلوقات الله كان المعنى ظاهرا، وكأنه تعالى أقسم بكل قلم، وبكل ما يكتب بكل قلم، وقيل: بل المراد ما يسطره الحفظة والكرام الكاتبون[٢]."

- **الاعتراض** بقوله تعالى: ﴿ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ﴾وتقدم ذكره فى جواب القسم.

---

(١)السابق:٢٥/ ٢٧٧.

(٢)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٣٠/ ٧٨-٧٩.

- **المقسِم (المتكلم): هو الله عز وجل.**

- **المخاطب بالقسم:**

أولا: المخاطب بالقسم فى أول سورة يس: هو الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى قوله تعالى: (إنك لمن المرسلين). وجاء القسم رفضا لكل من شكك فى نبوته ورسالته وتأكيدا من الله له بأنه رسول من المرسلين، ووصف القرآن بالحكمة لأنه كلام الله – وهل يكون كلام الحكيم إلا حكيما؟ ثم وصف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالحكيم فكلاهما حكيم، كتاب الله ورسوله، والمتبع لله ورسوله فهو أيضًا حكيم، وسائر على الصراط المستقيم.

ثانيًا: المخاطب بالقسم فى أول سورة ص: عام لكل الناس والكافرون خاصة، لأن الله عز وجل قال عنهم: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾، وقالوا عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – إنه ساحر، وتهكموا: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[1] وقالوا عن القرآن: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[2].

ثالثا: المخاطب بالقسم فى أول سورة ق: الخطاب للناس كافة، وللمنكرين الذين أنكروا أن يأتيهم منذر منهم يعرفونه، وقال الله عنه من قبل أنه صاحبهم: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾[4]، أى منهم.

رابعا: المخاطب بالقسم فى أول سورة الزخرف: يشمل الخطاب المنكرين والمكذبين للكتاب من العرب الذين بعث فيهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – والمنكرين عامة.

---

(١)الزخرف: ٣١.
(٢)الفرقان: ٥.
(٣)النجم: ٢.
(٤)التكوير: ٢٢.

خامسًا: المخاطب بالقسم فى أول سورة الدخان: عام لكل الناس، وخاص لمن شكك فى القرآن الكريم.

سادسًا: المخاطب بالقسم فى أول سورة القلم (ن): هو النبى صلى الله عليه وسلم.

الغرض من القسم.

أولا: الغرض من القسم فى أول سورة يس: تأكيد نبوة الرسول – صلى الله عليه وسلم – والقسم للرد على من أنكر هذه النبوة: "قالت كفار قريش: لست مرسلا، وما أرسلك الله إلينا، فأقسم الله بالقرآن الحكيم: إن محمدًا من المرسلين[1]."

ثانيًا: الغرض من القسم فى أول سورة ص: الغرض من القسم هو **التحدى لأمة العرب ولغيرهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذى يتكون من حروف اللغة، ومنها الحرف (ص)**، وتحدى أيضا بأن يكون هناك كتاب فيه ذكر كل شىء يحتاجه الناس على مر العصور، وفيه ذكرالآخرة وما فيها، فالغرض من القسم:

١- الرد على المشركين فى اعتراضهم على القرآن واعتراضهم على النبى صلى الله عليه وسلم.

٢- مؤازرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأن الله معه، كما نصر الأنبياء السابقين، وذكر منهم فى سياق السورة سيدنا داود عليه السلام: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾[2]

٣- توكيد الرسالة بالقرآن ذى الذكر.

ثالثًا: الغرض من القسم فى أول سورة ق: إثبات النبوة والبعث.

رابعًا: الغرض من القسم فى أول سورة الزخرف: إثبات صدق الكتاب وأنه مبين لكل أمور الخلق مما يدعو إلى التدبر، ويضمن أيضا إثبات الرسالة وإثبات البعث.

---

(١)الجامع لأحكام القرآن:١٧/ ٤١٠.

(٢)ص: ١٧.

خامسًا: الغرض من القسم فى أول سورة الدخان: إثبات الرسالة وإقرار أمر النبوة.

سادسا:الغرض من القسم فى أول سورة القلم (ن): تنزيه النبى عن الفرى التى زعمها الكفار وغيرهم، خاصة بعد أن تكررت أقوال الكفار فى مكة بأنه شاعر،وقالوا ساحر، وقالوا مجنون، ولم يكتفوا بالقول، بل كانوا يؤذن النبى – صلى الله عليه وسلم – بأبصارهم، وذكر الله تعالى ذلك فى سياق السورة نفسها فى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾[1].

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه.

أولا: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى سورة يس: أقسم الله – عز وجل – بالقرآن ووصفه بالحكيم لربط هذه الحكمة بالمقسم عليه، وهو الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهل يكون رسول الله إلى خلقه إلا حكيمًا، وسائرًا على الصراط المستقيم، وهل يسير على الصراط المستقيم إلا الحكيم، كما أن من أسماء الله الحسنى (الحكيم) وقرآنه الحكيم ورسوله الحكيم ومن اتبع هداه وسار على الصراط المستقيم فهو حكيم، وورد عن السيدة عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت عن النبى – صلى الله عليه وسلم – "كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن قول الله عز وجل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]."[3]، ويشير هذا القسم إلى "تحقيق رسالة محمد صلى

---

(١)القلم: ٥١، واتهم الكفار النبى صلى الله عليه وسلم بالجنون، والشعر، والسحر فى: (سورة الحجر: ٦، وسورة الصافات: ٣٦، وسورة الدخان: ١٤، وسورة القلم: ٢ – ٣، وسورة التكوير:٢٢، وقال قوم فرعون على سيدنا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ الشعراء: ٢٧، هذا دأب المكذبين، حيث قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ الذاريات: ٥٢، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾. القمر: ٩.

(٢)القلم: ٤.

(٣)مسند الإمام أحمد: ٦/ ٩١، ونص الحديث: "حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا هاشم بن القاسم قال ثنا مبارك عن الحسن عن سعد بن هشام بن عامر قال أتيت عائشة فقلت يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عن سعد بن هشام بن عامر. قال: أتيت عائشة. فقلت : يا أم =

الله عليه وسلم وتفضيل الدين الذي جاء به في كتاب منزل من الله لإبلاغ الأمة الغاية السامية وهي استقامة أمورها في الدنيا والفوز في الحياة الأبدية، فلذلك وصف الدين بالصراط المستقيم كما تقدم في سورة الفاتحة[1]."

ثانيًا: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى سورة ص: ذكر من قبل فى (عنصر جواب القسم) أن العلماء اختلفوا فى جواب القسم بين الذكر والحذف فى هذا الموضع، واختلفوا فى تقدير الجواب المحذوف على أقوال مختلفة، منها:

- أن الجواب: لقد جاءكم الحق، ونحوه.
- أن الجواب: إنه لمن عند الله لهذا عجزتم عن الإتيان بمثله.
- أن الجواب: ما الأمر كما تزعمون أنه ساحر أو مجنون أو غيرها من الأقاويل التى زعمها الكفار على النبى صلى الله عليه وسلم والتى رددها أقوام الأنبياء السابقين مع رسلهم.
- أن الجواب: لتبعثن: "وقال قتادة: الجواب محذوف تقديره "وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ" لتبعثن ونحوه[2]."
- أن الجواب: محذوف يدل عليه السياق.

العلاقة بين القسم وجوابه هنا تأتى من أن الله قيد القسم بـ ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ وتحداهم فى الجواب بأن هذا الذكر حق، وأنه من عند الله؛ لهذا أعجزتهم عن الإتيان بمثله... وغيرها مما فسره علماء التفسير فى الجواب المحذوف (إنه لمعجز فهو من عند الله).

= المؤمنين اخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت: كان خلقه القران أما تقرا القران قول الله عز وجل: (وإنك لعلى خلق عظيم). قلت: فإني أريد أن أتبتل. قالت: لا تفعل أما تقرا: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ولد له.

(١)التحرير والتنوير:٢٢/ ٣٤٢.

(٢)الجامع لأحكام القرآن :١٨/ ١٢٥.

ويلاحظ أن هناك تناسبًا بين الحرف (ص) وما يقصد به – وبين المقسم به والمقسم عليه، وهذا الكلام يتضح من سياق الكلام ومعانى (ص) التى ذكرها علماء التفسير، ومن هذه المعانى: "أن معناه: **صدق** رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يبلغ عن الله إلى غير ذلك من الأقوال[١]." فكأن الله أقسم بالقرآن ووصفه بذى الذكر إنه لصادق، وأن رسوله – صلى الله عليه وسلم – صادق أيضًا، ولسوف تبعثون وتعرفون ذلك، ويومئذ لا مناص تلجأون إليه، والدليل على ذلك إهلاك الأمم السابقة ولم يجدوا لهم من دون الله وليًّا ولا نصيرا، ولم يجدوا مناصا من عذاب الله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾[٢] فجمع القسم بين صدق المتكلم (الله عز وجل) وصدق الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذى أنزل الله عليه هذا الكتاب، وصدق الرسالة التى جاء بها.

ثالثًا: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى أول سورة ق: أقسم الله – عز وجل – بالقرآن ووصفه بـ (المجيد) وفى هذا الوصف تأكيد على أن هذا القرآن يشمل كل الفضائل، فهو من السعة والشرف والكرم بمكان، وتعددت آراء العلماء فى الجواب المحذوف إلى **عدة تأويلات، منها:**

– تقديره: لتبعثن، أو لقد جئتهم منذرا، أو أنزلناه إليك لتنذر به الناس، فالمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه تتضح من تمجيد كتاب الله وما يشمل من الشرف والفضل والصفات الحسنة التى يتصف بها الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأن من امتثل لأوامر الله وعلم أحكامه التى أنزلها فى قرآنه المجيد مجِّد[٣]، "ووصف القرآن بالمجيد لكثرة ما يتضمن من المكارم الدنيوية والأخروية[٤]."

وهناك **تناسب بين افتتاح هذه السورة بالقسم وختام السورة السابقة** (سورة الحجرات)، التى اختتمت بقوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن

(١)معالم التنزيل فى تفسير القرآن:٧/ ٦٩، أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن:٧/ ٧.
(٢)ص: ٣.
(٣)إعراب القرآن وبيانه محيى الدين الدرويش:٩/ ٢٨٣.
(٤)المفردات فى غريب القرآن: ٤٦٣.

قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[1]، ونفى الإيمان يعنى إنكار النبوة ونفى البعث؛ لذلك افتتحت هذه السورة (سورة ق) بالتعجب من مجيء منذر منهم فى قوله تعالى: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾[2]، مقسما بالقرآن المجيد لإثبات النبوة والبعث، وإعلاء لشأن القرآن الكريم[3].

يتشابه القسم فى (سورة ق) مع القسم فى (سورة ص) من حيث القسم بالقرآن ومن حيث التركيب، مع اختلاف فى بعض العناصر التركيبية، ومن حيث الافتتاح بالحروف المقطعة، واستخدام الحرف (بل). كما يشتركان فى التناسب بين أول السورتين وآخرهما، حيث "يشتركان في افتتاح أولهما بالحرف المعجم والقسم بالقرآن بعده وقوله بعد القسم: بل والتعجب. ويشتركان أيضا في أن أول السورتين وآخرهما متناسبات لأنه تعالى قال في أول السورة: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾[4] وفي آخرها: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[5] وقال في أول ق: ﴿ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾[6]، وقال في آخرها: ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾، فافتتح بما اختتم به. وأيضا في أول ص صرف العناية إلى تقرير الأصل الأول وهو التوحيد لقوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾[7] وفي هذه السورة صرف العناية إلى تقرير الأصل الآخر وهو الحشر فقال تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴿٣﴾ ﴾، فلما كان افتتاح سورة "ص" في تقرير المبدأ قال في آخرها: ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ ﴾وختمه

---

(١)الحجرات: ١٤.
(٢)ق: ٢.
(٣)ينظر البحر المحيط:٨/ ١٢٠.
(٤)ص: ١.
(٥)ص: ٨٧.
(٦)ق: ١.
(٧)ص: ٥.

بحكاية بدء آدم، لأنه دليل الوحدانية، ولما كان افتتاح "ق" لبيان الحشر قال في آخرها: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]."

السياق الذى ورد فيه القسم فى السورتين هو سياق إثبات الرسالة: "ومن وجوه الصلة بين القسمين أنهما واقعان فى سياق إثبات الرسالة، ولكنه فى (سورة ص) صرف العناية إلى تقرير الأصل الأول وهو التوحيد بقوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾[3]، وفى هذه السورة تقرير الأصل الآخر وهو الحشر، بقوله تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾"... وهذا يعنى أن للقسم فى كلا الموضعين سياقا خاصا يحتفى فيه بأصل من أصول الرسالة دون غيره، وإن كان إثبات الرسالة هو المقصود والأهم والأعم فى كلا السياقين[4]."

رابعًا: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى أول سورة الزخرف: ورد القسم بالقرآن ثلاث مرات، وبالكتاب المبين مرتين، فى سورة الزخرف والدخان: "وهو من الأيمان الحسنة البديعة، لتناسب القسم والمقسم عليه، وكونهما من واد واحد[5]."، وهذا الاتحاد بين المقسم به والمقسم عليه، يؤكد كل منهما الآخر، فالقرآن مبين بذاته، كما أن الله أنزله عربيًّا بلغة قوم عرف عنهم تمكنهم من اللغة وتباريهم فيها: "وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن، فقد يقول الرجل إذا أراد تعظيم رجل له حاجة إليه: أستشفع بك إليك وأقسم بحقك عليك[6]."، فالقرآن الكريم حكيم فى إبانته وفى لغته، والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى جمع بين كونه كتابا، وكونه مقروءًا محفوظا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا

---

(١)اللباب فى علوم الكتاب:١٨/ ٤.

(٢)ص: ٥.

(٣)ص: ٦.

(٤)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٨/ ١٤٥، القسم فى القرآن الكريم – دراسة بلاغية:٤١٧.

(٥)الكشاف: ٥/ ٤٢٥.

(٦)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٧/ ٢٣٨.

لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1]، فلا شيء أعلى من القرآن فيقسم به وعليه:"والقسم بالقرآن على ذلك من الأيمان الحسنة البديعة لما فيه من رعاية المناسبة والتنبيه على أنه لا شيء أعلى منه فيقسم به ولا أهم من وصفه فيقسم عليه[2]."

هناك تناسب فى السياق بين افتتاح سورة الزخرف بالقسم وختام سورة الشورى، التى انتهت بقوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴾[3]، ثم بدأت سورة الزخرف بقوله تعالى:﴿ حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾[4] وتكرر فى سورة الشورى ذكر القرآن والكتاب فى ستة مواضع[5]. وتمشيا مع السياق العام للسورة فقد تكررت كلمة الكتاب وكلمة القرآن أكثر من مرة[6]. فى (سورة الزخرف وسورة الدخان) فى سورة الشورى وفى سورة الجاثية (فى الآية ٢، ١٦)، وبذلك لم يخرج القسم عن السياق الذى ورد فيه بالقسم بالكتاب"ولعل ما يشير إلى دقة الصلة بين هذا القسم وآخر السورة التي سبقته ذلك التناغم البديع بين وصف القرآن الكريم في المقسم عليه بالعلي الحكيم في قوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[7] وبين مجيء هذين الوصفين – متواليين أيضا في صفة الله تعالى، في سياق الحديث عن كيفية اتصال وحيه سبحانه بالبشر في قوله تعالى في آخر سورة الشورى:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ

---

(١)الحجر: ٩.

(٢)روح المعانى : ٢٥/ ٦٤.

(٣)الشورى: ٥٢ – ٥٣.

(٤)الزخرف: ١ – ٢.

(٥)فى سورة الزخرف: ٣، وسورة الشورى: ٧، ١٤،١٥، ١٧، ٥٢ – ٥٣.

(٦)تكرر ذكر الكتاب ومشتقاته فى سورة الزخرف فى الآيات : ٢ ، ٤ ، ١٩ ، ٢١ ،٨٠ – وبالذكر فى آيتين : ٥ ، ٤٤ ، كما تكرر ذكر (القرآن) فى نفس السورة فى آيتين فقط هما: ٣،٣١.

(٧)الزخرف: ٤.

عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1]."[2]، أى أن الذى وصف بأنه (على حيكم) هو الله – عز وجل – والقرآن الكريم، فى قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[3].

كما تكررت كلمة (المبين) الموصوف بها الكتاب فى القسم بالكتاب المبين ومشتقاتها المختلفة فى أكثر من موضع[4]، ومن الصلة والمناسبة بين القسم وجوابه أن الله أقسم بالكتاب المبين على أن جعل القرآن عربيًّا، واستخدام ضمير العظمة (أنا) يدل على أن الكتاب مبين؛ لأن الذى جعله عربيًّا هو الله عز وجل، وهى معجزة من معجزات الله، فليس هناك كتاب مبين يعرب عما به من أحكام وكل ما يحتاجه الناس جميعا مثل القرآن الكريم.

هناك مناسبة بين قوله تعالى (حم) – أحد الحروف المقطعة – والقسم بالكتاب المقسم عليه؛ لأنه من التحدى والإعجاز؛ حيث إن هذا الكتاب المكون من هذه الحروف التى تتحدثون بها – هو مبين وجعله الله قرآنا عربيا لكى تعقلوا ما فيه، كما أنه محفوظ لدينا فى اللوح المحفوظ :"وفي جعل المقسم به القرآن بوصف كونه مبينا، وجعل جواب القسم أن الله جعله مبينا، تنويه خاص بالقرآن إذ جعل المقسم به هو المقسم عليه، وهذا ضرب عزيز بديع لأنه يومئ إلى أن المقسم على شأنه بلغ غاية الشرف فإذا أراد المقسم أن يقسم على ثبوت شرف له لم يجد ما هو أولى بالقسم به للتناسب بين القسم والمقسم عليه[5]" جمع الله فى هذا القسم وجوابه اسمين من أسماء القرآن وهما (الكتاب، والقرآن) والمراد بالكتاب أنه سيكتب، وقد حدث عن طريق كتاب الوحى، ووصف الله الكتاب فى القسم بالمبين، واختيار القسم بالكتاب على القرآن له معنى يتناسب مع السياق؛ لأن القرآن وصف بأوصاف كثيرة، منها:

---

(١)الشورى: ٥١.
(٢)القسم فى القرآن الكريم دراسة بلاغية: ٢/ ٤٤٦.
(٣)الزخرف: ٤.
(٤)فى الآيات: ١٥ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٤٠ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٣.
(٥)التحرير والتنوير: ٢٥/ ١٥٩.

القرآن، والكتاب، والفرقان، والذكر، والنور، والموعظة، التنزيل، الكلام، الحديث، الموعظة، الهادى، الحق، البيان، المنير، الشفاء، العظيم، الكريم، المجيد، العزيز[1]."فحصل بهذا الوصف أن الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم جامع لوصفين: كونه كتابا، وكونه مقروءا على ألسنة الأمة. وهذا مما اختص به كتاب الإسلام[2]."، وعلى الرغم من أن القرآن نزل بلسان عربى مبين إلا أن كثيرين يولون وجوههم عنه، وفى ذلك ذم لمن لا يتدبر معانيه، وفى الوقت نفسه مدح للغة العربية التى نزل القرآن بها.

خامسًا: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى أول سورة الدخان: أقسم الله – عز وجل – بالكتاب ووصفه بالمبين، وهو قسم على بداية نزول القرآن، وفى ذلك تناسب بين المقسم به والمقسم عليه؛ لأن الهاء فى قوله تعالى: (أنزلناه) تعود على الكتاب أى القرآن، وأقسم الله بالكتاب ووصفه بـ (المبين) فى أول سورة الزخرف وسورة الدخان؛ فالكتاب مبين؛ لأنه عربى، أى أنه يعرب عما فيه من أوامر ونواه، ومبين؛ لأنه نزل فى ليلة باركها الله قبل نزول القرآن إلى يوم الدين.

وهناك تناسب بين القسم فى أول السورة وما جاء عقب القسم؛ "حيث انتقل من الإخبار عن شكهم فى ذلك الكتاب المبين إلى الأمر بارتقاب العذاب فقال سبحانه:﴿ **بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ** ﴾[3] وانتقل من هذا الانتقال في خاتمة السورة أيضًا- بعد ذكر الغاية من كونه مبينًا – معبرًا بالفعل نفسه: ﴿ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾[4] فهذا التناغم العجيب يصل السياق الذي ورد فيه القسم في أول السورة بآخرها، على نحو يربط بين

---

(١)من أسماء القرآن أيضا: (النعمة- الرحمة- الروح- الحبل- القصص- المهيمن- الحكم- الذّكر- السراج- البشير- النذير- التبيان – الشافى – الحكيم – الصراط المستقيم – النبأ العظيم – الميزان – أحسن الحديث والكتاب المتشابه – والمثانى – وحق اليقين – والتذكرة – الكتاب الحكيم – القيم).

(٢)التحرير والتنوير: ٢٥/ ١٦٠.

(٣)الدخان: ٩ – ١٠.

(٤)الدخان: ٥٩.

دلالات السياقين ويوثق صلة القسم وعناصرها بسياق السورة كلها[1]." وكما وصف الله الكتاب بالمبارك[2] وصف الليلة التى أنزل فيها هنا فى جواب القسم بالمباركة، وأقسم بـ (الكتاب) ووصفه بـ (المبين) على زمن نزوله لبيان أنه مبين لما فيه من البركة؛ والهدى والرشاد كبركة ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر.

سادسا: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى أول سورة القلم(ن): أقسم الله بالقلم وما يسطرون، وسبق القسم بحرف من الحروف المقطعة، وهو الحرف (ن)، ومن معانيه الدواة التى تحوى الحبر، وهى مناسبة للسياق لمناسبة القلم مع الدواة، والغرض من هذا القسم نفى الزعم الذى زعمه الكفار للنبى - صلى الله عليه وسلم - بالجنون فنفى الله ذلك بالقسم فقال تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]، وكأن هذه النعم التى أنعم الله بها على النبى - صلى الله عليه وسلم - وهى المكتوبة فى اللوح المحفوظ يعرضها الله فى كتابه حتى ينفى هذه التهم عن رسوله – صلى الله عليه وسلم – فهناك مناسبة بين المنطوق (ن) والمكتوب بالقلم فى اللوح المحفوظ، وبين الملموس الذى رأه الكفار وعايشوه من أخلاق الرسول - صلى الله عليه وسلم - ورجاحة عقله، وبصبره عليهم سينال الأجر العظيم، وسيرون ذلك: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾[4] وذلك يوم القيامة عندما يحاسبون على أقوالهم وأعمالهم، فالربط والمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه هو ربط بين العلم ومن أرسله الله به؛ فالقسم بالقلم وما يكتبه إشارة إلى العلم الذى ينفع الناس[5]. والجواب بـ (أنت) تصريح بالمخاطب، وهو النبى - صلى الله عليه وسلم - فكيف يكون من جاء بهذا،

---

(١)القسم فى القرآن الكريم – دراسة بلاغية:٢/ ٤٦٠.

(٢)ورد وصف الكتاب بالمبارك فى سورة الأنعام: ٩٢، ١٥٥، وسورة ص: ٢٩، ووصفه فى سورة الأنبياء: ٥٠ بأنه ذكر مبارك.

(٣)القلم: ٢ - ٦.

(٤)القلم: ٥ - ٦.

(٥)القسم فى القرآن الكريم- للدكتور شوقى ضيف:٥٨-٥٩.

أو القرآن أو (القلم) – كيف يكون مجنونا؟ كما تقول سبحانك اللهم، أى بحمد الله، ثم يؤكد هذا القسم ببشارة الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأن له أجرا غير ممنون، ويثنى على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، وهو من الاستعلاء، فأقسم بالقلم الذى يكتب به على أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ليس بمجنون، وعطف عليها بما يبشره – صلى الله عليه وسلم – يؤكد حصوله على أجر غير ممنون، وبالثناء عليه بحسن الخلق، وأكدت الجملتان بـ (إن واللام).

الدليل على صدق الجواب.

أولا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة يس: جاء الدليل على صدق الجواب فى سياق السورة نفسها؛ إذ أقسم الله – عز وجل – بالقرآن ووصفه بالحكيم على أن النبى – صلى الله عليه وسلم – مرسل من ربه بأدلة كثيرة فى سياق السورة نفسها وفى غيرها، ومن سياق السورة اختيار دلائل مناسبة للمقام الذى وردت فيه الآيات، حيث إن القرآن الذى وصفه الله هنا بالحكيم دليل على رسالة النبى صلى الله عليه وسلم، وهل هناك كتاب يجمع كل أنواع الحكمة والإحكام مثل القرآن الكريم؟ **ومن هذه الأدلة:**

– قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، وهل هناك صراط مستقيم يؤدى إلى الله تعالى أفضل من صراط الله؟

– أن القرآن الذى وصفه الله هنا بالحكيم ليس من عند النبى – صلى الله عليه وسلم – بل هو منزل من عند الله: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، إكمالا لمقتضيات الحكمة.

– أن النبى – صلى الله عليه وسلم – هو الوحيد الذى أقسم الله – عز وجل – فى القرآن الكريم على أنه من المرسلين.

– "القسم فى هذا الموضع لا يعتمد في تأكيده للمقسم عليه على ملابسات المقام فحسب، بل إن فى تركيبه ما يؤكد المقسم عليه ويدفع إلى الإيمان المطلق بصحته، وذلك واضح فيما أشار إليه الرازي من أن فى القسم هنا دليلا على المقسم عليه،

فالقرآن معجزة والمعجزة هى دليل كونه مرسلا، وإنما سيق هذا الدليل فى صورة القسم اليمين لتكون الدواعي إلى الإصغاء إليه والاهتمام به أقوى، فيتشربه الفؤاد فيقع فى السمع وينفع فى القلب[1]."، وأكد الله – عز وجل – رسالة النبى فى سياق القرآن الكريم، ولكن بصور غير صورة القسم، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾[2]، وناداه الله عز وجل بقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ... ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ... ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[5]، وكانت العرب تصدق النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾[6].

ثانيًا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة ص: من الأدلة على صدق الجواب فى سياق السورة نفسها قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾ قيل إن القسم هنا لا يحتاج إلى جواب لدلالة السياق والمقام "ودل على المحذوف قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[7]."؛ فالله عز وجل ذكر الدليل على الجواب فى القسم نفسه بقوله تعالى : ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ فالله – عز وجل – أقسم على أن القرآن فيه ذكر كل شىء وهو تذكير لأولى الألباب فوصفه بقوله تعالى: ﴿ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ "كمن أراد أن يقسم على أن الرسول حق، فقال: والذي أرسل محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وأيده بالآيات البينات، وأظهر دعوته و أعلى

---

(١)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: ٢٦/ ٤١، أسلوب القسم فى القرآن الكريم – دراسة بلاغية: ٢/ ٣٩١.

(٢)آل عمران: ١٤٤.

(٣)المائدة: ٤١.

(٤)المائدة: ٦٧.

(٥)التوبة: ١٢٨.

(٦)الأعراف: ١٥٨.

(٧)التبيان فى أيمان القرآن: ٢٠.

كلمته، ونحو ذلك، فلا يحتاج إلى ذكر الجواب، استغناء عنه بما فى القسم من الدلالة عليه[1]."

ثالثًا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة ق: شكك الكفار فى البعث، وفى المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنكروا أن يكون المنذر منهم، وقد تعددت الأدلة على صدق جواب القسم فى القرآن الكريم من خلال سياق السورة، وفى سياق القرآن الكريم، ومن الأدلة على صدق الجواب فى سورة (ق)، قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾[2] فكيف يكفرون بالله ويقولون على الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ساحر، أو شاعر، أو مجنون، وغيرها من الصفات التى وصفوه بها بعد أن أنذرهم بالبعث والعذاب، وهم الذين كانوا يعرفون أمانته وصدقه ورجاحة عقله "﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ ﴾ حين كفروا بالبعث ﴿ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ ﴾ إلى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم ﴿ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا ﴾ رفعناها بلا عمد ﴿ وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ بالكواكب ﴿ وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ فتوق بأن خلقها ملساء متلاصقة الطباق. ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ بسطناها ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً ثوابت. ﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ ﴾ أي من كل صنف. ﴿ بَهِيجٍ ﴾ حسن. ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنعه[3]."

والصورة المجسدة فى الآية الحادية عشرة تبين البعث وتصوره من خلال

---

(١)السابق: ١٤.

(٢)ق: ٥ - ١١.

(٣)أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥/ ١٤٠.

الآيات السابقة لها، ثم يذكر الله – عز وجل – قصص السابقين من قوم نوح، وأصحاب الرس، وثمود، وقوم عاد، وقوم فرعون، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، وقوم تبع وغيرهم ممن كذبوا رسلهم وعاقبتهم، ثم يقول الله – عز وجل – لنبيه: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[1]، وتعددت الأدلة على صدق الرسول وصدق الرسالة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[2]، وفى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[3] كما نسوا أن الله أرسل لكل أمة رسولا كما:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾[4].

رابعا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة الزخرف: أقسم الله على أن القرآن نزل عربيًّا حتى يعقله أولو الألباب ويمتثلوا لأوامره وينتهوا عن نواهيه، وقد يتوهم أن هذا الجواب لا يحتاج إلى دليل على كون القرآن عربيًّا، والحقيقة أن القسم نفسه تضمن ما يؤكد صدقه، إذ أقسم الله بالكتاب ووصفه بالمبين، وأنه علىٌّ حكيم، وفى القسم على أن الله أنزل القرآن عربيّا ترغيب لغير العرب لتعلمه وتدارسه، وفيه أيضا دعوة لنشر الدين الإسلامى والقرآن مما يعنى نشر اللغة العربية ووقوفها صامدة أمام غزو اللغات الأخرى بثقافاتها التى تخالف تعاليم الدين الإسلامى، وفيه أيضا تأكيد على سهولة اللغة العربية، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ

---

(١)ق: ٣٩ – ٤٥.
(٢)البقرة: ١١٩.
(٣)سبأ: ٢٨.
(٤)فاطر: ٢٤.

يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[1]، وأن اللغات الأخرى قد تغيرت وتتغير على مر السنين كالإنجليزية والفرنسية وكثير من اللغات اللاتينية التى تجدها مختلفة عن اللغة الأم التى نشأت عليها، أما القرآن فقد حفظ اللغة العربية من الاندثار كما اندثرت لغات كثيرة، منها القبطية فى مصر، والفينيقية فى لبنان، وغيرها من اللغات، ألا أن اللغة العربية لا تزال باقية بإذن الله إلى يوم القيامة، وكما قال حافظ على لسان العربية:

وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً ... وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل ساءلوا الغوَّاص عن صَدَفاتي[2]؟

خامسًا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة الدخان: الدليل هنا على أن الكتاب نزل فى ليلة مباركة؛ حيث ورد فى سياق السورة قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[3]، وهناك دليل آخر، فى قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾[4] بعدما استمر كفار قريش فى عنادهم من الكفر بالكتاب والتمادى فى إيذاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، وورد فى سياق القرآن أيضا ذكر نزول القرآن فى ليلة القدر فى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[5].

سادسا: الدليل على صدق الجواب فى أول سورة القلم (ن): يأتى الدليل هنا على نفى الجنون عن النبى صلى الله عليه وسلم، حيث قال تعالى فى جواب القسم فى هذا الموضع:﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ

---

(١)القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

(٢)ديوان حافظ إبراهيم: ٢٥٣– ٢٥٤، والأبيات من بحر الطويل.

(٣)الدخان: ٤.

(٤)الدخان: ١٠.

(٥)القدر: ١ – ٣.

خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾[1] وقد تكرر نعت كثير من الأنبياء بصفة الجنون أو السفاهة من المشركين فى القرآن الكريم، حيث وصِف سيدنا نوح – عليه السلام – من كفار قومه بالجنون، فى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾[2] وقال فرعون على سيدنا موسى: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾[3] ووصف قوم عاد سيدنا هود بالسفاهة، حيث قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4]، وقال كفار مكة عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾[5]، وفى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[6]، ولكن الله نفى عن رسوله – صلى الله عليه وسلم – صفة الجنون فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾[9]، فلم يقل الكفار عن النبى هذه الأقوال إلا بعد أن أخبرهم بالرسالة وبأنهم سيعذبون إن لم يؤمنوا بالله وبرسوله، وقد كانوا يصفونه بالصادق الأمين، وفى الحديث: "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ثم لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي

---

(١)القلم: ٢ – ٦.
(٢)القمر: ٩.
(٣)الشعراء: ٢٧.
(٤)الأعراف: ٦٥ – ٦٧.
(٥)القلم: ٥١.
(٦)الحجر: ٦.
(٧)القلم: ٢.
(٨)الطور: ٢٩.
(٩)التكوير: ٢٢.

لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب. [1]" أليس القرآن دليلا على صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - ودليلا على نفى الصفات الذميمة التي وصفوه بها، أو تحتاج الشمس إلى دليل : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[2].

(١)صحيح البخارى، كتاب بدء الوحى، باب وأنذر عشيرتك الأقربين: ٤/ ١٧٨٧.
(٢)الأنعام: ٣٣.

obeikandl.com

المبحث الرابع

القسم باسم الرب مضافا إلى (ضمير، أو اسم ظاهر) وعلاقته بالسياق

يتناول هذا المبحث المقسم به باسم الرب مضافا إلى ضمير المخاطب، أو ضمير المتكلم أو اسم ظاهر - **غير المتعلق بنفى أو استفهام** - وقد ورد القسم باسم الرب فى القرآن الكريم فى عشرة مواضع، وهى - حسب ترتيبها فى المصحف - وردت فى قوله تعالى:

١- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1].

٢- ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[2].

٣- ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[3].

٤- ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4].

٥- ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾[5].

٦- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا

---

(١)النساء: ٦٥.
(٢)الأنعام: ٣٠.
(٣)يونس: ٥٣.
(٤)الحجر: ٩٢ - ٩٣.
(٥)مريم: ٦٨.

يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[1].

٧- ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾[2].

٨- ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾[3].

٩- ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[4].

١٠- ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾[5].

وجاء المقسم به فى ثلاث صور:

الصورة الأولى: القسم باسم الرب المتعلق باستفهام، وذلك **فى ثلاثة مواضع** (فى الآية ٣٠ من سورة الأنعام، وفى الآية ٥٣ من سورة يونس)، ويدرس فى الفصل الثالث: (علاقة القسم بالاستفهام والنفى والشرط).

الصورة الثانية: القسم باسم الرب المتعلق بنفى، وذلك **فى موضعين** (فى الآية ٦٥ من سورة النساء، وفى الآية ٤٠ من سورة المعارج)، وهاتان الصورتان سيتم تناولهما فى الفصل الثالث: (علاقة القسم بالاستفهام والنفى والشرط).

الصورة الثالثة: وجاء المقسم به غير متعلق بنفى أو استفهام، وذلك **فى خمسة مواضع** فى القرآن الكريم، وهى:

١- القسم باسم الرب مضافا إلى ضمير المخاطب فى سورة الحجر الآية ٩٢

---

(١)سبأ: ٣.
(٢)الأحقاف: ٣٤.
(٣)الذاريات: ٢٣.
(٤)التغابن: ٧.
(٥)المعارج: ٤٠.

٢- القسم باسم الرب مضافا إلى ضمير المخاطب فى سورة مريم الآية ٦٨
٣- القسم باسم الرب مضافا إلى ضمير المتكلم فى سورة سبأ الآية ٣
٤- القسم باسم الرب مضافا إلى ضمير المتكلم فى سورة التغابن الآية ٧
٥- القسم باسم الرب مضافا إلى اسم ظاهر فى سورة الذاريات الآية ٢٣

ويتناول هذا المبحث الصورة الثالثة للمقسم به باسم الرب مضافا إلى ضمير المخاطب، أو ضمير المتكلم أو اسم ظاهر، وغير المتعلق بنفى أو استفهام، كما يتناول **القسم بصيغة المفرد**، ولكن فى صورة مختلفة عن القسم فى المباحث السابقة، حيث يأتى القسم بصيغة المفرد مضافا إلى ضمير أو اسم ظاهر، ولهذه الإضافة دلالة تتفق مع السياق الذى ورد فيه القسم بهذه الصورة، ومن سمات القسم باسم الرب أن فيه معنى التلطف والتسلية فى الوقت الذى يهدد الله فيه الكفار والمشركين ويتوعدهم، فضم القسم صورتين شاخصتين:

الأولى: تهديد الكافرين والمشركين وتوعدهم بأشد أنواع العذاب.

الثانية: تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وطمأنته.

كما أن هذا القسم فيه دلالة على قرب النبى - صلى الله عليه وسلم - من ربه بإضافته إليه؛ فالإضافة فيها معنى القرب.

*****

وها هى العناصر التركيبية والسياقية للقسم باسم الرب مضافا إلى ضمير أو اسم ظاهر:

١- **حرف القسم**: الواو، حيث تكرر مع كل الأقسام فى هذا المبحث.

المقسم به.

أولا: القسم باسم الرب مضافا إلى ضمير المخاطب، وجاء ذلك فى موضعين:

- **الأول: فى سورة الحجر** فى قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾، أقسم الله تعالى بذاته وربوبيته مضافًا إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - تسلية وتشريفًا له، والسؤال هنا "يحتمل أن يكون راجعاً إلى المقتسمين

الذين جعلوا القرآن عضين، لأن عود الضمير إلى الأقرب أولى، ويكون التقدير أنه تعالى أقسم بنفسه أن يسأل هؤلاء المقتسمين عما كانوا يقولونه من اقتسام القرآن وعن سائر المعاصي، ويحتمل أن يكون راجعًا إلى جميع المكلفين لأن ذكرهم قد تقدم في قوله: ﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾ أي لجميع الخلق وقد تقدم ذكر المؤمنين وذكر الكافرين، فيعود قوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ على الكل، ولا معنى لقول من يقول إن السؤال إنما يكون عن الكفر أو عن الإيمان، بل السؤال واقع عنهما وعن جميع الأعمال، لأن اللفظ عام فيتناول الكل[1]."

- **الثانى: فى سورة مريم**، فى قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾، والمقسم به هنا هو المقسم به نفسه فى سورة الحجر، فلا داع للتكرار فى تفصيله.

ثانيًا: القسم باسم الرب مضافا إلى ضمير المتكلم[2]، وورد ذلك فى آيتين:

- الآية الأولى:

ورد القسم فيها بعد فعل الأمر (قل) + **بلى** + واو القسم + المقسم به (رب) + ياء المتكلم + جواب القسم، ويتكون من: (جملة فعلية فعلها مضارع مؤكد باللام والنون). **وردت هذه الصورة فى موضعين فى القرآن الكريم:**

- **الأول: فى سورة سبأ**، فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ۖ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾.

- **الثانى: فى سورة التغابن**، فى قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾.

---

(١)مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: ١٩/ ٢١٨.

(٢)ورد القسم باسم الرب مضافا إلى ضمير المتكلم، ولكنه مسبوق باستفهام فى الآية ٥٣ من سورة يونس، فى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾، وتم تناوله مع القسم المسبوق باستفهام.

ففى الموضع الأول من سورة سبأ جاء القسم ردا على منكرى البعث، وهذه السورة من السور المكية، "سبب نزولها أن أبا سفيان لما سمع قوله تعالى :﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ ﴾[1] الآية الأخيرة من سورة الأحزاب قال لأصحابه: كأنَّ محمداً يتوعدنا بالعذاب بعد أن نموت واللاتِ والعزّى لا تأتينا الساعة أبداً، فأنزل الله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ﴾الآية[2]." وسميت سبأ لذكر قصة سبأ فيها، حيث يخاطب الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – بأن يقسم لقومه بأن الساعة لا ريب فيها، وأن الله لا يغيب عنه شيء فى السماوات والأرض، وسيحاسب كل مخلوق على عمله.

أما المقسم به فى الآية ٣ من سورة سبأ فقد جاء فى قوله تعالى:﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾، حيث أمر الله – عز وجل – رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يقسم بذاته، وجاء القسم بعد إنكار الكفار البعث، والقسم بالساعة قسم على البعث، **واختيار اسم الرب فى القسم تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم**، وتحدثوا بصيغة الجمع للدلالة على إجماعهم على نفى الساعة، حيث قالوا: (لا تأينا الساعة)، أى للناس أجمعين، والنفى بـ(لا) يأتى للإطلاق، أى أنهم ينفون مجيء الساعة لهم ولمن قبلهم أو من بعدهم، ثم أتبعه بتأكيد هذا النفى بمجيئها بالقسم عليها بصيغة المضارع المؤكد بـ (اللام) و(نون التوكيد الثقيلة).

وليست هذه هى المرة الأولى التى يُسأل فيها عن الساعة، فقد ورد السؤال عن الساعة فى سياقات مختلفة فى القرآن الكريم، كما فى قوله تعالى:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾[4]، ويتشابه المقسم به هنا مع الحالتين الأخريين من **القسم باسم الرب**

---

(١)الأحزاب: ٧٣.

(٢)التحرير والتنوير:٢٢/ ١٣٤.

(٣)الأعراف: ١٨٧.

(٤)طه: ١٥.

وإضافته إلى ضمير الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتناسب مع السياق لما فيه من معنى الرحمة والتكريم للرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما لا يشترك معه الكفار فيه، وهو الربوبية.

*****

الآية الثانية:

القسم باسم الرب مضافا إلى ضمير المتكلم فى الآية ٧ من سورة التغابن.

هذا هو الموضع الثانى للقسم باسم الرب مضافا إلى ضمير المتكلم، والتى جاءت فى قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[1]، وهو **ثالث موضع** يأمر الله فيه النبى - صلى الله عليه وسلم - بالقسم لتأكيد البعث الذى ينكره الكافرون وهو قسم بعد القول، **وجاء المقسم به** قوله تعالى: ﴿ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[2]، حيث بدأت الآية بالفعل (زعم) الذى تكررت مادته فى القرآن **خمس عشرة مرة، فى أربع عشرة آية**[3] بصيغ الماضى والمضارع والمصدر، ولم ترد بصيغة الأمر، والزعم كنية الكذب: "[الزعم] بالفتح: اعتقاد الباطل بتقول، وقيل: بالفتح قول مع الظن، وبالضم ظن بلا قول، ومن عادة العرب أن من قال كلاما وكان عندهم كاذبا قالوا: زعم فلان،... وقد جاء في القرآن في كل موضع ذم للقائلين، وقد يستعمل بمعنى (قال) مجردا من الكذب[4]." أى أن كلامهم ادعاء باطل بأنهم لن يبعثوا بعد موتهم، **فرد الله عليهم بالقسم على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - بنفى هذا الزعم،** فقال تعالى: ﴿ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي ﴾، وهو إيجاب للنفى، وما يقال فى المقسم به هنا هو ما

---

(١)التغابن: ٧.

(٢)التغابن: ٧.

(٣)ورد ذلك فى المواضع التالية: فى سورة النساء: ٦٠، الأنعام: ٢٢،٩٤، ١٣٦، ١٣٨، الإسراء: ٥٦، ٩٢، الكهف: ٤٨، ٥٢، القصص: ٦٢، ٧٤، سبأ: ٢٢، الجمعة: ٦، التغابن: ٧.

(٤)الكليات: ٤٨٨-٤٨٩، المفردات فى غريب القرآن، مادة (زعم): ٢١٣، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٥/ ١٩٤١-١٩٤٢، لسان العرب:١٢/ ٢٦٤.

يقال فى المقسم به فى الآية ٥٣ من سورة يونس، والآية ٣ من سورة سبأ، ولكن الرد هنا جاء بـ (بلى) إيجاب على نفى التأبيد بالبعث (لن) فردت هذا النفى الذى يزعمون فيه أنهم لن يبعثوا، ثم أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يقسم بربه (وربى)، وفى القسم باسم الرب دلالة على القدرة على البعث، وفيه تسلية وتلطف للرسول - صلى الله عليه وسلم - كما أن فيه تهديدًا ووعيدًا لمنكرى البعث.

ثالثًا: القسم باسم الرب مضافا إلى اسم ظاهر:

وجاءت هذه الصورة للقسم غير متعلقة بنفى أو استفهام فى سورة الذاريات، فى قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾، حيث أقسم الله - عز وجل - هنا بذاته مضافًا إلى السماء والأرض، وورد هذا القسم فى قصة الأعرابى الذى سمع هذه الآية "فصاح وقال: يا سبحان الله، من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف، لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين؛ قالها ثلاثاً وخرجت معها نفسه[١]."

المقسم به: أقسم الله عز وجل فى أول السورة بمخلوقاته، ثم أقسم فى الآية ٧ بالسماء ذات الحبك، فى قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾، وفى هذا الموضع الثالث من السورة نفسها أقسم برب هذه المخلوقات، والقسم هنا مسبوق بـ (فاء الاستئناف) مضافا إلى اسم ظاهر (السماء) معطوفا عليه اسم آخر (الأرض) **"أقسم سبحانه أعظم قسم، بأعظم مقسم به، على أجل مقسم عليه**، وأكد الإخبار به بهذا القسم، ثم أكده - سبحانه - بشبهه بالأمر المحقق الذى لا يشك فيه ذو حاسة سليمة[٢]."، ودلت (الفاء) على ترتيب الأقسام من أول السورة حتى هذا القسم.

٣- المقسم عليه (جواب القسم) للأقسام المضافة إلى الضمائر أو اسم ظاهر.

أولا: جواب القسم للقسم باسم الرب مضافا إلى ضمير المخاطب فى سورة الحجر: ورد جواب القسم فى هذا الموضع جملة فعلية فعلها مضارع مثبت فى قوله

---

(١)الكشاف: ٥/ ٦١٥، الجامع لأحكام القرآن: ١٧/ ٤٢.
(٢)التبيان فى أيمان القرآن: ٦٣٨.

تعالى: ﴿ ... لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾؛ لذلك اقترن بـ(اللام والنون)، ثم تبع ذلك التأكيد بكلمة أجمعين، وهى توكيد لفظى يفيد شمول الحشر، والسؤال هنا ليس سؤالا عن جهل وإنما هو سؤال توبيخ وتقريع، وأكد السؤال بتأكيد الفعل المضارع بـ (اللام ونون التوكيد الثقيلة) والضمير(هم) يعود على المقتسمين ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[1]، وأكد الفعل (نسأل) بـ (اللام والنون) فى موضع آخر، وهو فى سورة الأعراف، فى قوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ "والسؤال عام للخلق ويجوز أن يكون السؤال كناية عن الجزاء وعن ما كانوا يعملون عام في جميع الأعمال[2]."والسؤال هنا للاستقبال، وهو سؤال توبيخ وتقريع وليس سؤال علم، "سأله كذا، وعن كذا، وبكذا: بمعنى واحد، يقال: سأله الشيء، وعن الشيء... سأل يتعدى للمال بنفسه، ولغيره بالجار[3]."

ثانيًا: جواب القسم فى الآية ٦٨من سورة مريم: الجواب هو قوله تعالى: ﴿ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[4]، وهو جملة فعلية فعلها مضارع مؤكد بـ (اللام ونون التوكيد الثقيلة)، ثم عطف عليها ثلاث جمل، فعلها مضارع، وهى (لنحضرنهم، لننزعن) وهذان الفعلان مؤكدان بـ (اللام ونون التوكيد الثقيلة)، وجاء فعلان آخران مضارعان، هما (ننجى، ونذر) لم يؤكدا باللام والنون للدلالة على الاستمرار والتجدد فى نجاة المؤمنين وترك الظالمين.

وحشر الشيء: جمعه: "الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى

---

(١)ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :٣/ ٣٣٠، معالم التنزيل للبغوى:٤/ ٣٩٤.

(٢)البحر المحيط:٥/ ٤٥٤.

(٣)تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (سأل): ٢٩/ ١٥٧-١٥٨، المفردات فى غريب القرآن: ٢٥٠، الكليات:٥٠٢- ٥٠٣.

(٤)مريم:٦٨-٧٢.

الحرب ونحوها،... ولا يقال الحشر إلا في الجماعة قال الله تعالى: ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾[3] وسمي يوم القيامة يوم الحشر كما سمي يوم البعث ويوم النشر[4]."، **وأقسم الله عز وجل على إحضارهم**، وهو ما يعنى جمعهم بمشهد يوم القيامة، وهو قريب، "أحضر الشيء وأحضره إياه، وكان ذلك بحضرة فلان وحِضرَتِه وحُضْرَتِه وحَضَرِه ومَحْضَرِه، وكلمته بحضرة فلان وبمحضَرٍ منه، أي بمشهد منه، وكلمته أيضا بِحَضَرِ فلان، بالتحريك ... حَضْرَةُ الرجل قُربهُ وفناؤه... الحضْرةُ قرب الشيء[5]."

وصور الله حالهم فى هذا المشهد وهم جالسون، كل على ركبتيه إذلالا لهم، فكلمة جثيا تأتى من "يجثو ويجثي جثوا وجثيا، على فعول فيهما: جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها. ويقال: جثا فلان على ركبتيه[6]." وجاء القسم هنا فى سياق إنكار الكافرين للبعث، حيث ورد إنكار الكافرين للبعث فى الآيات السابقة للقسم، فى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾[7]، فجاء الرد بالقسم على الحشر، وإحضار هؤلاء المنكرين، وشمل القسم فى سياقه صورة المنكرين التى توضح حالة الخزى والتقريع والتوبيخ لهم؛ حيث يحضرون ﴿حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا﴾، وعطفت جملة أخرى على جملة القسم تأكيدا للمشهد وما فيه من قوة، فجيء بالفعل

---

(١)الشعراء: ٣٦.

(٢)ص: ١٩.

(٣)التكوير: ٥.

(٤)المفردات فى غريب القرآن، مادة (حشر):١١٩-١٢٠، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢/ ٦٣٠، لسان العرب:٤/ ١٩٠، تاج العروس من جواهر القاموس:١١/ ١٨-٢٠.

(٥)لسان العرب، مادة (حضر): ٤/ ١٩٦، المفردات فى غريب القرآن:١٢٠، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٢/ ٦٣٢-٦٣٣.

(٦)لسان العرب، مادة (جثا):١٤/ ١٣١، تاج العروس من جواهر القاموس:٣٧/ ٣٢٢-٣٢٣، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦/ ٢٢٩٨، المفردات فى غريب القرآن:٨٨.

(٧)مريم: ٦٦ - ٦٧.

المضارع المؤكد بـ (اللام، ونون التوكيد الثقيلة)، وهو الفعل (نزع)، النزع هو الجذب والقلع والسلب "نزع: نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده ويستعمل ذلك في الأعراض، ومنه نزع العداوة والمحبة من القلب[1]."ودلالة الفعل (لننزعن) وما يوحى به من القوة، واختيار أشدهم عتوًا وما فيه من تهديد: "وهذا تهديد لعظماء المشركين مثل أبى جهل وأمية ابن خلف ونظرائهم[2]." وتأتى الصورة المبشرة للمتقين فى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ فكما كرم الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - وشرفه بإضافته إليه فى المقسم به بقوله ﴿فَوَرَبِّكَ ﴾ شرف أيضا المتقين وكرمهم بالنجاة من هذه الأحوال المخزية يوم القيامة، كما كان ينجيهم فى الدنيا: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[4] والجمع بين هؤلاء المنكرين والشياطين فى جواب القسم يعنى عدم التفريق بينهم مما يبين مدى العذاب الذى سيحيق بهم، وللمهانة التى يتعرضون لها، واستواء المصير: "فحشرهم مع الشياطين إنذار لهم بأن مصيرهم هو مصير الشياطين وهو محقق عند الناس كلهم. فلذلك عطف عليه جملة (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا)، والضمير للجميع[5]."

ثالثًا: جواب القسم فى الآية ٣من سورة سبأ: ورد جواب القسم جملة فعلية فعلها مضارع مثبت؛ مؤكدًا بـ (اللام ونون التوكيد الثقيلة) فى قوله تعالى: ﴿لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾، والقسم باسم الرب هنا جاء موصوفا بصفة (العلم)، وهل يعلم الساعة إلا الله؟ فجاء وصفه بقوله تعالى: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ

---

(١)المفردات فى غريب القرآن القرآن، مادة (نزع): ٤٨٧- ٤٨٨، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٣/ ١٢٨٩-١٢٩٠، لسان العرب، مادة (نزع):٨/ ٣٤٩.

(٢)التحرير والتنوير: ١٦/ ١٤٨.

(٣)يونس: ١٠٣.

(٤)مريم: ٧٢.

(٥)التحرير والتنوير: ١٦/ ١٤٧.

مُّبِينٍ ﴾، ولا يعزب عنه، أى: لا يغيب عن علمه شىء "عَزَبَ عنه يَعْزُبُ عُزوبًا ذهَب. وأَعْزَبَه اللهُ: أَذْهَبَه... معناه لا يَغِيبُ عن عِلْمِه شيءٌ. وفيه لغتان: عَزَبَ يَعْزُب، ويَعْزِبُ إذا غابَ[1]."

وأكد الله قيام الساعة فى سياق القرآن الكريم فى أكثر من موضع، ولكن بغير أسلوب القسم[2]، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ ... ﴾[4]، وتأكيد قيام الساعة بهذين الأمرين (القسم، وعلى لسان النبى – صلى الله عليه وسلم – الذى كانوا يطلقون عليه الصادق الأمين) أقوى من ذكرها بدون هذين الأمرين، كما فى المواضع الأخرى، والقسم على الساعة هو قسم على البعث.

رابعًا: جواب القسم فى الآية ٧ من سورة التغابن: ورد الجواب هنا جملة فعلية فعلها مضارع مؤكدًا بـ(اللام ونون التوكيد الثقيلة) فى قوله تعالى:(لتبعثن)، وعطف عليه جملة فعلية فعلها مضارع مؤكد بنفس التوكيد أيضًا، فالجواب هنا فيه من المؤكدات ما يبين أن كلامهم هنا باطل، لآن الجواب رد على نفى البعث مسبوقا بـ (لن) الدالة على التأبيد، فجاء الجواب بنفس الفعل، ولكنه مؤكد باللام والنون فى جواب القسم، ثم عطف فعل آخر، وهو قوله تعالى: ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ ﴾ للدلالة على الحساب بعد البعث، وهو العلة من البعث، وهناك **مؤكد آخر**، وهو سهولة الآمر على الله – عز وجل – فهو الخالق من عدم، حيث قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١)لسان العرب، مادة (عزب):١/ ٥٩٥، المفردات فى غريب القرآن: ٣٣٣، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:١/ ١٨٠-١٨١، تاج العروس من جواهر القاموس:٣/ ٣٦٢.

(٢)من المواضع التى ورد تأكيد قيام الساعة فيها فى القرآن الكريم، ما يأتى: سورة الحج:٧، وسورة لقمان:٣٤، وسورة غافر:٥٩، وسورة فصلت:٤٧، وسورة الشورى١٧، وسورة الزخرف:٨٥، وسورة الجاثية:٣٢.

(٣)الحجر: ٨٥.

(٤)الكهف: ٢١.

يَسِيرٌ ﴾، ثم أتبعه بمؤكد آخر، وهو ذكر اليوم الذى يجمع الله فيه الخلائق، ويحاسب كل إنسان على عمله ويدخل المؤمنين جنات تجرى من تحتها الأنهار: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1]، وقوله تعالى: لتبعثن يعنى لتحاسبن: "أي لتحاسبن ولتجزون بأعمالكم، جملة مستقلة داخلة تحت الأمر واردة لتأكيد ما أفادته كلمة بلى من إثبات البعث وبيان تحقيق أمر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقيق البعث بوجهين (وذلك) أي ما ذكر من البعث والجزاء (على الله يسير) لتحقق القدرة التامة[2]."

خامسًا: جواب القسم فى الآية ٢٣ من سورة الذاريات: الجواب هنا جملة اسمية مؤكدة بـ (إن واللام) فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾، وعود ضمير الغائب (الهاء) المؤكد بـ (إن) على ما تقدم من الأخبار السابقة المذكورة من أول السورة إلى جواب القسم، وإما يعود على **الرزق**، أو لله تعالى، أو **للنبى** – صلى الله عليه وسلم – أو للقرآن، أو **للدين** فى قوله تعالى فى سياق السورة: ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦ ﴾ أو لليوم المذكور فى قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ ﴾ يدل عليه وصف الله اليوم بالحق في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾[3] أو أنه راجع إلى القول الذي يقال: ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾[4]."[5]، ويجوز أن يعود الضمير على (وما توعدون) فى الآية السابقة فى قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ من الوعد والوعيد، أى البشارة والإنذار إشارة إلى ما ذكر فى أول السورة فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ ﴾.

وقوله: ﴿ ... مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣ ﴾ "زيادة تقرير لوقوع ما أوعدوه بأن

---

(١)التغابن: ٩.

(٢)إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٥/ ٣٣٩.

(٣)النبأ: ٣٩.

(٤)الذاريات:١٤.

(٥)انظر مفاتيح الغيب – التفسير الكبير:٢٨/ ٢٠٩.

شبه بشيء معلوم كالضرورة لا امتراء في وقوعه وهو كون المخاطبين ينطقون. وهذا نظير قولهم: كما أن قبلَ اليوم أمس، أو كما أن بعد اليوم غدًا. وهو من التمثيل بالأمور المحسوسة[1]."

عوارض التركيب.

أولا: عوارض التركيب فى الآية ٩٢ من سورة الحجر:

من عوارض التركيب فى قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ ما يأتى:

- **حذف فعل القسم** فى كل صور القسم مع واو القسم، وتقديره: أقسم.

- **عدم الفصل بين المقسم به والمقسم عليه** للدلالة على أن المسافة بين الدنيا والآخرة قصيرة، وللدلالة على عدم التهاون أو التفريط فى كتاب الله أو فى جزء منه، وتأكيد الفعل المضارع فى جواب القسم يبين أن كل إنسان سيسأل عن عمله.

- **تكرار كلمة (رب)**: وردت كلمة (رب) فى سورة الحجر **تسع مرات،** منها خمس مرات مضافة إلى ضمير المخاطب، فى الآيات (٢٥، ٢٨، ٨٦، ٩٢، ٩٨، ٩٩)، ومرة واحد مضافة إلى ضمير الغائب، فى الآية (٥٦) ومرتين للنداء من إبليس فى الآيتين (٣٦، ٣٩)، أى أن تكرار كلمة (رب) المضافة إلى ضمير المخاطب (الذى يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم) مما يوحى بمعنى التلطف والتسلية من الله لرسوله، فى مقابل صورة الغلظة والوعيد بالعذاب للكفار ومن يعصى الله ورسوله؛ فالصورتان من قدرته سبحانه، حتى أن إبليس لم ينكر ربوبية الله - عز وجل - وعندما نادى الله - عز وجل - ناداه بلفظ الرب لعلمه أن فيه تلطفًا؛ فقالها مرتين فى قول الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[3]. **ثانيًا: عوارض التركيب فى الآية ٦٨ من سورة مريم:**

---

(١)التحرير والتنوير:٢٦/ ٣٥٥.

(٢)الحجر: ٣٦.

(٣)الحجر: ٣٩.

- **تكرار كلمة (رب)** فى سورة مريم ثلاثا وعشرين مرة[1]، وبهذا التكرار اكتسبت السورة صيغة التلطف والتسلية من الله - عز وجل - بأنبيائه وأوليائه، مع سيدنا زكريا، والسيدة مريم وسيدنا عيسى، وسيدنا إبراهيم، وسيدنا إسماعيل، وسيدنا محمد عليهم السلام، بدءًا من الآية الثانية فى السورة وحتى الآية السادسة والسبعين، فكثرة تكرار كلمة (رب) بإضافتها المختلفة لكثرة عدد الأنبياء الذين ذكروا فى السورة، ولم يخرج القسم عن هذا السياق، واختص ضمير المخاطب المضاف إلى اسم الرب بالعدد الأكبر من هذا التكرار، حيث جاء معه تسع مرات، ومنها القسم الذى خاطب الله عز وجل به النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - فى قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾[2] فجمع القسم بين **مشهدين فى سياق واحد:**

المشهد الأول: مشهد التسلية والتلطف بالنبى صلى الله عليه وسلم.

المشهد الثانى: هو مشهد التهديد والوعيد لمنكرى البعث.

التقديم والتأخير: تقدم فى جواب القسم ضمير المنكرين المتصل فى قوله تعالى: ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ العائد على الكافرين فى الحشر؛ لأن الغرض من القسم هنا إثبات البعث بالبراهين عليه، وهم أنكروا البعث فى سياق السورة، فى الآية السابقة، فى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ لأن المراد بالإنسان هنا الكافر، أما الشيطان فلم ينكر البعث ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3].

- **تقديم الحشر على الإحضار حول جهنم جثيا،** فى قوله تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ

---

(١) أضيفت كلمة (رب) فى سورة مريم إلى كاف الخطاب تسع مرات فى الآيات [٢، ٩، ١٩، ٢١، ٢٤، ٦٤، ٦٨، ٧١، ٧٦]، وجاءت مضافة إلى ضمير المخاطب مرة واحدة فى الآية [٣٦]، وجاءت منادى محذوف الأداة فى الآيات [(الآية ٤ مرتين)، ٦، ٨، ١٠] ومضافة إلى ضمير الغائب مرتين فى الآية [٣، ٥٥]، ومضافة إلى ضمير المتكلم أربع مرات [مرتين فى الآيتين ٣٦، ٤٧ ومرتين فى الآية ٤٨]، ووردت مضافة إلى اسم ظاهر مرة واحدة فى الآية ٦٥.

(٢) مريم: ٦٨.

(٣) الأعراف: ١٤.

لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ﴾ والترتيب بحرف العطف (ثم) ترتيب رتبى وليس الغرض منه المهلة المعروفة فى (ثم)، وختمت جمل القسم بنجاة المتقين وترك الظالمين فى النار: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ ﴾.

ثالثًا: عوارض التركيب للقسم باسم الرب فى الآية ٣ من سورة سبأ:

- **حذف الفاعل** فى جواب القسم فى قوله تعالى:(لتأتينكم)، وتقديره: لتأتينكم الساعة، وربما يكون عدم ذكر الفاعل هنا لكون إنكارهم الساعة ليست هى المرة الأولى، حيث تكررت كلمة الساعة فى القرآن الكريم معرفة بـ (أل) ومضافة، ونكرة فى القرآن الكريم ٤٤ مرة فى ٤٨آية، منها ٤٤ مرة بمعنى القيامة، وأربع مرات بمعنى فترة من الزمن، وهذه هى المرة الوحيدة التى أكد الله - عز وجل - قيامها بأكثر من مؤكد:

الأول: النفى ب (بلى) فى قوله تعالى: (قل بلى).

الثانى: القسم باسم الرب فى قوله تعالى: (وربى).

الثالث: تأكيد الفعل بـ (اللام) و(نون التوكيد الثقيلة).

الرابع: اتباع الجواب بالدليل عليه فى قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴾[2]، للتأكيد على الحساب على الأعمال.

- **تقديم النفى بـ(بلى)** والقسم باسم الرب على الجواب كى يلفت الانتباه إلى الأمر المنفى والمقسم عليه.

---

(١)سبأ: ٣.

(٢)سبأ: ٤ - ٥.

- **تكرار الفعل المضارع (تأتى)** قبل القسم فى سياق الكلام الصادر من الكافرين، وفى سياق الجواب للتأكيد على إتيان الساعة، وتكررت مادة (أتى) مع (الساعة) بصيغ مختلفة فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم، ولم يقل الله تعالى (تجىء) لأن من خصوصيات الاستعمال القرآنى أن الفعل (أتى) يشير إلى الأمر الذى فيه سهولة ويسر[١]، أما الفعل (جاء) فهو يشير إلى الأمر الذى فيه صعوبة ومشقة؛ وبذلك فإن مجىء (أتى) مع الساعة يدل على سهولة الأمر على الله سبحانه وتعالى؛ "لأن وجود الأمور الزمانية المستقبلة لا سيما أجزاء الزمان لا يكون إلا بالإتيان والحضور[٢]."، وكثيرا ما يأتى فعل أتى فى القرآن الكريم فى الأمور المكروهة، نحو قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[٤]، كما أن فى تكرار أتى مع الساعة يعنى التوكيد على إتيانها، فهى تأتى بغتة، كما فى قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[٥]، وأكد الله إتيانها بـ (إن) و(اللام) فى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[٧]، وأكد الله إتيانها بـ (إن) فقط فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا

---

(١)ينظر المفردات فى غريب القرآن:٦٠.
(٢)روح المعانى:٢٢/ ١٠٤.
(٣)النحل: ١.
(٤)النحل: ٢٦.
(٥)الأعراف: ١٨٧.
(٦)الحجر: ٨٥.
(٧)غافر: ٥٩.

تَسْعَىٰ ﴾[1]، وأكد الله إتيانها بـ (أن) مفتوحة الهمزة فى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾[2].

تكرار كلمة (عالم)، والفرق بينها وبين (عليم)، و(علام)، و(عالم): تكرار كلمة (علام) فى القرآن: تكررت **أربع مرات** مضافة إلى كلمة (الغيوب)، وتكرر قوله تعالى: **(عالم الغيب)** فى هذه السورة، وفى سورة الجن فى قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[3]وتكرر معطوفا عليه كلمة الشهادة فى عشرة مواضع أخرى فى القرآن الكريم[4]، واقتصرت الإضافة على (عالم الغيب) هنا فى القسم فى سورة سبأ وسورة الجن؛ لسؤال المكذبين عن أمور غيبية؛ لأن السؤال عن الساعة، وهى أمر غيبى لا يعلمه إلا الله، والسؤال عما يوعدون فى سورة الجن، فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[5] سؤال عن أمر غيبى، أما ذكر العطف بقوله تعالى: (عالم الغيب والشهادة) وجاءت عقب أمور خاصة بأعمال العباد فى الدنيا، مثل الصلاة، فى قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[6]، وبعد ما حدث من المنافقين عند تخلفهم عن غزوة تبوك، وجاءوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعتذرون بالباطل:

---

(١)طه: ١٥.

(٢)الحج: ٧.

(٣)الجن: ٢٦.

(٤)وذلك فى سورة الأنعام: ٧٣، وسورة التوبة: ٩٤،١٠٥، وسورة الرعد:٩ ، وسورة المؤمنون: ٩٢، وسورة السجدة: ٦، وسورة الزمر: ٤٦، وسورة الحشر: ٢٢، وسورة الجمعة: ٨، وسورة التغابن: ١٨.

(٥)الجن: ٢٥ - ٢٦.

(٦)الأنعام: ٧٢ - ٧٣.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، وبعد توبة العباد وصدقاتهم فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] وما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام أيضًا، وهذا أمر مشهود فى الدنيا، فى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[3]، وكذا فى باقى المواضع التى ورد فيها عطف (الشهادة) على (الغيب)، حيث ذكرت فى سياق أمور مشهودة لخلقه أيضًا.

- **تكرار الفعل (يعزب)** فى هذه السورة، فى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[4]، أي لا يبعد عن الله شىء فى الآرض ولا فى السماء.

- **تكرار النفى** فى قوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾والنفى بـ (لا) للإطلاق، أى فى كل زمان للدلالة على التوكيد.

- **تكررت كلمة الساعة** معرفة بـ (أل) ومضافة، ونكرة فى القرآن الكريم ٤٨ مرة فى ٤٣ آية.

---

(١)التوبة: ٩٤.
(٢)التوبة: ١٠٤ - ١٠٥.
(٣)الرعد: ٨ - ٩.
(٤)يونس: ٦١.

رابعًا: عوارض التركيب للقسم باسم الرب فى الآية ٧من سورة التغابن:

ورد القسم فى سورة التغابن فى قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ ﴾ ، **ومن عوارض التركيب فى هذا الموضع ما يلى:**

- **الاعتراض** بقوله تعالى:﴿ قُلۡ بَلَىٰ ﴾ وفيها نفى لكلامهم ثم تأكيد النفى بالقسم غير المفصول بينه وبين جوابه بفاصل لسرعة الرد وللقوة فى النفى: "وجملة ﴿ قُلۡ بَلَىٰ ﴾ معترضة بين جملة ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ ، وجملة ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾. وحرف (بلى) حرف جواب للإبطال خاص بجواب الكلام المنفي لإبطاله[1]."

- **قدم الله البعث على إنبائهم بما عملوا**، لأنهم ينكرون البعث لعلة يضمرونها، وهى الأعمال السيئة التى ارتكبوها ويخافون المحاسبة عليها، فأخبر الله أنهم سيبعثون ويحاسبون على أعمالهم، وأن ذلك أمر يسير على الله - عز وجل - وأكد الله سهولة البعث والحشر فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم، فقال تعالى:﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[3]، وقوله تعالى:﴿ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴾[4].

المقسِم(المتكلم).

أولا: المقسِم(المتكلم) فى الآية ٩٢ من سورة الحجر، وفى الآية ٦٨ من سورة مريم: المقسم هو الله تعالى، حيث أقسم بذاته وربوبيته، أما **المقسِم(المتكلم) فى الآية ٣ من سورة سبأ**، والآية ٧ من سورة التغابن فهو الله على لسان رسوله بقوله تعالى:

---

(١)التحرير والتنوير: ٢٨/ ٢٧١.

(٢)الكهف: ٤٨.

(٣)العنكبوت: ١٩.

(٤)ق: ٤٤.

﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي ﴾، وتتضح شخصية المتكلم (المقسِم) من عناصر القسم، حيث أكد القسم بأكثر من مؤكد:

الأول: نفى كلام الكفار بـ (بلى) التى ترد النفى.

الثانى: إتباع رد النفى بالقسم.

الثالث: القسم باسم الرب؛ لأن الرب هو المربى، ومن صفات الربوبية العلم بقيام الساعة والقدرة على ذلك.

الرابع: تأكيد الجواب باللام ونون التوكيد الثقيلة.

الخامس: إتباع الجواب ببيان صفة الرب، وهى العلم بالأمور الغيبية، صغيرها وكبيرها.

المخاطب بالقسم.

المخاطب بالقسم فى الآية ٩٢ من سورة الحجر، وفى الآية ٦٨ من سورة مريم: هو الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأكد ذلك بكاف الخطاب، أما **المخاطب بالقسم فى الآية ٣ من سورة سبأ، وفى الآية ٧ من سورة التغابن** فهم الكفار والمكذبون بالبعث، وعامة الناس، أما **المخاطب بالقسم فى الآية ٢٣ من سورة الذاريات:** فهم عموم الناس المؤمن والكافر.

الغرض من القسم:

الغرض من القسم فى الآية ٩٢ من سورة الحجر، وفى الآية ٦٨ من سورة مريم، وفى الآية ٣ من سورة سبأ، وفى الآية ٧ من سورة التغابن: هو إثبات البعث وما يتصل به من حساب، فالسؤال يتبع البعث، أما **الغرض من القسم فى الآية ٢٣ من سورة الذاريات** فهو توحيد الله - عز وجل - وربما يكون عاما لعموم مرجع الضمير فى جواب القسم؛ فيجوز أن يكون الغرض من القسم إثبات النبوة، أو إثبات البعث، أو وقوع ما توعدونه يوم القيامة، أو صدق القرآن الكريم، وهذا من التوسع فى المعنى، يؤكده السياق.

*****

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه.

أولا: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى الآية ٩٢ من سورة الحجر: الغرض من القسم هنا هو إثبات البعث، وما يتبعه من الحساب: "وعلى ذلك فقد اقسم سبحانه على اقتداره على السؤال المثبت للبعث ضمنا بالاسم المتضمن دخول ذلك فى قدرته لكونه من شئونه التى اختص بها سبحانه وتعالى دون غيره. وهذا ضرب من ضروب التناسب بين المقسم به والمقسم عليه[1]."

ومن الملاحظ فى سياق القسم هنا وجود صورتين:

الأولى: صورة يجسدها المقسم به، وهى صورة الحنو واللطف من الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – حيث خاطبه الله – عز وجل بقوله (ربك) بإضافة كاف الخطاب إلى رب العالمين، وفيها ملمح من اللطف والشرف والمؤازرة للرسول صلى الله عليه وسلم.

الثانية: صورة يجسدها جواب القسم، وهى صورة التهديد والوعيد، والتوبيخ والتقريع لمن كذب بالله ورسوله، وذلك فى الضمير (هم) فى قوله تعالى: (لنسألنهم) وهو عائد على المقتسمين خاصة؛ **فالعلاقة بين القسم وجوابه علاقة تضاد.**

ثانيًا: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى الآية ٦٨من سورة مريم: تتمثل العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه فى هذا الموضع فى المقابلة بين المقسم به والمقسم عليه فى تشريف الرسول صلى الله عليه وسلم بإضافته إلى الله – عز وجل – فى قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾، ثم نجاة المؤمنين فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ وفى الصورة المقابلة أو فى المشهد المقابل حال المنكرين المكذبين وما فى الصورة من مهانة من الحشر مع الشياطين، وإحضارهم حول جهنم فى جثو على أرجلهم، ثم تركهم فى جهنم على هذه الحال. ولأن الله أقسم باسم الرب مضافا إلى كاف الخطاب ففيه معنى التلطف والشرف لرسوله وللمؤمنين به ووعدهم بالنجاة فى الدنيا والآخرة، كما أن فيه أيضا فى الوقت نفسه وفى المشهد

(١)القسم فى القرآن الكريم – دراسة بلاغية: ١/ ١٧٣.

نفسه ذل وإهانة للمنكرين والذين قال الله عنهم: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾[1].

ثالثًا: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى الآية ٣ من سورة سبأ: جاء القسم هنا مناسبا لما جاء فى سياق السورة السابقة (سورة الأحزاب) بعدما سأل الكفار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الساعة، فى قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾[2] فأنكروا ذلك فى صدر سورة سبأ فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ ﴾[3] فأمر الله رسوله أن يقسم لهم بإتيانها ردا على هذا الإنكار، وأقسم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بربه بإضافة ضمير المتكلم إليه – صلى الله عليه وسلم – على مجيء الساعة، **وفى القسم باسم الرب الذى يعلم الغيب تهديد للكافرين، وفى الوقت نفسه طمأنة وتسلية للرسول – صلى الله عليه وسلم – وفى المستشهد به (الرب) على المستشهد عليه (الساعة) تناسب:** "وكلما كان المستشهد به أعلى كعباً وأبين فضلاً وأرفع منزلة، كانت الشهادة أقوى وآكد، والمستشهد عليه أثبت وأرسخ[4]."

رابعًا: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى الآية ٧من سورة التغابن: يبين المقام فى هذه الآية أن الكفار أعمالهم سيئة؛ لذا أنكروا البعث، حتى لا يحاسبوا على هذه الأعمال. أخبر الله أن بعثهم ومحاسبتهم وإن كانوا يرونه أمرًا صعبًا لأن الأجساد ستتحلل فيصعب جمعها، إلا أنه يسير عند الله: "لأن الكلام لرد إحالتهم البعث بعلة أن أجزاء الجسد تفرقت فيتعذر جمعها فذكروا بأن العسير في متعارف الناس لا يعسر على الله وقد قال في الآية الأخرى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[5]."[6] ومناسبة هذه السورة لما قبلها "أنه فى السورة قبلها ذكر

---

(١)مريم: ٦٦.
(٢)الأحزاب: ٦٣.
(٣)سبأ: ٣.
(٤)الكشاف: ٥/ ١٠٦-١٠٧.
(٥)الروم: ٢٧.
(٦)التحرير والتنوير: ٢٨/ ٢٧٢.

حال المنافقين وخاطب بعد ذلك المؤمنين، وهنا قسم الناس قسمين: مؤمنا وكافرًا..[1]." تتضح المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه من **اختيار المقسم به، وهو قوله تعالى: (وربى) لأن البعث من الأمور الخاصة بالربوبية الدالة على القدرة والتهديد للكافرين والمكذبين بالبعث خاصة وللناس عامة ولمن أراد أن يتوب يبشره بجنات تجرى من تحتها الأنهار، وفى الوقت ذاته التلطف والتسلية للمتكلم وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.**

خامسًا: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى الآية ٢٣من سورة الذاريات: قرن الله عز وجل – فى هذا السياق بين أمر محسوس، وهو النطق الذى جاء بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والتجدد، والأمر المعنوى الذى أقسم الله عليه فى الضمير (إنه)، والمراد به البعث أو أمر النبوة التى اختصها الله بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم "واجتلب المضارع في تنطقون دون أن يقال: نطقكم، يفيد التشبيه بنطقهم المتجدد وهو أقوى في الوقوع لأنه محسوس.. [2]" والمراد أنه "كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره[3]."

الدليل على صدق الجواب.

أولا: الدليل على صدق الجواب فى الآية ٩٢من سورة الحجر: أقسم الله على سؤال خلقه جميعا، وخص المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين، والسؤال يعنى أنه سيتبعه حساب، ومن ثم يلق كل إنسان حسابه على هذه الأعمال، والأدلة الواردة فى القرآن الكريم على السؤال والحساب يوم القيامة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[4]، وقوله تعالى:

---

(١)الروح والريحان فى روابى علوم القرآن: ٢٩/ ٣٥٤.

(٢)التحرير والتنوير:٢٦/ ٣٥٦.

(٣)معالم التنزيل فى تفسير القرآن: ٧/ ٣٧٦.

(٤)العنكبوت: ٢.

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[1]، وافتتحت السورة التالية لهذه السورة بالتأكيد على البعث والحساب، حيث تحدث الله تعالى عن مجيئه بصيغة الفعل الماضى أتى الدال على التحقق، كما أن فى الفعل أتى دلالة على سهولة إتيانه على الله - عز وجل - ويسره، فقال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

ثانيًا: الدليل على صدق جواب القسم فى الآية ٦٨من سورة مريم: أقسم الله - عز وجل - فى هذه الصورة من القسم على إثبات البعث بالبراهين المؤكدة له، وهى الحشر والإحضار حول جهنم جثيا، وخير دليل على إثبات البعث ما شهد به عدو الله إبليس: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[3]، فهو يعلم أن هناك بعثا وحسابا، ولكنه ينسى ذلك، وقد ذكره الله ببداية خلق الإنسان من العدم فى سياق السورة بقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾[4]، ومن الأدلة على صدق الجواب قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[5].

ثالثًا: الدليل على صدق جواب القسم فى الآية ٣من سورة سبأ: ذكر الله - عز وجل - الدليل على صدق الجواب، أى الدليل على أن الساعة لا ريب فيها، وهو قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[6]. "وذلك لأنه إذا كان عالما بجميع الأشياء يعلم أجزاء الأحياء ويقدر على جمعها فالساعة ممكنة

---

(١)المؤمنون: ١١٥.

(٢)النحل: ١.

(٣)الأعراف: ١٤.

(٤)مريم: ٦٧.

(٥)البقرة: ٢٨، ٢٨١ وفى سورة آل عمران: ١٥٨، الأنعام: ٢٢، وهى من الآدلة السابقة على إثبات البعث، أما الأدلة اللاحقة فمنها ما ورد فى سورة الأنبياء: ٣٥،المؤمنون: ١١٥، القصص:٧٠.

(٦)سبأ: ٣.

القيام[1]."، كما أتبعه بالسبب والعلة من قيامها بقوله تعالى:﴿ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾[2]، فليست الحياة عبثا، وإنما لابد أن يحاسب كل إنسان على عمله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[3].

رابعًا: الدليل على صدق جواب القسم فى الآية ٧من سورة التغابن: أقسم الله – عز وجل – على إثبات البعث، وأتبعه بالدليل على قدرته على ذلك وإخبارهم بأعمالهم ومحاسبتهم عليها، فقال تعالى:﴿ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ وأكد الله قدرته بأدلة حسية يعلمها المؤمن والكافر، فقال تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4].

الأمر اللافت للنظر هو تأكيد القسم بأنه صادر من الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهم يعرفون أمانته وصدقه؛ حيث كانوا يسمونه بالصادق الأمين، وفيه أيضًا دليل أكثر توكيدا فيما كانوا يعتقدونه من أن اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع، وتكون شؤما على صاحبها، وأقسم الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات بربه على إثبات البعث.[5]، ثم يأتى دليل آخر على صدق الجواب بأن الله يجمعهم ليوم الجمع فيحاسبهم على أعمالهم وزعمهم فقال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[6]هناك دليل آخر وهو قوله تعالى:

---

(١)التفسير الكبير : ٢٥/ ٢٤٠.
(٢)سبأ: ٤ – ٥.
(٣)المؤمنون: ١١٥.
(٤)الأحقاف: ٣٣.
(٥)سورة يونس : ٥٣، فى سورة سبأ :٣، وسورة التغابن :٧.
(٦)التغابن: ٨ – ٩.

﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أى أن البعث أيسر من الابتداء:"(لتنبؤن بِمَا عَمِلْتُمْ) أي: لتخبرنّ بذلك إقامة للحجة عليكم، ثم تجزون به (ذَلِكَ) البعث والجزاء (عَلَى الله يَسِيرٌ) إذ الإعادة أيسر من الابتداء[1]."

خامسًا: الدليل على صدق جواب القسم فى الآية ٢٣ من سورة الذاريات: جاء الجواب كما ورد فى جواب القسم على أكثر من معنى حسب مرجع ضمير الغائب (إنه) فى الجواب فى قوله تعالى ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[2] وأهم هذه الأمور (البعث، وأمر النبوة، والقرآن) وهى الأمور التى أنكرها الكفار، وجاءت عليها معظم الأقسام فى القرآن الكريم، وجاءت الأدلة على هذه الأمور كل فى موضعه، وذكرها هنا يعد **تكرارا لا داعى له.**

(١)فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير:٥/ ٣١٤.
(٢)الذاريات: ٢٣.

obeikandl.com